الشاعر الوزير محمد ابن موسى

دراسة في شعره

محمد المنتصر الريسوني



الشاعر الوزير محمد ابن موسى
دراسة في شعره

محمد المنتصر الريسوني

الشاعر الوزير محمد ابن موسى

دراسة في شعره



بسم الله الرحمن الرحيم

إضاءة بين يدي هذه الدراسة

شدني إلى شعر ابن موسى إعجاب قوي منذ سن مبكرة من حياتي ، سن الطلب ، تلك السن التي تبرعمت خلالها في الأعماق الرغبة في ارتياد آفاق المعرفة ، فألهب الاصرار العزم على المضي في الطريق قدما لاكتساب المعارف لأجل المعارف وحدها ، وضمن هذا الولع بالمعارف اتفقت مع بعض الاخوان على إنشاء مجلة سميناها (النصر)[1] تيمناً بالنصر الذي أحرزه المغرب في انتفاضته على الاستعمار البغيض الغاشم ، وحصوله على سيادته واستقلاله ، وكان ذلك في محرم 1377 هـ موافق غشت 1957م وصدرت المجلة ، وبدأنا ننشر فيها بواكير أعمالنا ، وشارك فيها أساتذتنا وإخوان آخرون بانتاجاتهم ، وكان أخي الأستاذ محمد أبو خبزة من الذين يشاركون فيها ، فمدنا بقصائد شاعرنا – وكان من أصدقائه المقربين – وأذكر أن أول عمل شعري نشرناه له مولدية رائعة يقول في مستهلها :

واهاً بأكناف الحمى سلفا   لم أستطب أسفاً من بعده خلفا
ألوي فما جذوة الأشواق كاتمة   وجدا ولا الدمع في إخمادها وقفا

وهكذا أخذنا ننشر لشاعرنا انتاجه الشعري طيلة صدور المجلة المذكورة إلى أن توقفت عن الصدور عام 1380ه .

وشاء الله لي أن أطلع على أعمال ابن موسى رحمه الله ، وأن احتك به احتكاكا ، وأن أعيش معه في لحظات مفوفة من عالمه الشعري المعطاء الخصب ، فأعجبت به أي إعجاب ، وليس هناك تفسير لهذا الاعجاب إلا أنني وجدت في عمله الشعري أصداء شعرائنا القدامى الذي صاحبتهم مدة غير قصيرة ، واستظهرت نماذج من أشعارهم أمثال المتنبي وأبي تمام والبحتري وابن الرومي ، وغيرهم من أقطاب الشعر العربي .

---

(1) مجلة النصر العدد الثاني ـــ السنة 1 ـــ صفر ـــ ربيع الأول عام 1377 ـــ شتمبر ـــ أكتوبر 1957

تلك هي صلتي الأولى بشعر ابن موسى ، وبعد مرور الأيام والسنين وجدت نفسي مشدوداً مرة أخرى إلى شعر هذا الشاعر ، فأكببت على قراءته مرة أخرى وحييت معه ردحا من الزمن أتأمله بإمعان ، مستمتعا بخصب العطاء وجمال التعبير وقوته ، وصفاء اللغة واشراقتها ، وصدق الشعور وانسيابه ، فاتضحت لي ملامحه الشعرية وخصائصه بجلاء ووضوح ، مما جعلني أحله من نفسي محلاً عزيزا أكثر من ذي قبل ، وعنَّ لي أن اجمع شعره — وكذلك نثره — بعد أن اقتنعت مع نفسي أن الرجل له وزن كبير وثقيل في شعرنا العربي بعامة ، والمغربي بخاصة وأنه يمتلك شاعرية من الطراز الكلاسيكي الفريد ، ولا يشاركه فيها — بدون مبالغة — أحد من معاصريه الا القليل النادر جدا ، ولذلك أعده كما سيأتي في الدراسة — خاتمة الكلاسيكيين في المغرب على النمط الرفيع ، وهذا ما دفعني إلى أن أكتب عنه بحثا تحت عنوان (محمد ابن موسى شاعر من الجيل الماضي) بمجلة (دعوة الحق)[2] سلطت فيه الأضواء على أعماله الشعرية وعرَّفت به باعتباره شاعراً كلاسيكياً متميزاً بقوة النسج والنفس الطويل ورصانة التعبير وثراء الخيال ، وكان هذا التعريف بالشاعر تمهيدا للدراسة المطولة عنه .

وسرت في الطريق ، وعزمة الاصرار تشد أزري ، أجمع شعره ونثره مما ليس تحت يدي لتحقيقهما ودراستهما دراسة وافية ونشرهما ، ووراجعت المجلات والصحف التي تولت نشر انتاجه والتي كان أكثرها يصدر بـ (تطوان) ، واتصلت بالأخ الأستاذ محمد أبي خبزة السالف الذكر لكونه صديق الشاعر ومن المعجبين بشعره فغمرني بفضله وكرمه وأمدني بما عنده — من أعمال الشاعر الشعرية والنثرية في حاتمية — كما هي عادته في مجال الفكر ، واتصلت كذلك باستاذي الجليل السيد عبد الله كنون والأخ الأستاذ السيد سعيد اعراب وخالي الأستاذ السيد الحسن ابن عبد الوهاب فأمدني كلٌّ بما عنده من شعر الشاعر — جزاهم الله خيرا على لغة القرآن — كما أمدني قسم الصحف بالمكتبة العامة بـ (تطوان) بمساعدته الطيبة اثناء البحث والتنقيب جزى الله القائمين عليه خيرا أيضا .

(2) السنة 12 العدد 12 — رمضان — شوال 1388 — ديسمبر — يناير 1969 .

واستطعت بفضل الله تعالى وعونه ثم بفضل هذه الجهود مجتمعة ان أجمع جل ما تندَّت به يراعة ابن موسى شعراً ونثراً ، غير أنني آثرت الاقتصار على تحقيق شعره ليس غير ، وتركت لغيري دراسة نثره ، وبهذا استوى لدي ديوان كامل لشعره اشتغلت منذ مدة بضبطه وترتيبه والتعليق عليه ، وانتهيت منه ، والحمد لله ، وسيرى النور حين تسبقه هذه الدراسة ، بالطبع ، إلى الظهور على مسرح الحياة .

هذه قصتي كاملة مع شعر ابن موسى ، وهذه دراستي عن شعره حاولت فيها أن أمهِّد لها بلمحة تاريخية عن فجر نهضتنا ، وعن شعرنا المغربي منذ القرن الماضي والتركيز على الروافد التي أمدته انطلاقا لدراسة شعره ، كما حاولت الكشف عن حياة الشاعر بما توافر لدي من معلومات عنه ، واستقراء ثقافته من خلال شعره ، ومن خلال نثره وتتبع المضامين الشعرية التي عالجها ، والسمات الفنية التي تميزت بها والقيم الشعورية والموسيقية التي رفدت عمليته الشعرية ، وقد استقطبت ذلك في ثلاثة فصول كما سيجد القارىء الكريم ماثلا لديه حين يتفضل بقراءة هذه الدراسة .

ومهما يكن من أمر فهذه دراستي عن شعر ابن موسى أو قل – وقولي صادق – عن ديوان ابن موسى ، وغايتنا هي خدمة لغتنا الاسلامية ، لغة القرآن الكريم ، وإبراز ما لها من فضائل ، وما لها من مزايا لا تحصى تشكل نبعاً ثراً للأديب العربي ينهل منه ما يشاء ، وغايتنا كذلك الكشف عن الطاقة الشعرية لشاعر مغربي يكاد يكون مغمورا لدى الكثير من مثقفينا ، ذلك الشاعر الذي سخر قلمه ، ووظف إمكاناته الفكرية لخدمة الثقافة في هذا البلد ، وابراز القيم الاسلامية المثلى وخاصة في مولدياته الفريدة وتوسلاته الربانية التي حفلت بالصدق الشعوري والروح الايمانية والاشراق الوجداني .

أرجو الله تعالى أن أكون قد وفقت في هذه الدراسة التي لا أزكيها ، غير أنني لا أبرئها من التقصير غير المقصود وهي ، على كل حال ، ثمرة عمل استفرغت فيها جهد الطاقة غير ضنين بوقتي ، فإذا كان هناك توفيق فمن الله تعالى ، وإذا كانت هناك أثارة من شطط فمني والكمال لله وحده ، ومنه استمد العون وعليه قصد السبيل .

تمهيد

فجر النهضة

شهد الشرق العربي في القرن الثالث عشر الهجري الموافق للقرن التاسع عشر الميلادي انبعاث الحركة العلمية والأدبية وخاصة حين تولى محمد علي عرش مصر، فعمل على انشاء دولة قوية ترتكز على أسس علمية، ولذلك قامت نهضة شاملة في الجيش، والصناعة، والزراعة والتعليم والادارة، وحينذاك نشطت حركة البعثات والطباعة وتأسيس المدارس ونقل آثار الأمم الغربية.

وكان المغرب في هذه المرحلة التاريخية بالذات ضاربا على نفسه العزلة لا تربطه بالشرق أو الغرب علاقة خصوصا وأنه لم يكن تابعا للسيادة العثمانية التي كان تدين لها الجزائر وتونس، وذلك أنه كان – كما هو معروف عن تاريخه – يتمتع بكيان مستقل.

وحين سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي عام 1246هـ موافق 1830م، وتونس عام 1291هـ موافق سنة 1881م أصبح المغرب يحتاط أكثر في علائقه بالغرب بعد أن تحققت أطماعه السياسية في الجزائر وتونس وغيرهما.

وهكذا انكمش المغرب على نفسه في هذه الفترات التاريخية العصيبة خوفا من أن يضحي لقمة سائغة للاستعمار البغيض الذي لا يتورع أبدا عن التفكير في الوسائل الشيطانية للاستيلاء على أراضي الشعوب من أجل استنزاف خيراتها وإذلال أهلها واستعبادهم واسترقاقهم.

وفي معركة (إسلي)[3] الواقعة عام 1260 هـ موافق سنة 1844 هب المغرب لانجاد إخوانه الجزائريين، فاشتبكت قواتنا المغربية مع القوات الفرنسية في الحدود الشرقية، ومنذ تلك الفترة تحلبت اشداق الاستعمار الفرنسي إلى الاستيلاء على

---

(3) راجع بتفصيل الناصري (أحمد) الاستقصا ج 9 ص 49 وما بعدها.

البلاد المغربية الجنوبية ، كما طمعت اسبانيا في الاستيلاء على شمالها حين أقدمت على احتلال تطوان عام 1276هـ موافق سنة 1860م .

كل هذا حفز الاستعمار الحقود إلى أن يفكر جدياً ، ويبيت النية الخبيثة في غزو ديارنا فتوالت المؤتمرات والاتفاقات لتنفيذ المخطط الامبرالي الجهمني ، ثم بعد ذلك تحقق حلم الاستعمار بتوقيع عقد الحماية عام 1331 موافق سنة 1912م .

والحق أن المغرب لم يكن مكتوف الأيدي أمام هذه الدسائس الخطيرة والأطماع الاستعمارية السافرة ، فقد بذل قصارى جهده في الدفاع عن سيادته والذود عن كرامته ، كما قام بأعمال في الميادين العسكرية والتعليمية ، وكل ما له صلة بالنهضة العلمية ؛ اذ اعتنى بإيفاد البعوث إلى مصر أيام حكم السلطان محمد الرابع ، وكان من المتخرجين في مصر الطبيب عبد السلام العلمي[4] والجغرافي أحمد شهبون[5] ، واعتنى كذلك بايفاد البعوث إلى أوروبا أيام السلطان الحسن الاول ، وقد آورد في هذا الشأن ابن زيدان في كتابه ، (العز والصولة في معالم نظم الدولة)[6] أسماء الأشخاص الذين تخرجوا في المعاهد الأوروبية في العلوم الهندسية والرياضية ، فمن فرنسا تخرج الطاهر بن الحاج الوديي والقاسم الوديي ومحمد بن الكعاب الشركي ، ومن انجلترا محمد الجباص الفاسي والزبير السكيرج ، ومن ايطاليا المختار الرغاي البخاري ومحمد بناني الفاسي وعبد السلام الوديي ومن اسبانيا احمد بن العباس بن شقرون الفاسي وعبد السلام الرباطي ومحمد الشرادي الرباطي ، ومن ألمانيا الميلودي الرباطي والحسين الوديي وعبد السلام الدسولي ، كما توجهت إلى جبل طارق مجموعة كبيرة من الأشخاص قصد تعلم الفنون الحربية هناك وتتشكل هذه المجموعة من 280 شخصا منهم علال بن بلا المراكشي ، والمختار بن ناصر المراكشي والعربي ابن التاودي السقاط الفاسي وغيرهم .

وكان هذا إرهاصاً ببزوغ فجر نهضة فكرية جديدة في المغرب وخصوصا بعد أن عرف هذا الطور من حياته المطبعة التي جاءته من باريس عام 1276هـ موافق سنة 1859م ، ومن مصر عام 1282هـ موافق سنة 1965م على يد قاضي

(4) من إنتاجه الطبي شرح الوزكاني ، وضوء النبراس في حل مفردات الأنطاكي بلغة فاس ، والبدر المنير في علاج البواسير ، انظر ابن زيدان (عبد الرحمن) الدرر الفاخرة ص 95 .

(5) له مصنفات في الجغرافيا تحت عنوان (الجغرافيا المغربية) يتضمن صورا وخرائط ، المرجع السابق ص 95 وما بعدها .

(6) ج 2 ص 150 وما بعدها

(تارودانت) السيد الطيب الروداني حين ذهابه إلى الحج ، وبعد ذلك اشتهر ما يسمى بالمطابع الفاسية التي كان مقرها بفاس والتي طبعت كتباً شتى في كثير من الفنون مِمَّا لا يحصى عددا .

وممَّا يسترعي النظر بعد انتشار الطباعة ظهور جريدة بطنجة هي جريدة (المغرب) الاسبوعية عام 1307هـ موافق سنة 1889م ، وبعدها صدرت جرائد مختلفة في مدن المغرب .

وإذا رحنا نبحث عن العوامل التي تضافرت على خلق المناخ للمعارف والثقافات ، وعلى رعاية الملكات وتفتيق القدرات واغناء الامكانات في أواسط القرن الثالث عشر الهجري الموافق لأوائل القرن العشرين وجدناها تبرز فيما يأتي :

1 – انتشار الصحافة وهي من نتاج المطابع التي انتشرت في المغرب ، وكانت أول جريدة – كما سبق – صدرت فيه هي جريدة (المغرب) ، وذلك بمدينة (طنجة) وجريدة (المغرب الأقصى) عام 1318هـ موافق سنة 1900م ثم جريدة (السعادة) عام 1321هـ موافق سنة 1905 وغيرها .

2 – انتشار التعليم ، ويتجلى فيما سعى اليه المغرب ببعث الوفود الى أوروبا ، وتأسيس المدارس العصرية ، وبرغم ما كان يبذله الاستعمار من دسائس لعرقلة المساعي المغربية في هذا الشأن ، مما كان يدفع الشعب المغربي اليقظ إلى إنشاء المدارس الحرة في الجنوب والشمال ولا يعزب عن بالنا – ونحن نتحدث عن انتشار التعليم – دور جامعة القرويين العظيم في نشر المعارف ، والحفاظ على التراث الأصيل ، والمقومات الاسلامية ، وبث الوعي الاسلامي الحق ، والوقوف في وجه الغزاة المستبدين ، لقد كانت القرويين حقا قلعة حصينة قوية تتكسر على صخرتها كل المحاولات الاستعمارية الدنيئة .

3 – ظهور الدعوة السلفية بزعامة الشيخ أبي شعيب الدكالي[7] الذي حارب هو وتلميذه الشيخ محمد بن العربي العلوي[8] البدع والخرافات التي عملت الطرقية على إفرازها في المجتمع المغربي مما جنت به على عقيدة الاسلام التي

(7) هو أبو شعيب الدكالي الصديقي (1295 ـ 1357 هـ = 1878 ـ 1938 م) ولد بدكالة ، كان عالما محدثا فقيها نادرة في الحفظ ، ولي القضاء ثم العدل ، ويعتبر أحد رواد السلفية في المغرب انظر الجراري (عبد الله) أعلام الفكر المعاصر للعدوتين : الرباط وسلا ج 2 ص 269 وما بعدها (بدون تاريخ)

(8) أحد العلماء السلفيين (1305 ـ 1384 هـ = 1880 ـ 1964 م) ولد بقصر السوق ودرس بالقرويين وتلمذ على الشيخ الدكالي ، كان شجاعا في إبداء الرأي ، له مواقف وطنية مهمة استمدها من رؤيته السلفية ، عمل رئيسا للاستئناف ، ثم وزيرا للعدل انظر الصحراوي (عبد القادر) . شيخ الاسلام.

تقوم أول ما تقوم على التوحيد الذي يتفرع عنه التصور الاسلامي الخالد للحياة والانسان والكون .

4 – الاتصالات بالشرق عن طريق الكتب والمجلات التي كانت تحمل في طياتها عطاءات رجال الفكر والأدب مثل جمال الدين الأفغاني[9] ومحمد عبده[10] وأضرابهما .

5 – الاتصالات بأوروبا وذلك عن طريق فرض الحماية التي فرضت على المغرب والتي أوقدت في نفوس المغاربة الروح الوطنية المنبثقة عن عقيدتهم الاسلامية التي ترفض الاستكانة والظلم والاستبداد والطغيان ، وتدعو الى الثورة على سيادة الكفر على المسلمين ، كما أوقدت في نفوس علمائه – وهم أهل الحل والعقد فيه – الحماسة والغيرة على وطنهم الذي هو وطن الاسلام ، فهبوا للوقوف في وجه الزحف الاستعماري الصليبي ، وغيروا مفاهيم في البحث والنظر وتكيفوا – في إطار عقيدتهم – مع ملابسات الظروف وحاولوا تطوير الاساليب في التدريس والكتابة ، ومن بين أولئك على سبيل المثال محمد الحجوى[11] الذي أصدر كتابه (الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي)

---

(9) هو محمد جمال الدين الحسيني الأفغاني (1254 – 1315 هـ = 1838 – 1897 م) أحد مفكري الاسلام وزعمائه ولد في (سعد أباد) بأفغانستان ، درس العلوم العقلية والنقلية وبرع في الرياضيات ، رحل إلى عدة مدن وأقطار ونزل بمصر وفيها نشر أفكاره في السياسة وفي الاسلام ، دُسّ له السم كما قيل ومات في (الاستانة) ، من إنتاجه (الرد على الدهريين) انظر أبارية (محمود) : جمال الدين الأفغاني تاريخه ورسائله .

(10) هو الشيخ محمد بن حسن خير الله (1266 – 1323 م = 1849 – 1905 م) مفتي الديار المصرية ومن علماء الاسلام ودعاة التجديد ولد بـ (شنرا) من قرى الغربية بمصر وتعلم في الأزهر له إنتاج منه (تفسير القرآن الكريم ، ومما يؤسف له أن الشيخ تورط في مزالق نتيجة الاسراف في استعمال العقل انبهارا بحضارة الغرب انظر رشيد رضى : تاريخ الأستاذ الامام .

(11) عالم سلفي (1291 – 1376 هـ = 1874 – 1954 م)يعرف بالثعالبي الحجوي نسبة إلى قبيلة الثعالبة وقبيلة حجاوة بالجزائر ، ولد بفاس وبها تلقى علومه على والده وعلّي شيوخ القرويين ، ولما أنهى دراسته تولى التدريس به ، تقلد مناصب مهمة في الدولة منها وزارة العدل له إنتاج من بينه كتابه المشهور (الفكر السامي في تاريخ الفقه الاسلامي) ، وقد كان رحمه الله يعبد الله بالدليل لا بالمذهب ، وتلك صفة العلماء المجتهدين انظر ما كتبه عنه في الصفحة الأولى القارىء (عبد العزيز) من كتابه الفكر السامي ج 1 – ط 1396 .

ومحمد السائح[12] الذي أصدر أول كتاب للمنتخبات الأدبية للمدارس مترجما فيه لأدباء مغاربة ومحمد أقصبي[13] الذي أصدر أول كتاب مدرسي في تعليم الكتابة والقراءة بالطرق التربوية الحديثة ، وغير هؤلاء ممن اضطلعوا بأعمال علمية وأدبية عادت على هذا العهد بالخير العميم؛ إذ أيقظت الهمم للأخذ بزمام الحضارة وفتحت العيون على ما يجرى في المحيط المغربي من تفاعلات اجتماعية وتمخضات فكرية التي كان لها الدور الفعال في تهيء الأجواء المناسبة للجيل الصاعد حينذاك ليخوض هو الآخر الحياة الفكرية والسياسية من أجل تحرير البلاد من سيطرة الاجنبي .

وقد عرف شعرنا المغربي انطلاقا من هذه المرحلة وقبل الاستقلال اتجاهين شعريين :

أ – الاتجاه الاتباعي (الكلاسيكي) الذي ترسم النمط الشعري القديم شكلا ومضمونا ، وقد مثله شعراء نجتزىء بذكر الشاعر الوزير محمد بن ادريس[14] الذي سجل فيما سجَّل احتلال الجزائر في قوله من قصيدة له :

يا أهل مغربنا حق النفير لكم   الى الجهاد فما في الحق من غلط

وبذكر الشاعر محمد أكنسوس[15] الذي عالج فيما عالج فن النسيب فقال في قصيدة له :

---

(12) عالم سلفي (1309 – 1367 هـ = 1891 – 1948) من أصل أندلسي لقب جده بالسائح لأنه غاب عن أهله مدة طويلة ثم عاد ، أخذ عن عدة شيوخ منهم الشيخ أبو شعيب الدكالي ، مارس التدريس ومارس القضاء ، له إنتاج من بينه (منهل الوارد في تفضيل الوارد) انظر الجراري (عبد الله) الشيخ المبدع محمد بن عبد السلام السائح – ط 1 .

(13) من علماء فاس درس بجامعة القرويين ، وعند ما أتم دراسته بها عمل مدرسا بالثانوية الادريسية ثم عمل أستاذا بالقصر ثم عضوا بالاستئناف الشرعي ، له إنتاج منه (المنح الوافية على الألفية) توفي عام 1364 هـ موافق 1945 انظر الجراري أعلام الفكر المعاصر في العدوتين : الرباط وسلا . ج 2 ص 173 وما بعدها .

(14) أديب شاعر له ملكة قوية في الشعر والكتابة ومشاركة في الفنون اتصل بالسلطان عبد الرحمن بن هشام فحظي عنده وأصبح وزيرا من وزرائه ، توفي عام 1264 هـ موافق 1847 م انظر كنون (عبد الله) النبوع المغرب في الأدب العربي ص 316 ، 317 .

(15) عالم مؤرخ ، وشاعر وكاتب مجيد يعتبر أديب عصره توفي بمراكش عام 1294 هـ وهو صاحب كتاب (الجيش العرمر الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي) ، انظر مخلوفا (محمد) شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص 404 ترجمة 1623 وأنظر كنون (عبد الله) النبوع المغربي ص 317 .

اذاعن تذكار الأحبة أحياني وإن كنت أقضي منه في بعض أحيان

وبذكر الشاعر ادريس السناني[16] ومن الوصف عنده قوله :

وروض يروق الناظرين بهيج فسيان فيه الزهر والزليج[17]

وبذكر الشاعر محمد السليماني[18] ومن شعره في الربيع قوله :

بزغ الصباح فقم بنا نقضي أويقات السرور
وبدت دواعي الأنس في الأرجاء باهرة السفور[19]

وبذكر الشاعر أحمد بن المأمون البلغيثي[20] من شعره قوله في التشوق إلى تونس :

شوقي الى تونس شوق قديم قد طالما طارحت فيه النديم
وطول شوقي وامتحاني به لم يثنني عن نهجها المستقيم[21]

وبذكر الشاعر محمد غريط[22] ، من شعره قوله عن أيام الصبا :

سقى عهد الصبا صوب العهاد فما زال ادكاره في فؤادي

وبذكر الشاعر عبد الرحمن بن زيدان ، من شعره ، في المولد النبوي على صاحبه

(16) هو إدريس بن المقرىء علي السناني المدعو الحنش (... ـ 1319 هـ = 1901 م) شاعر ناثر وكان فقيرا لا يملك شيئا وحرفته الخرازة له ديوان شعر في مدح السلطان الحسن الأول والسلطان عبد العزيز وفي المولديات وغيرها يدعى (الروض الفائح بأزهار النسيب والمدائح) ، وله إنتاج آخر . انظر ابن إبراهيم (العباس) الاعلام بمن حل مراكش وأغمات من الاعلام ج 3 ص 42 وما بعدها .

(17) أنظر كنون (عبد الله) أحاديث في الأدب المغربي الحديث ص 29 .

(18) أصله من تلمسان (1280 ـ 1344 هـ = 1863 ـ 1925 م) شاعرنا وأديب تربى في بيت علم وفضل ، تولى خطة العدالة وبقي فيها إلى أن توفي ، له تآليف منها رسالة في أصل البربر ، انظر القباج الأدب العربي في المغرب الأقصى ج1 ص 41 وما بعدها .

(19) انظر الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 45 ، 46 .

(20) عالم وشاعر (... ـ 1348 هـ = ... ـ 1929ب م) ولد وتوفي بفاس ، عمل أستاذا بجامعة القرويين وولي قضاء الصويرة والدار البيضاء له ديوان يسمى (تنسم عبير الأزهار بتبسم ثغور الأشعار) انظر مخلوفا (محمد) شجرة النور الزكية ص 437 ترجمة 1719 وانظر الفاسي معجم الشيوخ ج 1 ص 113 .

(21) انظر الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 17 .

(22) شاعر ناثر (1298 - 1364 هـ = ... - 1880 - 1945 م) ولد بفاس درس بجامعة القرويين تقلد مناصب عليا له إنتاج من بينه ديوان شعر تحت عنوان (الرخيص والثمين واليسار واليمين) وكتاب (فواصل الجمان) انظر الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 1 وما بعدها .

أفضل الصلاة والسلام :

نزه الطرف في رياض المعاني وتنعم بنور تلك المغاني

وأياما كانت الحال فالاتجاه الاتباعي ظل يدور في فلك المضامين المعروفة في الشعر العربي من مدح ورثاء وهجاء وإخوانيات ومساجلات ووصف ، الا أننا نعثر أحيانا على مضامين تعد جديدة عند بعض الشعراء الذين تأثروا بحركة النهضة كالنشيد المدرسي الطويل الذي نظمه محمد غريط والذي يقول فيه :

يا بني العصر اجيبوا داعي النصح المنير
واستجدوا ذكر قطر كان ذا صيت شهير

وكقصيدة محمد السليماني (حماة الدين) التي يمكن لنا أن نعدها من الأغراض الجديدة ، لأنها صيحة تدعو الى الالتزام بالقيم الاسلامية ، وتدعو الشعر إلى أن يخوض المعركة ويدع الحديث عن مراشفة الرضاب والثنايا العذاب ، فما ذلك بمجْدٍ والأمة فقدت صوابها والأوان ليس أوان غزل يقول :

دعيني من مراشفة الرضاب وعدي عن ثناياك العذاب
وعاطيني صريح النصح صرفا فعز الدين آذن بانسحاب

إلى أن يقول مخاطبا حماة الدين :

حماة الدين هبوا من سبات فمركزنا يئول الى خراب
تركنا الدين خلفا لا نبالي ولم نترك لنا غير انتساب(23)

وكقصيدة له أخرى في الدعوة إلى التعلم والأخذ بأسباب الحضارة يقول فيها :

ومغفل مل الجمودَ فؤاده ومهذب متضائل ومهدد
أومؤخر رضي الخمول لغاية وموفق لمعاده بتزهد

ب – الاتجاه الاتباعي الجديد الذي سار على غرار حركة البعث والتجديد في المشرق ، وقد تميز بطرق المضامين القديمة ، كما تميز في الوقت نفسه بالتجاوب مع الحركة الوطنية والسياسية التي تمخضت عن الأحداث الكبرى التي مر بها المغرب ،

(23) الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 1 ص 81 .

ونلاحظ ان من هذا الاتجاه جماعة تأثرت بمدرسة (الديوان) التي مثلها العقاد[24] رحمه الله وغيره ، ومدرسة (أبولو) التي مثلها الدكتور ابو شادي[25] ، واغترفت من كل ذلك من حيث المعاني الجديدة في الحرية والوطنية وقضايا المجتمع بعامة والرؤية الرومانسية للأشياء .

ومن الشعراء الذين طبعت أعمالهم الشعرية حركة البعث والتجديد في المشرق الشاعر علال الفاسي[26] رحمه الله الذي يقول في قصيدة له (إلى الشباب الممثل) موجها الحديث إلى الشباب ومستنهضا همه وحماسته كي يأخذ مكانه في الحياة كقوة دافعة إلى المكرمات :

كل صعب على الشباب يهون   هكـــذا همة الرجـــال تكـــون
قدم في الثرى ، وفـوق الثريـا   همة قدرهـــا هنـــاك مـــكين[27]

والشاعر محمد المختار السوسي[28] الذي يظهر لنا بوضوح حالة الجهل التي كان يعيش فيها المجتمع المغربي على حين أن غيره من الأمم قد قطع أشواطا في ميدان العلم والمعرفة وذلك في قصيدته (الهلاك ولا الجهل) يقول فيها :

(24) هو عباس محمود العقاد (1307 – 1384 هـ = 1889 – 1964 م) علم من أعلام النهضة العربية الحديثة ومفكر موسوعي ، ولد بأسوان كون نفسه بنفسه وأتقن الانجليزية ، واستطاع بعصاميته وذكائه أن يحتل مكانة مرموقة في الفكر العربي الحديث ، له إنتاج في الفلسفة والتاريخ وقضايا الاسلام ودواوين شعرية ، انظر شوقي ضيف مع العقاد سلسلة إقرأ وانظر الهلال العدد الخاص عنه رقم 4 سنة 1386 – 1967 .

(25) هو أحمد أبو شادي (1310 – 1375 هـ = 1892 – 1955 م) ولد بحي (عابدين) في القاهرة ونشأ في بيت أدب وعلم ، درس الابتدائي والثانوي ثم سافر إلى إنجلترا لدراسة الطب ، ورجع إلى بلده بعد تخرجه من كلية الطب . وكان مغرما بالشعر والأدب ، لذلك عالجه ومارسه وأسس جماعة (أبولو) وأصدر باسمها مجلة ، من دواوينه (أنين ورنين) ، انظر شوقي ضيف . الأدب العربي المعاصر في مصر ص 145 وما بعدها .

(26) أحد علماء المغرب ومفكريه ، وأحد زعمائه (1328 – 1394 هـ 1910 – 1974 م) درس بالقرويين وتخرج فيها ، دعا إلى السلفية ونبذ الخرافة الطرقية ، تولى زعامة حزب الاستقلال وقاوم الاستعمار ، وساهم في عدة ميادين إصلاحية ، له إنتاج من بينه (النقد الذاتي) ، وله ديوان شعر ، انظر القباج الأدب العربي في المغرب الأقصى ج 2 ص 1 ، وانظر ترجمته المفصلة في غلاف كتابه (النقد الذاتي) ، وانظر (العلم الثقافي) العدد الخاص عنه – السنة 5 – رقم 270 عام 1395 – 1975 .

(27) انظر القباج ج 2 ص 8 .

(28) عالم وشاعر (1319 – 1383 هـ = 1901 – 1963) ولد بقرية (الغ) درس بمراكش ثم انتقل إلى فاس وأخذ عن علمائها ، وبعد الاستقلال عين وزيرا للأوقاف ثم وزيرا للتاج ، له مؤلفات من بينها (المعسول) . انظر القباج ج 2 ص 60 وما بعدها ، وانظر السولامي (إبراهيم) الشعر الوطني المغربي ص 241 – مطبعة النجاح (بدون تاريخ) .

حتى متى شعبي يعبده الجهل كأن لم يكن قطب السيادة من قبل
كأن لم يكن يوما مديرا لتلكم الممالك يحمي ما يشاء ويحتل[29]

والشاعر عبد الأحد الكتاني[30] الذي يؤكد لنا جليا تجاوب الشعر مع المرحلة السياسية والحضارية التي عرفها المغرب حينذاك ، وذلك في قصيدته (في معهد الدروس العليا بالرباط) يقول فيها :

صدق العلـم للحقيقـة وعـد عقدتـه يـد العدالـة عقـدا
إنما العلـم آيـة الصدق تـتلى ومثـال الكمـال بـالحق يحدا

ثم يقول :

ان روح الحيـاة لـيس نديـا انما العلـم بالتعلـم ينـدى
أوجديـر اذا المعـارف شاءت أن يطير الجماد جمعا ووحـدا[31]

أما فئة الشعراء الذين تأثروا بمدرسة (الديوان) و(أبولو) فمنهم الشاعر محمد الحلوي[32] الذي يقول متغنيا بحب وطنه :

يابلادي وليس أشهى إلى نفسي وأحلى من أن أنادي بلادي
أنا إن فهت كنت أول ما يجري لساني وخيرما في اعتقادي

ثم يقول :

قد سلوت الهوى ونجوى الغواني والليـالي الملاح في شهـرزاد
منذ هامت بقدس حبك روحي وأضاءت أنـواره في فـؤادي[33]

والشاعر عبد الكريم بن ثابت حين يقول في موشح غزلي :

يـا فـاتك الأحـداق وساحـر الـعين
وفاتـن الـعشاق بـالحسن والطهـر

(29) انظر القباج 2 ص 64 .

(30) عالم شاعر درس بفاس على الشيخ أحمد بن الخياط كما درس على أبيه وغير أبيه ، انظر القباج ج 2 ص 93 وما بعدها .

(31) انظر القباج ج 2 ص 107 وما بعدها .

(32) شاعر ولد بفاس عام 1341 هـ موافق 1922 تخرج في جامعة القرويين وعين أستاذا بها وانتقل إلى تطوان ومارس هناك التدريس في مدارسها ، وأحيل أخيرا على المعاش ، له ديوان مطبوع تحت عنوان (أنغام وأصداء) انظر السولامي الشعر الوطني المغربي ص 234 ، 235 .

(33) انظر ديوانه أنغام وأصداء ص 28 .

ولعل عبد الكريم بن ثابت[34] من أكثر شعراء هذا الاتجاه إغراقا في الرؤى الرومانسية ، فلنسمعه حين يصف الطبيعة ثم ينتقل الى الحديث عن غد الوطن ومستقبله الجميل :

تلفت فارتاع بين الضلوع فؤادي الحزين بفرط النحيب
ومن حولي القوم بعض هجوع وبعض حبيب يناجي الحبيب

وبعد أبيات يقول :

وبعد زمان أطل الصباح كطفل على مهده يبسم
كعذراء بين مروج البطاح تتيه وترقص أو تحلم
كثغر الورود كخد الأقاح على حزن ضاحك يحلم

الاتجاه الشعري لابن موسى :

بعد هذا العرض الموجز للاتجاهين الشعريين اللذين عرفهما شعرنا المغربي خلال هذه الفترة التي نؤرخ لها[35] يطرح سؤال نفسه بإلحاح هو : إلى أي اتجاه ينتمي شاعرنا ابن موسى ؟ الجواب هو أن شاعرنا ابن موسى ينتمي إلى الاتجاه الاتباعي (الكلاسيكي) ، ولا يمكن بحال أن نصنفه في إطار الاتجاه الجديد ، ذلك أنه في تعامله مع الاغراض الشعرية لم يخرج عن النمط التقليدي الذي سار عليه الاتجاه الاتباعي في معالجته للمضامين كالمدح والرثاء والغزل وغيره ، وفي طريقة تناوله

---

(34) شاعر رقيق (1334 - 1381 هـ = 1915 - 1961 م) ولد بفاس ، درس بالقرويين دراسة متقطعة ، وأكب على دراسة الأدب والشعر بمكتبة عائلته ، التحق بكلية الآداب جامعة القاهرة ودرس بها ، وعين ملحقا ثقافيا بتونس بعد الاستقلال ، وبتونس استأثرت به رحمه الله . طبع له ديوان تحت عنوان (ديوان الحرية) ، انظر السولامي الشعر الوطني المغربي ص 217 ، 218 .

(35) ننبه على أننا لم نتحدث عن إتجاه شعري ثالث ظهر بعد الاستقلال ، لأن الفترة التي ندرسها هي فترة ما قبل الاستقلال ، ومع ذلك فلا بأس من الاشارة إلى أن هذا الاتجاه ينهج نهجا جديدا في الرؤية الشعرية ، إذ يرتاد عالما يحفل بقضايا الحرية وقضايا المجتمع ، ويتميز بأسلوب شعري جديد سواء في الصورة أو في التعامل مع الوحدات الموسيقية ، وقد يلتزم هذا الاتجاه القالب العمودي موفقا بينه وبين المضامين الجديدة تاركا للحظة الشعرية إملاء النمط النغمي المناسب وتلك هي التلقائية الشاعرية التي لا تعتمد الاختيار ، وإنما تستجيب في عفوية لايحاءات الابداع في وقت يخضُّر الاستعداد مستحثا الخاطر على صَوْغ الحرف المنغَّم . (هذا من دراسة للمؤلف تحت عنوان (آفاق الدعوة السلفية في الشعر المغربي الحديث ألقاها بكلية الآداب بوجدة بمناسبة الندوة التي نظمتها هذه الكلية أيام 11 ، 12 ، 13 رجب 1404 موافق 12 ، 13 ، 14 أبريل 1984 تحت عنوان (جوانب من الأدب في المغرب الأقصى) . ونشرتها هذه الكلية في كتاب مع بحوث أخرى تحت عنوان (ندوة حول جوانب من الأدب في المغرب الأقصى) سلسلة ندوات ومناظرات رقم 1 .

الفني لهذه المضامين في الأخيلة والتصوير والقيم التعبيرية ، مع هذا فإننا نعثر على مضمون جديد هو حديثه عن القضية الوطنية من خلال مدحه للسلطان محمد الخامس رحمه الله وبسطه الكلام عن أساليب المكر الاستعماري ، وثورة الشعب ضِداً على دسائس العدو ، وذلك في قصيدته التي يفتتحها بقوله :

أبي المجد الا أن تقاد جنائبه   وتمرح في سوح المعالي نجائبه

بالرغم من ذلك فإننا لا نكاد نظفر في عمل ابن موسى الشعري بالمحتوى الوطني الذي يجسد بحق خصائص الوطنية ، ومميزاتها بالصورة التي نقع عليها عند من تناول هذا الموضوع بالدعوة إلى الوحدة الوطنية واللغوية والاصلاح والتعليم والرجوع إلى الفكرة الاسلامية الصحيحة ، ونبذ الخرافات والدعوة إلى الجهاد ومقاومة المخططات الاستعمارية ، والكشف عن مكامن الأدواء في الأمة كالجهل والاستسلام للواقع دون العمل على تغييره ، والتكاسل عن اللحاق بالركب الحضاري كالشاعر علال الفاسي والشاعر محمد الحلوي وغيرهما من الذين عالجوا هذه المضامين الجديدة التي عرفها شعرنا الحديث بصورة واضحة نتيجة الظروف السياسية والاجتماعية والتفاعلات الحضارية التي أصبح المجتمع المغربي يرتبط بها ارتباطا وثيقا .

معنى هذا أن ابن موسى لم يفد من الاتجاه الجديد ، لذلك نسأل لماذا لم يتأثر شاعرنا بهذا الاتجاه ؟ ولماذا لم يكسر الجدار الذي أحاط به شعره ويطل به على آفاق جديدة تجعله يتفاعل والظروف المجتمعية ، فتشده إلى الحياة ومشكلاتها واحداثها الكبرى وأزماتها المتعددة ، ويعبر عن ذلك من خلال موقفه الشعوري ، ومن خلال التجربة والمعاناة التي تحفزه إلى أن يحدد تصوراته ازاء كل جانب من الجوانب التي تحتويها الخريطة الكبرى للحياة .

ليس هناك عندي من تعليل أو تفسير لهذا الحصار الذي ضربه على شعره إلا أنه كان ينظر إلى التراث الشعري نظرة الاجلال والاكبار ، وأنه كان منجذبا إليه انجذابا قويا ، ومعتزا بتقاليده وطرائقه اعتزازاً حال بينه وبين أن يستقي من غيره ، وأن يستشرف معالم صوره وموضوعاته ، لذلك لم يشعر الشاعر – نتيجة التقديس للتراث الشعري – بحاجة إلى تطعيم أدبه ورفده بالجديد .

ويبدو لي أن شاعرنا بما يملكه من أداة فنية وملكة شعرية خصبة وثراء في اللغة ، لو حاول أن يتأسى حركة التجديد ويتمثلها – كما تمثل القديم – لأتى بما يُبْدِهُ الخواطر ، وأسوق هنا مثالين على ذلك – على سبيل المثال – الأول هو أن شاعرنا

سمع من إذاعة (طنجة) في برنامج (رياضة الأصابع) مساء يوم الاثنين الأربعاء ثالث ربيع الأنور عام 1973هـ موافق 11 نوفمبر سنة 1952م قطعة نثرية لجبران خليل جبران[36] فأعجب بها فحولها إلى قصيدة[37] ومطلعها :

أنا في مسرح الحياة دليل الحب   في غـــزوه وخمرة نـــفس[38]

وبالموازنة بين النصين النثري والشعري نجد ابن موسى قد فاق جبران بما أبرز في قصيدته من انسياب في التعبير وذوق في اختيار اللفظة الشعرية الموحية ، وتكثيف للظلال تتناسق مع موسيقا البحر ورويه السين بعيدا عن الفحولة التي عرفناها في عموم شعره .

ومثال آخر هو موشح[39] قاله بمناسبة دخول الخليفة السلطاني[40] حينذاك إلى طنجة مترجما عن قصيدة الشاعر الاسباني (رافاييل دويوس خيوخيتا) (Rafael Duyos Giogeta)[41] يقول في أوله :

تحت شمس الربيع ذات الضياء   سرت في عرشك الرفيع اللواء
فاستعارته من بديع السنـاء   ما جلت للمدينة الحسنـاء

---

(36) جبران خليل جبران من أحفاد يوسف جبران الماروني البشعلاني اللبناني (1300 – 1349 هـ – 1883 – 1931 م) من أشهر الكتاب المعاصرين المهجريين ، ذو خيال خصب ، أصله من دمشق جاء أجداده إلى بعلبك ثم إلى قرية (بشعلان) في لبنان تعلم ببيروت العربية وتثقف فيها ، وسافر إلى باريس وبها أخذ إجازة في التصوير وأقام بعد ذلك في أمريكا وتوفي بها ونقل رفاته إلى مسقط رأسه (بشراي) من كتبه (دمعة وابتسامة) و(الأرواح المتمردة) (العواصف) انظر فاخوري (حنا) تاريخ الأدب العربي – ص 1094 .

(37) القصيدة ضمن ديوانه الذي جمعته وحققته .

(38) سيأتي الحديث عن هذه القصيدة في الفصل الأخير .

(39) الموشح ضمن ديوانه كذلك ، والقصيدة الاسبانية منشورة مع النص العربي في كتاب طبعته دار الطبع المغربية في تطوان بمناسبة عيد الكتاب ، وذلك بتاريخ 1361 موافق 1942 .

(40) هو الحسن بن المهدي (1328 – 1405هـ = 1910 – 1985م) ولد بفاس وانتقل مع أبيه إلى تطوان ، تعاطى العلوم الاسلامية والعربية على شيوخ خصوصيين من بينهم الشيخ أحمد الزواقي وتعلم الاسبانية وأتقنها ، تولى الخلافة السلطانية يوم 20 ربيع الآخر عام 1344 هـ موافق 8 نوفمبر 1925 وبعد الاستقلال عين سفيرا للمغرب بإنجلترا ثم بإيطاليا ، وعمل واليا لبنك المغرب ، انظر مجلة الأنيس العدد الخاص بالزفاف الخليفي السنة 4 – 4 شعبان عام 1368 موافق فاتح يونيو 1949 م ، وانظر مجلة المعرفة العدد الخاص أيضا بالزفاف الخليفي السنة 2 – 8 شعبان عام 1368 موافق 5 يونيو 1949 .

(41) لم أقف على ترجمته .

وبالموازنة أيضا بين النصين العربي والاسباني نجد ابن موسى فاق نظيره الشاعر الاسباني بما أشاع في الموشح من روح شاعرية شفيفة رقراقة ، وعذوبة لفظية مترقرقة تختلف عن النسق القديم الذي يعتمده في عموم أعماله الشعرية .

وفي هذين المثالين ما يؤكد أن ابن موسى يملك طاقة فنية فذة ، لو أنها استغلت إمكاناتها الثرارة في استحياء الأجواء الجديدة لقدمت لنا عملا شعريا مكثفا بالرؤي الحية الغنية المعبرة بحرارة عن مدلولات الحياة في امتدادها عبر الأحداث المتنوعة ، وتواصلها عبر المواقف الكثيرة .

الفصل الأول
حياة الشاعر

المولد والدراسة

أبصر شاعرنا نور الحياة بمدينة مراكش على رأس القرن الرابع عشر الهجري رواية عن الأخ الأستاذ محمد أبي خبزة(42) الذي سمع الشاعر بنفسه يصرح بذلك وهو يملي ترجمته(43) على الأستاذ المؤرخ محمد داود رحمه الله(44) ، ويعزز هذا أنه توفي عام 1385هـ كما هو مثبت على لوحة قبره ، وسنه تناهز الخامسة ، والثمانين ، وكما قال أستاذنا عبد الله كنون(45) في مقدمة(46) لقصيدة ابن موسى في مدح

(42) عالم سلفي وشاعر أديب ولد بتطوان عام 1350 هـ موافق 1931 م تلقى العلوم بالمعهد الديني بتطوان ، واختلف إلى حلقات العلماء في المساجد وغيرها ، ومن شيوخه السيد أحمد الزواقي والسيد محمد الصادق الريسوني والسيد أحمد الرهوني ، والمحدث السيد أحمد بن الصديق ، ثم انقطع للدراسة الحرة فوعى من المعارف الشيء الكثير ، له إنتاج شعري ونثري منشور في مختلف الصحف والمجلات التطوانية ، عمل كاتبا بالمحكمة الاقليمية وهو اليوم يشرف على قسم المخطوطات بالمكتبة العامة بتطوان ، ويزاول بجانب ذلك الوعظ والخطابة ويدعو إلى الله في إطار الدليل ، وتلك مزية العالم الحق . من أعماله المطبوعة وضعه فهرساً لمخطوطات خزانة تطوان (قسم القرآن) و(قسم مصطلح الحديث والسيرة) من أعماله كذلك تحقيقه كتاب في الأربعين حديثاً في فضل الجهاد لعلي بركة .

(43) كنت قد طلبت من الأستاذ داود رحمه الله هذه الترجمة فبذل وسعه في البحث فلم يعثر عليها مع الأسف .

(44) عالم ومرجع في تاريخ تطوان (1318 – 1404 هـ – 1901 – 1984 م) ، ولد بتطوان ودرس بمسقط رأسه ، ومن شيوخه أحمد الرهوني ، سافر إلى فاس ودرس بها ، وتقلب في وظائف مهمة آخرها مديرية المكتبة الملكية بالرباط ، ويعتبر الأستاذ داود من الرواد الأوائل في عالم الصحافة من تآليفه (تاريخ تطوان) وله غيره لم يطبع بعد .

(45) من علماء المغرب وأدبائهم المرموقين (1326 – 1409 هـ = 1908 – 1989 م) ولد بفاس ونشأ في بيت علم وصلاح ، درس بالقرويين ، ثم انتقل مع أبيه إلى طنجة وبها استقر ، أسهم في إنشاء المدارس الحرة ، واشتغل بالتدريس والخطابة ونشر الأفكار الاصلاحية ، من تآليفه المشهورة (النبوغ المغربي) و(مشاهير رجال المغرب) وله ديوان شعر سماه (لوحات شعرية) ، تقلد وزارة العدل في الحكومة الخليفية بشمال المغرب أيام الاحتلال ، وعمالة طنجة بعد الاستقلال ، وعمل عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، وأمينا عاما لرابطة علماء المغرب ، انظر القباج الأدب العربي ج 2 ص 36 وما بعدها ، وانظر صحيفة النور الاسلامية المغربية – العدد 17 – 2 – رمضان 1395 – شتمبر 1975 – ص 10 ، وانظر كذلك السولامي ، الشعر الوطني المغربي ص 230 .

(46) نشرت بمجلة دعوة الحق – العدد 4 – السنة 9 – 1385 – 1966 .

الملك محمد الخامس رحمه الله[47] ، فتكون حينذاك ولادته موافقة للرواية المذكورة التي نعتمدها لكونها متصلة السند بالمترجم .

وقد درج في بيئة علمية ، فأبوه (فقيه عالم وكاتب بارع)[48] ، ولاشك عندي أنه اختلف إلى المكتب القرآني كباقي لداته من ابناء العصر لحفظ القرآن ، وتلقي العلوم الابتدائية ، ولا شك عندي انه لقي من أبيه كل الرعاية فأرشده وزوده بالمعارف ، وتعهد مواهبه يصقلها ويثريها بالعطاء .

عاش الشاعر في هذه البيئة التي وفرت له ما أغنى استعداده ، وأوقد في عمقه الرغبة الملحة لاكتساب المعارف ، فأكب على المطالعة والدارسة ووعى من علوم عصره رصيدا ضخما ، وقد أعانته على ذلك حافظته النيرة ، وذكاؤه الثاقب وادراكه السريع .

ولم يقنع شاعرنا بهذا فقط بل حدثته نفسه الوهى بالسفر إلى فاس ، قبلة كل من تعلق بالمعرفة من قريب أو بعيد ، وهو يعلم أنه سيتكبد الصعاب وسيتجشم المتاعب ، لكن ذلك لم يثنه عن عزيمته ، ويفت في عضده ، فسافر اليها للاستزادة من المعارف وإرواء عطشه بمجالسة العلماء وغشيان حلقهم ، فكان من بين الذين استفاد منهم واغترف من علمهم شيخ الجماعة السيد أحمد ابن الخياط[49] والعالم الشاعر السيد أحمد بن المامون البلغيثي[50] .

ولست أدري كم سلخ من الأعوام الدراسية بفاس إنما الذي أدريه على وجه اليقين هوانه كان بفاس عام 1326هـ موافق 1908م وسندي في ذلك الأبيات التي استجاز بها الشاعر – وسيأتي الحديث عنها – شيخه البغيثي الآنف الذكر ،

---

(47) سلطان المغرب (1329 – 1380 هـ = 1911 – 1961 م) ولد بفاس وتولى الملك عام 1346هـ موافق 1927م عمل من أجل استقلال المغرب فناهض الاستعمار فتم بفضل الله ثم بفضل تضحياته وتضحيات الشعب المغربي الحصول على الحرية وطرد المستعمر الغاشم ، انظر الجراري (عبد الله) من أعلام الفكر المعاصر ج 2 ص 235 وما بعدها وانظر داود (محمد) تاريخ تطوان القسم الأول المجلد الأول ص 33 وانظر أحمد عطية القاموس السياسي ص 1156 ط 3 .

(48) كذا في الرسائل التي كان يبعث بها الشاعر لأبيه ، وكذا في رسالة موجهة من أحمد عبد الواحد المواز لوالد الشاعر وكل ذلك أحتفظ به .

(49) من علماء فاس وشيخ الجماعة بها في وقته (1252 – 1343 هـ = 1836 – 1924 م) من تآليفه حاشية على شرح الخرشي على فرائض المختصر ، وحاشية على شرح محمد بن عبد القادر الفاسي في المصطلح ، انظر الفاسي (عبد الحفيظ) ، معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة ج 1 ص 127 وما بعدها .

(50) سلف التعريف به والحديث عن صلته بالشاعر ، فراجع ذلك .

والمؤرخة بهذا التاريخ .

المرحلة العرائشية

ولست أدري أيضا بعد انتهائه من دراسته بالقرويين هل عاد إلى بلده مراكش وزاول بها عملا ما أم لا ؟ غير أن رساالة مؤرخة بتاريخ 27 جمادى الآخرة 1328م ، من انشاء الشاعر كتبها على لسان محمد الفاضل ابن يعيش(51) يخبر والده فيها بعقده له – أي ابن موسى – على أخت ابن يعيش المذكور تكشف لنا عن أمر مهم هو أن الشاعر تزوج في نحو الثامنة والعشرين من عمره ، وأنه بعد الانتهاء من الدراسة بمدة – وسلف انه كان بفاس عام 1326هـ – عاش مع صهره ابن يعيش في هذه الفترة يقول في هذه الرسالة «لما كان اخونا السيد محمد من القسم الواجب في حقه على أن الانسان لا يعد في ذوي المروءة ملاحظاً بعين الاجلال الا اذا أحرز قصب سبقه اقتضت عواطف الاخوة الحامية ذمار حقيقتها المانعة من تطرف شوائب النقص حياض طريقتها أن عقدنا له على أختنا المصونة السيدة عائشة ، وأحرزنا بذلك ثلثي دين كل منهما بأن وصلناه بمجانسة مروءة وصيانة مع توفر شرط الكفاءة الملاحظ شرعا في كليهما حالا وديانة ، وكان مؤملنا أن يصدر هذا الأمر بحضوركم حرصا على توفر فرحكم به وسروركم ، غير أن الأقدار لما كانت لا تعطي الانسان قيادها ، ولا تمكنه من ادراك مراماته وقت ما ارتادها بادرنا باختلاس هذا الامر من يد عوائقه علما بأن الليل لا يحتفظ في عموم الازمان بسارقه وتعين اعلامكم به بذلك الخ»

ومع ذلك فلا يمكن ان نقطع بأنه لم يرجع الى مراكش ، ولم يباشر بها عملا ما دمنا نجهل العام الذي أنهى فيه دراسته بفاس ، اذ ليس مستبعدا أن يكون عام 1326هـ هو اخر عهده بالدراسة فتكون هناك ، إذاً فترة ما بين 1326هـ وتاريخ الرسالة المذكورة 1328هـ لعله رجع فيها الى بلده ومكث بين ربوعه مدة زوال خلالها عملا من الأعمال .

كان شاعرنا مرتبطا في هذه الفترات من حياته بصهره ابن يعيش ، وينتقل بانتقاله ويرحل برحيله ، فلما عين باشا في العرائش – ولم اقف على تاريخ تعيينه والمدينة التي أتى منها – اصطحب معه ابن موسى كما حدثتني بذلك زوجة أخيه محمد – فتحا – (52) وكان وجودهما بالعرائش عام 1334هـ موافق 1916م كما هو

(51) لم أقف على ترجمته وما أعرف عنه هو أنه صهر الشاعر وباشا العرائش .

(52) شاعر ناثر ، لكنه لا يرقى مستوى أخيه ، كان كاتبا من الدرجة الأولى بالديوان الخليفي توفي عام 1377 موافق 1957 .

مثبت بخط الشاعر نفسه في كناشه الخاص بالمراسلات التجارية .

وبتأملنا هذا الكناش نستقي معلومات جد مهمة عن حياة الشاعر الأولى في مدينة العرائش وهي أنه نزل بها في طور الشباب ، وأنه كان يزاول بها مهنة تجارية حرة منذ عام 1334هـ موافق 1916م ، وفي هذا العام كان يتولى ابن يعيش الباشوية حسب الوارد في المراسلات التجارية بالكناش ، وكمثال على ذلك اسوق فقرات من احدى هذه المراسلات يقول ابن موسى بعد كلام طويل «ولعلك تكون وجهت لنا السلعة التي اخبرت انها عند المعلمين وترانا لا زلنا لم نرتب السلعة في الحانوت حيث أن (المعلم) النجار لا زال مشتغلا في صنع الزينة لها ، وستكون ، بحول الله ، من أحسن الحوانيت التي في ذلك الصف ، ومهما كملت نعرفك بما صرفنا عليها ليكون الصائر عليها بينا على السوية» الى أن يقول «وأمَّا (البلاغي) من العينة التي كنا أوصيناك عليها للباشا فلم توجه لنا منها (بلغة) واحدة ، وعلى المحبة والسلام في 5 ذي القعدة 1334هـ موافق 4 شتمبر 1916م» .

هنا نطرح أسئلة : هل كان ابن موسى كاتبا للباشا في هذا العام ؟ هل كان يزاول مع هذه الوظيفة التجارة ؟ وهل وظيفته لم تكن تسد متطلبات حياته فلجأ إلى التجارة ؟ أم أنه لم يكن قد تقلد بعد وظيفة كاتب الباشا ، فباشر مهنة التجارة ريثما تحين الفرصة لوظيفته .

الذي نعلمه ، بدون شك ، هو أنه كان كاتبا للباشا عام 1342هـ موافق 1924م[53] ، وأعفي من مهمته في 25 جمادى الآخرة 1345هـ موافق 1 يناير 1927[54] .

ويبدو أن وظيفة كاتب الباشا لم تكن تسد حاجات الشاعر ، وأنه كان يحيا تحت وطأة الحاجة ، ويعاني العوز ، ويفسر هذا أنه حين علم بأن أمين جمرك العرائش قد استعفى فأعفى كتب رسالة رقيقة إلى رئيس لوزراء حينذاك السيد محمد بن عزوز[55] يطلب منه فيها أن يلتفت إليه بتعيينه في المكان الشاغر يقول : « ...

---

(53) كذا في المنجز السنوي الاسباني (Anuario) لسنة 1924 م صحيفة 447 وقد مكنني منه السيد محمد امغارة وقد توفي أخيراً .

(54) الجريدة الرسمية عدد رقم 9 – 8 ذي القعدة عام 1345 هـ موافق 10 ماي 1927 م .

(55) من موالد فاس (1278 – 1350 هـ = 1861 – 1931 م) تقلب في وظائف سياسية مهمة فكان حاجبا للملك عبد الحفيظ رحمة الله ، جاء إلى تطوان مع الخليفة السلطاني المهدي بن إسماعيل عام 1331 هـ موافق 1913 م وتولى رئاسة الحكومة الخليفية الأولى انظر مجلة الاتحاد العدد 48 – السنة 5 – ذو الحجة 1349 هـ موافق ماي 1931 .

إني علمت أن أمين الصندوق بدوانة العرائش استعفي فأعفي فانتهزت هذه الفرصة على ما فيها ، إذ لم أجد غيرها للتنبيه في نفسي لديكم راجيا من مراحمكم الأخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف إعانة لي بأجرته الخ» .

ولا يخفي ما توحي به عبارته «الأخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف إعانة لي بأجرته» من إحساس الشاعر بضيق اليد وقلة المال ، وشعوره بالحاجة الأكيدة الى رافد يستقي منه العون على لأواء الحياة .

ويظهر أن هذه الرسالة مع ما فيها من تصوير لحالة الشاعر ، وما فيها من تزلف أملته الظروف العصيبة لم تحظ لدى الوزير بالرضى والقبول والرعاية لسبب من الأسباب لا ندريه ، ذلك أن الشاعر لم يتقلد أمانة الجمرك إلاّ بعد سنوات ، لأنه أعفي – كما سبق – من وظيفته كاتب الباشا عام 1345هـ موافق 1927 والرسالة المذكورة بتاريخ 1340هـ .

ثم تولى ابن موسى امانة الجمرك بالعرائش ، ولا أعرف بالضبط عام تعيينه ، وقد بحثت في الجرائد الرسمية بالعربية والاسبانية لعلي أعثر على ظهير توليته ، ولكن بدون جدوى ، والمؤكد أنه – كما ورد في مجلة الاتحاد[56] – كان يباشرها عام 1347هـ . موافق 1928 إذ تنص فيما تنص على مشاركة شاعرنا في مسابقة أدبية في التاريخ المذكور كما سيأتي .

ثم لست ادري كذلك عن شعره في مرحلة الطلب والتحصيل والعمر الفتي شيئا يذكر الا ابياتا استجاز بها شيخه البلغيثي عام 1326 موافق 1908 بفاس هي :

أبداً علا أفق المعالي ففخارت ... بهمته شرق البسيط مغاربه

ومن فضَّ ختم المشكلات وزانه ... كما شاد مستخفي القريض وسَارِبُه

ومن عمَّ هذا العصر علماً فأنهلت ... جميع من استهوى وعلَّت مشاربه

يصول به فصلُ القضاء فَتَزْدَهِي ... مقـاصِرُهُ بالمشتكـي ومحاربـه

وتعتصم الآمـال منـه بزاخـر ... فـلا آمِـلٌ إلاَّ لَدَيْـه مآربـه

(56) العدد 17 – السنة 2 – صفر 1347 هـ – غشت 1928 .

أيسعد عبد نال منكم إجازة
أم القصد سامٍ لا تُرامُ غواربه

أجبْهُ أدامَ الله فضلك ظاهراً
وأبقاك عضباً لا تُفَلُّ مضارِبُه

بيد أنني أجزم بأنه قال شعرا غير هذا في فترة الطلب والعود طري ، وأن محاولات أخرى سبقت هذه الأبيات التي تقطع بما تحويه من نفحة شعرية رقيقة أن صاحبها واعد جد واعد سيكون له شأن أي شأن وسيملأ السمع والبصر ، وستنصت إليه الربوع العرائشية مبهورة الأنفاس منتشية الأعطاف ، وستصغي إليه المرابع التطوانية مدغدغة الاحناء ، زاخرة الاحساس ، ولعل شيخه البلغيثي أعجب بنبوغه فرعاه حق الرعاية — وهو الشاعر الذي لا تنكر شاعريته — وقربه إليه وآثره على غيره فتولاه بعناية وأغنى ملكاته بالارشاد حينا ، والتشجيع حينا آخر .

وإن ما لدينا من أعماله الشعرية ليؤكد لنا أنه روض طاقته على الشعر ومرن قدرته الفنية على طرقه وأساليبه منذ أن أحس دبيبه يسري في أعماقه ، فعالجه واحتك به وعاناه مدة الى ان استوى على سوقه ، واستجاب له بعد دربة استجابة جعلت منه الشاعر المجلى يضرب في الآفاق المشرقة الغامرة متى فاضت القريحة ، ومتى تفجر الاحساس ، ومتى انتشى الخاطر ، ومتى تندت الرؤية .

ولو أننا ظفرنا بمجموعة من بواكير أعماله لاستطعنا أن نزيح الستار عن جوانب من حياته في مرحلة الشباب المبكر ، تلك الجوانب التي قد تلقي الأضواء الكاشفة عن مَنَاحٍ في شخصيته بعد مرحلة النضج تتبدل بسببها احكام تعقبها استنتاجات مفيدة ، وأنا أبذل الوسع ، كل الوسع ، في درس حياة الشاعر من خلال شعره ونثره كلما وجدت نصا من نصوصه الشعرية أو النثرية تخدمنا في استقاء معلومات جديدة تكمل الصورة عن حياة الشاعر في جل مراحلها .

هناك في العرائش استقر شاعرنا مدة غير قصيرة تتجاوز العشرين سنة اعتمادا على تقديري من ان وجوده بالعرائش — كما ألمعت سابقا — كان عام 1334هـ موافق 1916م حسب مراسلاته التجارية ، واعتمادا على أنه أعفى من أمانة الجمرك عام 1356 — 1937م كما سيأتي إن شاء الله ، وفي هذه الفترات الزمنية اكتسب صداقة أهل البلدة فكان يختلف الى مجالس الطرب والانس كلما سنحت له الفرصة ، وها هو نفسه يتحدث عن ذلك في أبيات قالها على البديهة في مجلس ضم أعيان البلدة ،

وكان من بينهم مطرب بارع في عزف الكمان يدعى عبد السلام الغازي[57] التطواني الذي شنف الأسماع وحرك الأحاسيس بنغمات كأنه ، فلم يملك شاعرنا نفسه ، وهو في غمرة النشوة ، فهتف بإعجاب :

ما وقّع الغرد الشادي على وتر
تكاد تفصح بالنجوى سرائره
إلاّ تمايل رقصا قلب سامعه
فباح بالوجد وانهلت محاجره
لا تعجبوا إنْ صبَا قلْبُ الشجي له
ما حرَّكَ القلْبَ إلاَّ ما يجاوره

وتكشف الأبيات عن جانب في شخصية الشاعر ، وهو أنه كان شغوفا بالموسيقا يطرب لها ، ويهش احساسه لايقاعها ، مما يبرهن على رهافة شعوره ، كما تبرهن على قدرة الشاعر على ارتجال الشعر ، والأبيات في الحقيقة من بدائع البدائه كما يقولون .

ويبدو – بما لدى من نصوص شعرية للشاعر – أن مرحلة حياته بالعرائش كانت خصبة بالشعر ، فقد تفتقت شاعريته عن نتاج جميل ، اذ ربع قرن تقريبا كفيل بأن يحرك كوامن الشاعر ويوحي اليه بالخاطرات بما حوته في طياتها من أحداث متنوعة ، وفي هذا الصدد روى لي الأخ الأستاذ محمد أبو خبزة عن شقيق الشاعر محمد – فتحا – عن صهره الولي ابن يعيش[58] ان ابن موسى كان يحتفظ بكناش سجل فيه بعض أعماله الأدبية – وهو في العرائش – من مقامات وقصائد ومقطوعات ورسائل وأزجال وملحون ، وقد بقي الكناش المذكور في متروك السيد محمد الفاضل ابن يعيش ، ولو أن الأقدار ساعدتني – وقد حاولت – على احرازه لاستطعت أن أتعرف جوانب اخرى من حياة الشاعر في مدينة العرائش ، ولكان لهذا الكناش دور فعال في تقييم شعره ، ورصد الآفاق الشعرية التي كان ينطلق منها للتعبير عن تجربته الشعرية في لحظة من لحظات النشوة والجذل ، أو لحظة من لحظات الغم والشجن .

---

(57) حفظ في صغره القرآن واحترف مهنة النجارة ومنها كان يعيش ، تعلم العزف على الكمان فمهر فيه ، ولم يكن محترفا للموسيقى ، بل هاويا لها ، مما جعله يبزُّ غيره من العازفين في وقته وقد عرف في حياته بالعفة والتدين وتوفي عام 1358 هـ موافق 1939 م . مكنني من هذه المعلومات مشكورا السيد محمد البانزي .

(58) كان قائد المشور الخليفي توفي عام 1388هـ موافق 1968م .

وكيفما كانت الحال فقد ألهبت السنوات التي قضاها في العرائش مشاعره وفتحت خاطره فأطلعت لنا شعرا غنّى فيه رؤاه وخلجاته ، من ذلك قصيدته التي يقرظ فيها قصيدة عبد الله القباج[59] يقول في أولها :

كرر أحاديث من فاق الورى نسبا
للمصطفى وعلا الصيد السراة أبا
وساد طفلا ملوك الأرض قاطبة
فما استطاعوا الى عليائه سببا
فوطّدَ الأمن في الآفاق يصحبه
داعي الرشاد إلى استغلال ما رحبا

ومنه قصيدة أخرى يساجل بها القباج المذكور ويرحب به في العرائش مبرزا مدى ما يحتله هذا الشاعر من مكانة في عالم الأدب وما له من حظوة لديه مطلعها :

بشاعر العصر أضحت دوله الأدب
مهتزة العطف بين العُجب والعجب
رب القريض ومن تعزى مناقبه
إلى العلا والى القباج تنتسب
طوى السباسب حتى زارنا فرأت
منه العرائش شخص الفضل والحسب

ومنه قوله في زيارة قام بها له بعد سنوات صديقه الشاعر المذكور :

صدق البشير وإن أرابك بشره   وامتاز في أفق البشائر نشره

ومنه قوله من قصيدة بعث بها إلى الشاعر السابق الذكر كذلك أولها :

ما للفؤاد إلى الفؤاد شفيع   إلا هوى بين الضلوع وديع

ومنه قصيدة قالها بمناسبة تنظيم حفلات انشراحية مع مسابقة أدبية بمدينة سبتة تسابق في مضمارها الشباب في صفر 1347هـ موافق غشت 1928م التي شارك فيها مستنهضا همم الشباب مطلعها :

(59) ولد بمكة المكرمة وتوفي بسلا عام 1365 هـ موافق 1945 م وانتقل إلى المغرب عام 1316 هـ موافق 1898 وهو شاعر مجيد ، عمل في وزارة الأوقاف ثم في وزارة العدل وله شعر كثير كان يوالي نشره بجريدة السعادة ، عرف بلقب الشاعر المطبوع انظر الجراري (عبد الله) ، من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين : الرباط وسلا ج 2 ص 317 وما بعدها ، وانظر السولامي الشعر الوطني المغربي ص 256 .

عهد الصبا موسم الأفراح والطرب ومهيع لنوال الفوز بالأرب
وصفوة العمر إن جد اللبيب به نحو المعالي أماطت ساتر الحجب[60]

ولما لم تنل هذه القصيدة الجائزة الأولى ، وقدمت عليها لجنة التحكيم – وكان يرأسها الفقيه السيد أحمد الرهوني[61] – قصيدة[62] الأستاذ محمد داود أنشأ قصيدة أخرى سماها (شكوى غريبة) ضمنها عتابا رقيقا ، وكشف فيها عما تميزت بها البائية السابقة من خصائص تشفع لها بأن تكون جديرة بالظفر على سواها يقول في أولها :

من بدر عاصمة البلاد وشمسها وزعيم نهضتنا وطلعة أنسها
ومفيد عالية العلوم بدرسها ومبيد عادية الهموم برمسها
فضلا حبا به الاله وجودا

إلى أن يقول مخاطبا رئيس لجنة التحكيم وهو حينذاك وزير العدل ، ومتحدثا عن خصائص البائية :

مولاي والانصاف منك مروم فبسيط عدلك في البلاد عميم
هذى (الفريدة) حقها مهضوم ضيمت فساورها الضنى وهموم
أو ما تراها أعظما وجلودا
كانت تحوك من المطارف رائقا تبدى يد الاحسان فيه رقائقا
تستوقف الطرف الحديد دقائقا رميت بعين لا رأيت بوائقا
والعين حق لا تلوم شهودا

ومنه قصيدة طويلة في مدح الملك محمد الخامس رحمه الله يقول فيها :

ظهورك في أفق المعالي مشير لاقبال يمن بالأماني بشير

---

(60) نشرت بمجلة الاتحاد العدد 17 – السنة 2 – صفر 1347 هـ موافق غشت 1928م .

(61) من علماء تطوان (1288 – 1373 هـ = 1871 – 1953 م) درس بمسقط رأسه تطوان ، ثم انتقل إلى فاس لاتمام دراسته ، ولما رجع تولى مهمة التدريس والوعظ والارشاد والخطابة ، كما تولى وزارة العدل ورئاسة المجلس الاسلامي الأعلى ، له تآليف من بينها (عمدة الراوين في أخبار تطاوين) ، انظر داود (محمد) ، تاريخ تطوان القسم 1 – المجلد 1 – ص 50 وما بعدها ، وانظر ابن عبد الوهاب (الحسن) ، حواش على بهجة التسولي ج 1 ص 21 .

(62) مطلع القصيدة هو .

يا رسول السلم حي الناهضين وأذع بشراك بين العالمين

وقد شارك في هذه المسابقة الفقيه السيد أحمد الحداد والفقيه السيد محمد الزرهوني والصحافي اللبناني نعمة الله الدحداح انظر كل ذلك بمجلة الاتحاد العدد 17 السنة 2 .

وإشراق شمس الفضل منك بباهر   بـه فـلك الملك الكبير يـدور

ومنه قصيدة يساجل بها القاضي الحراق[63] يقول فيها :

أنفث هاروت جاس القلب إمعانا   فخالب السحر ألبابا وأذهانـا
أم سائلات أولي الألباب قد خطرت   فمايلت من قدود الغيد أفنانـا

ومنه قصيدة كتبها في اجتماع تكريمي ببيته بالعرائش — كما روى لي الفقيه الأديب السيد محمد الزرهوني[64] ضم اللجنة المكلفة بامتحان كتاب المراقبة والبلديات بالمنطقة الخلفية حينذاك ، وكانت اللجنة تتركب من الفقيه المذكور والفقيه السيد محمد اللبادي[65] والفقيه السيد الحسن ابن عبد الوهاب[66] وخليفة نائب الأمور الوطنية (تندا) وذلك عام 1354هـ ويقول فيها :

---

(63) لم أقف على ترجمته بالرغم من محاولاتي مع بعض أقاربه للأسف .

(64) من الفقهاء الأدباء ونسبه القللوسي ، واشتهر بالزرهوني (1321 – 1410 هـ – 1903 – 1990 م) ولد بقرية (قاع أسراس) من قبيلة بني زيات دائرة السطيحات عمالة شفشاون حسب التقسيم الاداري الحالي) درس العلوم الاسلامية والعربية على علماء تطوان من بينهم السيد أحمد الزواقي والسيد محمد الصادق الريسوني والسيد أحمد الرهوني والسيد محمد الفرطاخ ، تولى وظيفة الكتابة بالصدارة ثم عين قائدا لقبيلة بني زيات ، وبعد ذلك عين كاتبا عاما لوزارة العدلية عام 1373هـ 1953م وشغل منصب العدالة بمحكمة التوثيق وزاول الخطابة ، له ولوع بالأدب وخاصة القديم منه ولذلك ينحو في كتاباته النثرية طريقة القدامى وكمثال على هذا الولوع إنه يحتفظ ببعض إنتاج ابن موسى الشعري النثري ، وقد أمدني به جزاه الله خيرا ، كما أفادني في تراجم بعض أعلام تطوان .

(65) من فقهاء تطوان النبهاء (1314 – 1395 هـ = 1896 – 1975 م) درس بمسقط رأسه تطوان ، ومن شيوخه بها السيد أحمد الزراقي والسيد أحمد الرهوني والسيد محمد أفيلال ، تولى التدريس بالمعهد الديني العالي ، ثم تولى قضاء تطوان ، وبعد الاستقلال عين مستشارا بالاستئناف الشرعي بالرباط .

(66) من الفقهاء النابهين ولد بتطوان عام 1325 موافق 1907 م ودرس بها على شيوخها منهم السيد محمد أفيلال والسيد أحمد الزواقي والسيد أحمد الرهوني ، ورحل إلى فاس لاتمام دراسته بها ، فتلقى العلوم على علمائها من بينهم السيد عبد الرحمن الشفشاوني والسيد عبد الله الفضيلي ، اشتغل بالتدريس في المدارس الحرة ، ثم عين كاتبا أول في وزارة العدلية وعضوا بالمجلس الأعلى للتعليم الاسلامي ، وتولى مهمة التفتيش في العدلية ، وبعد الاستقلال عين قائدا ممتازا بدائرة جبالة بتطوان ثم باشا بالحسيمة ثم قاضيا للتوثيق بطنجة ، من تآليفه (حواش على بهجة التسولي) في ثلاثة أجزاء و(تاريخ القضاء منذ استقلاله في المنطقة الخليفية) وهو معد للطبع .

ها هو السؤل جاء يخطر شدا فلتــؤد لله شكــــرا وحمدا[67]
طــالما شاقك التــلاقي لسادا تٍ علَوْا في الآداب غوراً ونجدا
وفــدوا يرفعــوان للعلــم رأسا ويحدون للجهالــــة حــــدا

ومن نثره في هذه المرحلة من حياته في العرائش رسالة أدبية في السخرية والتهكم على طريقة ابن زيدون في رسالته الهزلية[68] والوهراني في مناماته ورسائله[69] كتبها إلى فقيه عرائشي[70] جوابا عن كتاب في النحو وتدريسه ، وقد جال فيها ما شاء الله أن يجول مظهرا براعته في امتلاك ناصية الأسلوب العربي الأصيل ، وتصرفه في وجوه التعبير ، وتميزه بالروح الساخرة اللاذعة يقول في أولها «الحمد لله ، وصلتنا رقعة مجهولة من كاتب مجهول تضمنت صورة درس في مبادىء النحو فجهلنا نحن قصد صاحبها من توجيهه بها الينا أولا ثم بعد التأمل قليلا ظهر أنه ربما قصد واحداً من أمور ثلاثة .

(67) فلتؤد مجزوم بحذف حرف العلة وهي تمثل في عجز البيت التفعيلة الأولى منها (فاعلاتن) ، ونظرا لحذف حرف العلة فقد دخل التفعيلة ما يدعى بالكف وهو حذف الحرف الساكن السابع وهو جائز في حشو هذا البحر ، ويمكن مراجعة الشنتريني (محمد بن عبد الملك) المعيار في أوزان الأشعار تحقيق رضوان الداية ص 78 وما بعدها ط 2 .

(68) هو الشاعر الأندلسي المشهور أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي (394 – 463 هـ = 1004 – 1071 م) من أهل قرطبة ، كان سفيرا لابن جهور ثم وزيرا للمعتضد باشبيلية ، اشتهر بحبه لولادة بنت المستكفي الشاعرة ، كان ذا شعر رقيق ونثر بديع له ديوان مطبوع وله رسالتان تعرف إحداهما بالجدية وهي التي أرسلها لابن جهور وهو في السجن ، وأخرى تعرف بالهزلية أرسلها للوزير ابن عبدوس منافسه في حب ولادة ، انظر ابن بسام (أبو الحسن علي) الذخيرة القسم 1 ج 1 ص 289 وما بعدها ، وابن خاقان (الفتح) ص 73 وما بعدها ، وابن خلكان (أحمد) ، وفيات الأعيان ج 1 ص 122 وما بعدها ولصاحب هذه الدراسة حديث عن الشاعر في كتابه (الشعر النسوي في الأندلس) ص 75 وما بعدها – دار مكتبة الحياة بيروت – لبنان 1978 .

(69) هو محمد بن محرز المعروف بالوهراني من الكتاب الظرفاء توفي عام 575 هـ موافق 1179 م ، رحل إلى مصر أيام السلطان صلاح الدين ، واتصل بالقاضي الفاضل وعماد الدين الأصبهاني الكاتب ، كان يسلك في إنشائه طريقة الجد ولما رأى أنه لا يستطيع أن يجاري أعلام الانشاء في عصره عدل عن طريق الجد وسلك طريق الهزل في الانشاء ، ويتجلى ذلك في مناماته ومقاماته ورسائله انظر ابن خلكان ج 4 ص 19 ، 20 والدكتورة رمضان (سعيدة) ، ابن محرز حياته وآثاره مجلة كلية الآداب العد 2 ص 67 – 80 جامعة الجزائر 1970 ، ومنامات الوهراني ومقاماته ورسائله تحقيق إبراهيم شعلان ومحمد نغش .

(70) أمسكت عن التصريح باسم هذا الفقيه حتى لا نشهر به حفاظا على سمعته ، وحتى لا نثير الحزازات فالمبدأ الاسلامي في الأخلاق عندي أولى بالالتزام من أي أمر آخر قد يقال في هذا الشأن ، ألم يقل الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بيس الاسم الفسوق بعد الأيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون﴾ (سورة الحجرات : 11) .

أولا : الارشاد وما أحوجنا إلى مرشد عاقل .

ثانيا : الاسترشاد وانما يسترشد الرجل الكامل الجامع لأشتات المعارف والفضائل وأين الثريا من يد المتناول ؟

ثالثا : التعنت وفي ضمنه المكر والبغي ، ونبرأ إلى الله من قاصد هذا ومن سبيله ونستعينه سبحانه على قمع ابليس وقبيله»

ثم يقول منتقدا وساخرا :

«ثم إنه أورد فصلا لأجل التمرين خلط بنسبته للجاحظ [71] تخليطا ، وسلط صبيان المكاتب على رأسه البالغ من الكبر عتيا بالسخرية والاستهزاء تسليطا ، وهنا دارت في هذا الرأس الكبير نعرة الفخفخة ، فأراد اظهار ما عنده من المعرفة بالوفيات والاطلاع على أخبار القرون الماضية ، فحكم على الجاحظ المسكين بالاعدام قبل أن يستوفي المدة التي قدر لها أن يعيشها بثلاثين من الأعوام ، ولعل هذا الخرف العظيم هاله ، فأراد أن يسلي هذا المسكين على ما ناله من هدّ هذا الركن العظيم من صرح حياته ، فما وجد أقرب إليه من فصل يسرقه وعليه طابع بشر بن المعتمر[72] من جميع جهاته ، وليس للجاحظ فيه لفظ ولا تركيب ، ولا إفادة ولا وضع ولا ترتيب ، حاسبا أنه واحد من أولئك الذين حينا يتوسل اليهم بالتزلف الكاذب ، وتارة يتفاصح عليهم بـ (ضرب) يضرب) و(المضروب) و(الضارب) ، وما كان الجاحظ لتروج عليه بسوقه هذه الصفقة الخاسرة ، ولا لتنطلي[73] عليه وهو من هو حيلة بهذه المعارضة الجائرة كما ان بشر ابن المعتمر رب الفصل وكاتبه ، والغائص على درة الثمين وجالبه ما كان ليرضي بهذا الفصل عن فصوله ، ولا ليقضي عن تشذيبه عدوانا ، وشاهده من التاريخ يربط صلته بموصوله ، فما أشجع الصفيق في الاغارة على أولي الأفكار العالية فيما يعز من بنات

---

(71) هو عمرو بن بحر الجاحظ (163 - 255 هـ 780 - 869 م) من كبار أدباء العربية ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة ولد ومات بالبصرة له كتب عديدة من بينها (الحيوان) و(البيان والتبيين) و(البخلاء) انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 3 ص 140 وما بعدها ، وانظر جبر (جميل) ، وشارل (بلات) الجاحظ ترجمة إبراهيم الكيلاني .

(72) أحد علماء المعتزلة من أهل الكوفة توفي عام 210 هـ موافق 825 م عرف بقوة الجدل وإليه تنسب الطائفة البشرية ، له كتب في الاعتزال ، وله قصيدة تتألف من أربعين ألف بيت يرد فيها على المخالفين ، انظر الأسفرائيني (عبد القاهر) الفرق بين الفرق ص 156 وما بعدها وانظر الهمذاني (القاضي عبد الجبار) فرق وطبقات المعتزلة تحقيق الدكتور علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي

(73) يقال في الأساليب الشائعة انطلى عليه الشيء يعني جاز عليه ، ولم يسمع (انفعل) من (طلى) ويمكن استعمال بدل هذا (جاز وراج) من اللازم ، فالكاتب انساق مع الخطإ الشائع .

أفكارهم ، وما أجرأه على التلاعب بأعمالهم الكبيرة وأعمارهم الخ)[74] .

ومن نثره كذلك الرسالة التي بعث بها إلى الوزير الصدر محمد بن عزوز – وقد سبقت الاشارة إليها – يلتمس منه فيها تعيينه أمينا بجمرك العرائش ، وقد حلاها ابن موسى بروحه الأدبية ، وأبدى فيها حرصه الشديد على هذا الوظيف مغتنما سنوح فرصة إعفاء الأمين السابق ، وأرى من المستحسن ومن الفائدة أن أورد نص الرسالة كاملا نظرا لقصره ، ولكونه وثيقة أدبية تاريخية تكشف لنا عن تطلعات الشاعر ، وتبرمه بالضائقة المادية التي كان يعاني منها :

«الحمـــــد لله وحـــــده وعليه وآلـــه وصحبـــه

سيدي وسندي ، ومن عليه بعد الله في طريق الجلب والدفع معتمدي الفقيه الأجل وزير مولانا الصدر الأعظم الوجيه الأمثل ، سيدي محمد بن عزوز حفظ الله مجدكم وسلام على كريم مقامكم ورحمة الله عن خير سيدنا أعزه الله وبعد :

فهذه سطور اتخذتها سببا أهز به إلي بأدواح إحسانكم المثمرة مقدما على ذلك بقائد من الأمل وسائق من الرجاء يحققها جميل الظن بكم ، ولا حرج على من طلب الخير لنفسه من بابه وسعى إليه متمسكا بأمتن أسبابه وما ذلك إلا أني أرفع لسدتكم الكريمة حاجة هي في الحقيقة مرفوعة إلى الله عز وجل حيث اجتباكم لأمثالها ، وإذا أحب الله عبدا صير حوائج خلقه إليه ، وذاك أني علمت أن أمين الصندوق بديوانة العرائش استعفى فأعفي فانتهزت هذه الفرصة على ما فيها ، إذ لم أجد الآن غيرها للتنبيه على نفسي لديكم راجيا من مراحمكم الأخذ بيدي في الترشيح لهذا الوظيف إعانة لي به بأجرته إن رأيتموني أهلا للقيام به ، وأمكن وإلا فإني على يقين بأنني من كريم نظركم بمكانة أرتجي من ورائها كل ثمينة من صنائعكم الجمة أيد الله عزكم وبارك في عمركم بوجود جلالة مولانا المعتز بالله أيد الله عزه وتأييده وعلاه آمين وعلى المحبة والسلام على مقامكم الكريم ورحمة الله ، في 25 ربيع الثاني – 1340هـ» .

---

(74) أحتفظ بهذه الرسالة .

الاستقرار في تطوان

في تاريخ 24 محرم عام 1356هـ موافق 6 أبريل 1937م[75] أعفى ابن موسى من وظيفة أمين الصندوق بجمرك العرائش ، وانتقل إلى تطوان وزيرا للأوقاف في الحكومة الخليفية في هذا العام نفسه بتزكية واقتراح على الخليفة السلطاني الحسن ابن المهدي من رئيس الديوان الخليفي السيد أحمد بن البشير الهسكوري[76] الذي كان يعرف للشاعر مكانته وقدره ..

وإذا كانت المرحلة العرائشية – كما أسلفت – في حياة الشاعر الأدبية خصبة مثمرة يانعة فقد كانت المرحلة الثانية من حياته في العاصمة أوانئذ أخصب وأغنى ، إذ أتاحت الظروف المتعددة لشاعريته أن تنطلق على سجيتها باذلة سخية تحلق في أجواء مختلفة معبرة عن حياة الشاعر الجديد في العاصمة ، أوليست تطوان ملتقى رجال الفكر والأدب والسياسية يختلف مناخها عن أي مناخ آخر في أية مدينة من مدن الشمال ؟ أو ليست وظيفته السامية تجعله يعيش في جو غير الجو الذي كان يعيش فيه سابقا في العرائش ؟ فهو في ركاب الخليفة كلما سنحت الفرص – وما أكثرها – بمناسبة عيد المولد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام ، أو بمناسبة عيد الجلوس الخليفي ، أو بمناسبة عيد الكتاب أو بمناسبة أخرى غير هذه او تلك يسجل ذلك في شعره أو نثره غير ضنين .

إن الشاعر أصبح وزيرا للاوقاف ، ومن المقربين للقصر الخليفي فأحرز بذلك ضالته التي طالما كان يتطلع إليها في شوق ، ويحن إلى مثلها حنينا جارفا ، وحقق الرؤى التي طالما داعبته وهو في مدينة العرائش ، لهذا لم يدخر وسعا في أن يكون

(75) اعتمدت في هذا على ظهير إعفائه ، وتحت يدي نسخة مصورة منه وقد نشرته الجريدة الرسمية العدد 1 السنة 25 – 9 صفر 1356 موافق 20 أبريل 1937 م ومن الجرائد التي تحدثت عن توليته جريدة الوحدة المغربية تحت عنوان (وزير الأحباس الجديد) العد 19 السنة 1 – 29 محرم 1356 هـ موافق 11 أبريل 1937 م .

(76) من عائلة مراكشية معروفة عملت في خدمة السلطان (1333 – 1381 هـ = 1314هـ – 1961م) انتقل إلى تطوان صغير السن ، وتربى في القصر الخليفي ، التحق بمكتب الفقيه ابن تاويت ثم تلقى العلوم الاسلامية والعربية على شيوخ القصر ثم التحق بالمدرسة الاسبانية فنال الابتدائية والثانوية ، وعين كاتبا بالباشوية ثم أمينا للصائر (القسم الاقتصادي) بالقصر الخليفي ثم رئيسا للديوان الخليفي ، وكان يباشر بجانب ذلك مهمة الكاتب العام للحكومة ، كان مثالا في العمل الجاد والمعاملة الطيبة وإغاثة المحتاج ، وبعد الاستقلال انتقل مع الخليفة إلى إنجلترا كاتبا خاصا له ، وتوفي هناك بعد سكتة قلبية فنقل جثمانه إلى تطوان ودفن بزاوية عبد الله الحاج ، انظر بعض المعلومات عنه في مجلة الأنيس العدد الخاص بزفافه السنة 5 – مارس – أبريل 1949 م .

عند حسن ظن الخليفة ، وقد عرف الخليفة له مكانته العلمية والأدبية فلم يكن يستغني عنه في كل أمر مهم يتعلق بالمراسلات والمكاتبات الرسمية[77] وتصدر الوفود في المناسبات داخل العاصمة أو خارجها ففي سنة 1357هـ موافق سنة 1938م بعثه الخليفة رئيسا للوفد[78] بقصد أداء مراسم التهنئة للملك محمد الخامس رحمه الله إثر عملية جراحية أجريت له فألقى بين يديه خطابا نفيسا من إنشائه باسم الخليفة قال في أوله . «مولاي : إن كانت للحوادث التاريخية قيم تعظم بمصادرها ومواردها وصور تجمل بنتائجها وآثارها ، فإن أعظم حوادث الحاضر قيمة ، وأطيبها أثرا وأجملها صورة وأكرمها نتيجة هو ما كساذاتكم الكريمة من حلل الشفاء وشملها من أردية العافية وأحاطها من إمداد التقدم في مدارج الصحة إحاطة الشعاع بالمصباح المستنير» .

ويقول متحدثا عن ابتهاج الخليفة بشفاء الملك والغاية من بعثة الوفد الخليفي «لقد كان أعظم الناس ابتهاجا بهذا النبأ السار وأوفرهم غبطة باقتبال بشائره العظيمة خليفتكم المفوض بشمال مملكتكم السعيدة صاحب السمو الملكي مولانا الحسن ابن مولانا المهدي بن عم جلالتكم المقدس مولانا اسماعيل وما كان حفظه الله في غبطته وابتهاجه إلا ملبيا صوت الغريزة التي تربطه بجلالتكم ، من وشائج الأرحام وقائما بواجب الولاء .. وما كاد يبدي واجب الابتهاج بهذه المنة العظمى ، ويقضي وطره من الاعتبار بإظهارها حتى أمر بتشكيل هذا الوفد الحاصل على غاية الشرف بالمثول بأعتابكم الشريفة ليؤدي (لجلالتكم) فروض التهنئة نيابة عن سموه الكريم»[79] .

ثم يختم الخطاب بقصيدة من إنشائه تتألف من أحد عشر بيتا يستهلها بقوله :

فالفضل منكم به الآمال تبتهج	وتمرح النفس والأرواح والمهج
إذا رضيتم تبدى الكون مبتسما	ومن عيون المنى في طرفها دعج

(77) من بين هذه المراسلات الرسمية رسائل موجهة من الخليفة إلى الملك محمد الخامس رحمه الله وأحتفظ ببعض منها .

(78) تحدثت عن الوفد الخليفي جريدة الوحدة المغربية العدد 55 – السنة 2 – 29 جمادى الأخرة 1357 هـ موافق 26 غشت 1938 م .

(79) لقد أوردت الخطبة جريدة الوحدة المغربية السالفة الذكر .

كما بعثه ضمن وفد رسمي وبصحبته وزير العدل حينذاك الفقيه السيد محمد أفيلال[80] بمناسبة الرحلة التي قام بها الملك محمد الخامس إلى فاس، وقد جادت قريحة الشاعر بهذه المناسبة بقصيدة عصماء وصف فيها الرحلة الملكية وزيارة الملك لضريح المولى إدريس، وتدشينه المدرسة القرآنية، والابتهاج الذي أبداه أهل فاس قاطبة، وذلك يوم 9 جمادى الآخرة 1362 يقول في مستهلها :

أتاحت لك الأقدار ما كنت سائلا ولاقت بشاف من مناك الوسائلا
ثنت شرد الآمال نحوك فانثنت أواخرها تحدو اليك الأوائلا

إلى أن يقول مشيرا إلى الجمع الذي انعقد تحت رئاسة الملك بمشور (الدكاكين) بفاس في الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين 10 جمادى الآخرة 1362هـ وامتد إلى الساعة الثانية عشر والربع، وشارك فيه الشاعر ووزير العدل باستدعاء رسمي، وفي هذا المجلس وقع الانعام عليهما بالعضوية الشرفية في المجلس بظهيرين[81].

ولم أنس جمعا كنت بدرا لأفقه وقد كان من حلي الدلالة عاطلا
نهجت به نهج الهدى فتفتحت قرائحه تنفي عن الحق باطلا
يقول قرير العين منه ما يرى (ستبدي لك الأيام ماكنت جاهلا)[82]

وعندما أعلن الزفاف الخليفي رسميا، وأقيمت الحفلات المختلفة بهذه المناسبة في شهر رجب 1368هـ موافق ماي 1949م نظم الشاعر أبياتا وكتبت على مناشير فألقتها الطائرة على الجماهير التطوانية منها قوله :

دامت البشرى وأفراح الزمن لأمير المجد مولاي الحسن

(80) من علماء تطوان (1301 - 1388 هـ = 1884 - 1968 م) درس بمسقط رأسه تطوان، ومن شيوخه بها السيد أحمد الزواقي والسيد أحمد الرهوني، أتم دراسته بفاس، ومن شيوخه بها شيخ الجماعة السيد أحمد بن الخياط، تولى مهمة كاتب أول بوزارة العدلية ثم مستشارا بها، وبعد ذلك تولى وزارة العدل، من إنتاجه (تنبيه الأكياس للاقتصاد في المآتم والأعراس)، وهو محاولة لمحاربة بدع المآتم والأفراح التي نخرت جسم مجتمعنا وجنت عليه جناية كبرى، وقد قام بإخراج الكتاب صهره الأستاذ الحسن ابن الوهاب، وانظر ترجمته على ظهر الغلاف من الكتاب المذكور.

(81) كذا عند الشاعر في تعليقات له على القصيدة.

(82) عجز البيت من قول طرفة بن العبد الشاعر الجاهلي (نحو 86 - 60 ق هـ = 538 - 564 م)
ستبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود
وهو من معلقته التي مطلعها :
لخولة أطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد
انظر الزوزني (الحسين بن أحمد) شرح المعلقات السبع ص 61، وانظر طبانة (بدوي) معلقات العرب ص 112 وما بعدها.

بزفـــاف جمعت أعلامـــــه بين روح العز دوما والبـدن

وفي هذه المناسبة نفسها قال قصيدة أولها :

أدر كئوسك إن الصبح قد وضحا وصارم الشرق من فرق الدجى لمحا
والزهر من كرع أفواف الندى ثمل بادي الكرى فإذا هب النسيم صحا
يصافح الطرف من أحداقه حور ويفغم الجو منه الطيب إن نفحا

وحينما يأتي المولد النبوي الشريف على صاحبه أفضل الصلاة والسلام تتندى أحاسيس ابن موسى ، وتحتشد في خاطره الأفكار مشرقة عطرة ، فينقل ذلك إلى الشعر فتكون المولدية التي يلقيها بين يدي الخليفة ، وفيها يغتنم الفرصة فيمدح ما شاء الله له المدح ، ويقول في احدى هذه المولديات :

حلّ ثغر الربيع عند افتراره شنب عم وجهـه بازدهـاره
ورُوَاء تجول فيـه المـآقي فـهي حيرى في طرفه واحوراره

ثم يتحدث عن المولد قائلا :

ليلة المولد التي أسفرت عـن نور شمس الهدى وقطب مداره
صفـوة الله من جميع البرايـا مـرتضاه والمجتبى من خيـاره

ثم يعرج بالحديث عن الخليفة :

يا أميراً تهفـو القلـوب لِمـرْآ هُ وتعنُـو لنهيـه وائتماره
وسريـا يلقـي الوفـود بطلـق باسم الثغر في حدود وقـاره

وحينما يقبل شهر رمضان المبارك يتقدم الشاعر إلى الخليفة مهنئا بهذه الأبيات :

يـا أميرا أوضح الله بـه لمن ارتـاد الهدى نجم الهَدى
صم هنيئـا بجلابـيب التقـى رافـلا بالعـز في أعلى مـدى
واقتبـل دهـرك عيـدا بـاسما كل يـوم بسرور مبتـدا

ولقد كانت الدوائر الثقافية في تطوان وباقي مدن المنطقة الخليفية تحتفل في اليوم الثالث والعشرين من شهر ابريل من كل سنة بعيد الكتاب(83) تتبارى فيه

(83) صدر ظهير خليفي مؤرخ في 15 محرم 1359 هـ ينص على الاحتفال بالكتاب العربي الاسباني في المنطقة الخليفية في اليوم الثالث والعشرين من شهر أبريل من كل سنة ، وصدر ظهير ثان في الموضوع نفسه في 15 ربيع الأول 1360 هـ موافق 23 أبريل 1941 ، انظر الظهيرين بالجريدة الرسمية العدد ←

الأقلام ، وتقام المعارض للكتاب العربي والاسباني ، وتباع الكتب بأثمان زهيدة ، وكان يحضر هذا الاحتفالات الخليفة والمقيم الاسباني العام ورجالات الدولة والهيئات الثقافية ، ولم تفت شاعرنا ابن موسى احدى هذه التظاهرات الثقافية دون أن يسهم بنصيبه فيها ، فكتب مقالا بهذه المناسبة عام 1950 تحت عنوان (كتابي الكريم وقلمي البخيل) وقد أبدع فيه وحلق ، ويقول في أوله وهو من شعره :

يهش الكتاب إلى ناظري فأهتف شوقا أعيدوا صباحي
وينبو يراعي فلا أرعوي إلى أن أصافح راحي براحي

لم أزل منذ رجم بي ريعان الصبا شيطان جنونه ونبا بي عن ميدان اللهو وبجمعات جفانه ولمحات جفونه ، فأشرفت من الكتاب على أقوم سبيل من أشرف علم ، واهتديت بأسباب الخلق النبيل ، وربك الأكرم الذي علم بالقلم(84) أنص ركب القريحة ، وأقص آثار الغرر من الفِكَر الصريحة متوسلا إلى الحظوة بالراكضين في كل حلبة ، وتوصلا بالخطوة إلى الضاربين في كل لبة ، والجائلين في كل شعبة ، حيث ينفحان بالمعروف فيشهد لهما الاحسان بالثروة ، ويسمحان بالظرف في المظروف ، فيرفعان الزمان والمكان إلى الذروة وتقف منها مشاعر الاعجاب بين الصفا والمروة» .

ثم يقول في الكتاب : «وبأي سمة أسمه وأحلّيه وعلى أي معراج من معارج التكريم أرفعه وأعليه ، وهو شقيق نفسي ، وربيع انشراحي وأنسي ، والصورة الجليلة لعامل الرفع في ماهية جنسي ، اغادي شموسه فتلوح بالبشر قسماته ، وأراوح شموعه فتروح بالنشر بسماته» .

ثم يقول في القلم «وماذا أصف من عارم لا يزال يخزني بشوكة شماسه ، ويكزني

← 10 السنة 26 – فاتح ربيع الأول عام 1359هـ موافق 10 أبريل 1940م ، والجريدة الرسمية العدد 12 السنة 29 – 3 ربيع الآخر 1360 هـ – 30أبريل 1941 وأول احتفال بعيد الكتاب كان يوم 23 أبريل سنة 1940 م ، والجدير بالذكر أن فكرة عيد الكتاب من العادات الثقافية الاسبانية وقد تحدث بتفصيل عن عيد الكتاب في المنطقة الخليفية (بالدراما فرناندو مارطينيس) في كتابه الضخم (تاريخ العمل الثقافي لاسبانيا في المغرب 1912 – 1956 م) ص 704 – 720 – دار الطباعة المغربية تطوان 1956 م Histoirtoria de la accion cultural de España en marruecos 1912 - 1956, Por
. valderrama Fernando Martinez. p 704 - 720 Editor marioqui-Tetuan 1956

(84) اقتباس من قوله تعالى ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الانسان من علق . إقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم﴾ (سورة العلق الآيات 1 – 4) .

بعرامه المضني وركوب رأسه ، إنه يطيش حيث أميل إلى الرزانه ويهم مع حرص على الابانه ، ويميع والمقام يقتضي المتانهْ ، ويصر على الجماح فلا أملك عنانه الخ» .

وكان ابن موسى – بالاضافة إلى هذا – رهن إشارة الخليفة دائما يأتمر بأمره ، ولا يتخلف أبدا عن تلبية رغبة من رغباته ، أو يتقاعس عن تنفيذ طلب من طلباته ، من ذلك أن الشاعر عبد الرحمن بن زيدان[85] أرسل للخليفة في فاتح محرم 1361هـ رسالة شعرية نثرية يعبر له فيها عن تأثره للانحراف الذي طرأ على صحته يقول في أول القصيدة :

خليفة عرش مغربنا المفدى — وبضعة بيت مملكة سمي

فطلب الخليفة من الشاعر ان يجيب عن الرسالة المذكورة فأجابه بأخرى مثلها يفتتحها بقصيدة في الوزن نفسه ، وكذا الروي نفسه أيضا إلا أن الأولى – نعني قصيدة ابن زيدان – مُصْمَتَة ، والثانية – نعني قصيدة ابن موسى – مصرعة ومطلعها :

يراع الدهر فاجأ بالفري[86] — وقام على أنامل شمري[87]

يفيض على النهى أعراب كعب[88] — ويسلبها بلحن البحتري[89]

ومن ذلك أنه طلب منه نظم قصيدة في تأبين السلطان عبد العزيز[90]

(85) عالم شاعر ومؤرخ (1290 – 1365 هـ = 1873 – 1946 م) ولد ونشأ بمكناس وتولى مديرية المدرسة الحربية بمكناس ، وتولى نقابة الأشراف العلويين بها وبزرهون من تآليفه (اتحاف إعلام الناس بجمال حاضرة مكناس) ، وديوان شعر انظر القباج ج 1 ص 81 وما بعدها .

(86) الفري على زنة غني وهو الذي يأتي بالعجب في عمله .

(87) بكسر الشين وتشديد الميم وفي شينها وميمها لغات ، وهو يعني المجرب للأمور .

(88) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى المازني (... 26 هـ = 645 م) من شعراء الجاهلية والاسلام ، وعندما ظهر الاسلام هجا رسول الله ﷺ وتغزل في نساء المسلمين ، وأسلم بعد ذلك ومدح رسول الله ﷺ بلاميته المشهورة فعفا عنه ، انظر ابن هشام (عبد الملك) ، السيرة النبوية المجلد 2 ص 501 وما بعدها ، وانظر ابن قتيبة (عبد الله) الشعر والشعراء ج 1 ص 89 وما بعدها .

(89) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي (206 – 284 هـ = 821 – 898 م) من الشعراء العباسيين المرموقين ولد بمنبج من حلب ، ورحل إلى العراق واتصل بالمتوكل ، له ديوان شعر مطبوع ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 5 ص 74 وانظر ابن المعتز (عبد الله) الشعر والشعراء ص 186 ، 187 .

(90) سلطان المغرب (1298 – 1363 هـ = 1881 – 1944 م) بويع عام 1311 هـ وتنازل عن الملك عام 1326 هـ ، وسكن مدينة طنجة ، وتوفي بها رحمه الله ، انظر ابن زيدان (عبد الرحمن) ، الدرر الفاخرة ص 111 ، وانظر الناصري (أحمد) الاستقصا ج 9 ص 207 تحقيق جعفر الناصري ومحمد ←

عام 1363هـ موافق 1944م فكتب خطابا وأشفعه بقصيدة ، وفي هذا كتب إلى أخيه محمد – فتحا – يلتمس منه في تواضع جم رأيه في القصيدة وإصلاح ما يكون فيها من ركاكة في النسيج ، وضعف في التركيب قائلا : «الحمد لله . الأخ الأعز سيدي محمد حفظه الله

إجابة لرغبة مولانا صاحب السمو أعزه الله ، وامتثالا لأمره المطاع عصرت الخاطر الكليل حول ما يرجع لتأبين صاحب (الجلالة) مولانا عبد العزيز شعرا فاستخلصت من تلك العصارة ما قيدته أسفله لتتأملوه ، وأرجوكم أن تدلوا برأيكم فيما عسى أن تجدوه من الضعف والركاكة في بعض جملها وأبياتها ، لأكون من إدراجها في نص الخطاب على بصيرة واليكم صورتها» .

والقصيدة يستهلها بقوله :

يا موحش الأسماع والأبصار ... ومروع الأقطار والأمصار
يا تارك الجبل الكبير مرددا ... هل ينقضي أمد لغيبة جاري ؟

ومن ذلك أنه طلب منه أبياتا[91] لنقشها على سيف من ذهب لاهدائه للملك فاروق[92] فكتب هذه الأبيات :

أيا طالعا أفق الجلالة فرقدا ... يلوح على عرش الكنانة أوحدا
يهز به الاسلام أمضى سلاحه ... فيمحي من الأسواء ركنا مهددا
إليكم حساما ينصر الحق مصلتا ... به عزمكم ، أو ينثر العدل مغمدا

— الناصري ، وانظر مجلة الأنيس العدد 29 – السنة 4 – 4 شعبان 1368 هـ – فاتح يونيه 1949 م) .

(91) نقشت هذه الأبيات بخط الفقيه السيد محمد الزرهوني الذي عرف بجمال خطه المغربيّ الأصيل .

(92) هو ملك مصر (1339 – 1385هـ = 1920 – 1965م) أبوه هو فؤاد الأول تلقى تعليمه على أساتذة خصوصيين ، رحل إلى انجلترا للدراسة ، تزوج فأنجب ولدا سماه فؤاداً وفي 23 يوليه 1952 قامت ثورة الجيش فأطاحت بعرشه ، غادر مصر ومات فجأة بـ (روما) حيث يقيم ثم نقل جثمانه إلى مصر ، انظر الموسوعة العربية الميسرة ص 4 126 .

بقيتم لدين الله والنصر طوعكم — تردون كيد الكائدين مبددا
ولا زلتم للشرق تعلون شأنه — كما رفع (الفاروق)[93] منه وأزيدا

ومن ذلك أبيات نظمها لتنقش على جدران القصر الخليفي يقول في مطلعها :

قصر السعود وفت سعوده — وتهللت بشرا عقوده

ولما سافر أمير الريف – كما كان يدعي – نجل الخليفة إلى مصر لطلب العلم قال الشاعر قصيدة أولها :

واجه الشرق بالمكارم واجه — وبآي الفخار والمجد ناجه
وانشر الفضل والشهامة والنخوة والنبل والهدى في فجاجه

ولم يكن ابن موسى يقتصر في تسخير قلمه على ذلك فقط ، بل كان يتولى كتابة عقود الأنكحة[94] لأمراء القصر وكبار رجاله ، مما يؤكد أن أدبه كان يحظى لدى الخليفة بالتجلة والاعجاب والاكرام ، إذ لم يكن هناك من ينافسه إمارة الشعر والنثر في القصر أو يحاول سباقه في الحلبة ، لذلك أعد ابن موسى شاعر

(93) يقصد به عمر بن الخطاب رضي الله عنه (40 ق هـ – 23هـ = 584 – 644م) لقبه رسول الله ﷺ بالفاروق وهو ثاني الخلفاء الراشدين ، تولي بعد وفاة أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، يضرب به المثل في العدل ، وفي أيامه فتحت الشام والعراق والقدس وهو أول من دون الدواوين ، مات شهيدا بيد أبي لؤلؤة فيروز الفارسي ضربه بخنجر في خاصرته وهو في صلاة الصبح ، انظر ابن حجر (أحمد) ، الاصابة ج 2 ترجمة 5736 ص 518 ، وانظر أبا نعيم الاصبهاني (أحمد) ، حلية الأولياء ج 1 ص 38 ، والبيت كما لا يخفى فيه جنوح كبير إلى المبالغة إذ لا وجه للموازنة أبدا بين الفاروقين .

(94) لدى نماذج من هذه الأنكحة من بينها صداق الأميرة السيدة فاطمة الزهراء العزيزية ، وصداق السيدة آمنة أخت الخليفة ، وصداق السيدة زبيدة الريسونيّة زوجة رئيس الديوان الخليفي السيد أحمد بن البشير الهسكوري ، وكمثال على ذلك قوله في أخت الخليفة «الحمد لله الذي خلق كل شيء فقدره تقديرا ، وصور من شاء فأبدع خلقا وأحسن تصويرا ، وبرأ الخلق ببالغ الحكمة ومحكم التدبير فهل تعلم له سميا أو شريكا أو وزيرا وأنشأهم من نفس واحدة إنشاء أدق صنعا وأبدع تدبيرا ، وخلق منها زوجها فبث منهما رجالا كثيرا ، نحمده على جزيل إنعامه حمدا نتيمن بمطلعه المبارك أولا ونستبشر بعواقبه السعيدة أخيرا ونثني عليه بما أثني على نفسه ، إذ لا نحصي ثناء عليه عجزا وتقصيرا ، ونشكره شكرا يزيدنا من حظائر الفضل مددا ويخولنا من حظائر الرضوان نعيما وملكا كبيرا ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تفرع بحلاوة التوحيد ، أسماعا وتفتح بحقائق الحكمة أفواها وتشرح بأنوار اليقين صدورا ونشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله بالهدى ودين الحق شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بأذنه وسراجا منيرا ، فأحل الطيبات وحرم الخبائث وفصل الحدود والأحكام تفصيلا وقررها تقريرا ، وشرع لأمته الكريمة حلال النكاح لتصون به أحسابا وتسرع إليه مسيرا إلخ» .

البلاط الخليفي الأوحد وكاتبه الفذ ، والمرآة الصقيلة التي كان ينعكس عليها نشاط القصر ، وأبهته وسلطانه وهيبته ، إذ ما تلوح مناسبة رسمية أو غير رسمية تتعلق بالقصر – كما ألمعت – إلا ويبادر إلى تسجيلها في شعره أو نثره ، والافاضة في الحديث عنها ، وكم يجد الشاعر في ذلك من لذة لا تعادلها لذة ، ونشوة لا تماثلها نشوة ، لأنه وهب مشاعره وقلمه للقصر فأخلص للخليفة أيما إخلاص وخدمه خدمة جلى اعترافا بالجميل .

وفي الجو الجديد الذي أصبح الشاعر فيه يتنفس عقد صداقات مع علمائه وأدبائه بحكم مركزه العلمي والأدبي ، وبحكم منصبه الذي يتقلده ، كما توالت مراسلاته مع بعضهم داخل العاصمة وخارجها أذكر من بين أولئك الفقيه السيد أحمد الزواقي[95] والفقيه السيد محمد الصادق الريسوني[96] وابنه الفقيه السيد أحمد

(95) شيخ الجماعة بتطوان (1276 ـ 1371 هـ = 1859 ـ 1952 م) ، درس بمسقط رأسه تطوان ثم ذهب إلى فاس لاتمام دراسته ، تولى قضاء تطوان فكان مثال النزاهة ، لم يخلف مؤلفا ، بل ترك طررا وفتاوى وملازم على شرح بنيس للهمزية ، انظر الرهوني (أحمد) ، عمدة الراوين في أخبار تطاوين الموجود بقسم المخطوطات بالمكتبة العامة قسم المخطوطات بتطوان ج 6 تحت رقم 681 .

(96) من علماء تطوان ومن موالد شفشاون (1282 – 1376 هـ = 1865 – 1957 م) تلقى تعليمه على علماء شفشاون والأخماس ، ثم رحل إلى فاس ودرس على علمائها من بينهم شيخ الجماعة أحمد بن الخياط والمهدي الوزاني ، تولى قضاء الأخماس وقضاء القصر الكبير ، وعمل عضوا باللجنة العليا للمآثر التاريخية ، ومستشارا لوزارة العدل ، ووزيرا للمالية ، وأخيرا عضوا بالمجلس الخليفي الخاص زاول التدريس والوعظ والارشاد والافتاء والخطابة من إنتاجه (السر المصون في شرح أبيات سيدي عبد السلام ابن ريسون) ، (الدر المكنون في ترجمة الزعيم ابن ريسون) (الرد الميمون المظفر الفائز ، على زعم من ادعى أن السلام برفع اليد جائز) . و (موجز في تاريخ شفشاون) قام بطبعه أخيراً حفيده الاستاذ السيد علي بن الأمين الرسوني ، ومعه ترجمته وافية عن حياته وله مجموعة كبيرة من الخطب والفتاوي . انظر مجلة الأنيس العدد 41 السنة 5 شعبان 1369 – يوليه 1950 ، وللسيد الوالد ترجمة مطولة عنه ، وانظر الرهوني (أحمد) عمدة الراوين ج 5 ص 73 تحت رقم 680 .

الريسوني(97) والفقيه السيد أحمد الحداد(98) رئيس الوزراء حينذاك ، والأديب السيد البشير أفيلال(99) والفقيه السيد محمد المرير(100) والأستاذ السيد التهامي الوزاني(101) والشاعر ابراهيم الألغي(102) والأستاذ المكي الناصري(103) والشاعر

---

(97) من علماء تطوان وهو والد صاحب هذه الدراسة (1319 – 1393 – 1901 – 1973 م) ولد بشفشاون انتقل به أبوه صغيرا إلى تطوان والتحق بمكتب الفقيه ابن تاويت وحفظ القرآن وبعد ذلك تلقى الدروس الابتدائية على الفقيه عبد الرحمن أقشار ، ثم لزم أباه في دروسه العامة والخاصة كما لزم دروس الفقيه الرهوني لا يفارقها ، كما لزم بعض دروس الشيخ عبد الحي الكتاني ، عين عَدْلاً بالمحاكم الشرعية عام 1357 موافق 1938 م من الدرجة الأولى بمقتضى قرار وزاري ، وأضيفت له بجانب ذلك مهمة التدريس بالمعهد الديني والامامة والوعظ والارشاد والخطابة ، ثم مهمة كاتب ممتاز بالمجلس الخليفي ومهمة عدل موثّق للقصر الخليفي ، له إنتاج منشور بمجلة النصر المغربية ، ومخطوط تحت عنوان (المنح القدوسية في النسبة الريسونية الادريسية) و(مدخل لتاريخ شفشاون) وهو مشروع كتاب كان يعتزم إنجازه ، نشر بمجلة النصر ، وبحوث أخرى عن شفشاون لم تنشر تحت عنوان مباحث شفشاونية وترجمة مطولة عن والده بعنوان (المجلد الزاهر التالد ، في ترجمة السيد الوالد) ، وفتاوى وخطب وغير ذلك .

(98) من علماء تطوان (1309 – 1406هـ = 1891 – 1986م) درس بمسقط رأسه على شيوخها من بينهم السيد محمد الفرطاخ والسيد أحمد الرهوني ، عمل كاتبا بوزارة المالية ، وكاتبا بوزارة الصدارة وكاتبا أول بها وبعد ذلك تولى مديرية الأحباس ورئاسة المحكمة العليا للعدلية المخزنية ثم رئاسة الوزارة مضافا إليها وزارة المعارف موقتا .

(99) فقيه (1314 – 1411 ه = 1896 – 1990 م) أديب ولد بتطوان من شيوخه السيد أحمد الزواقي ، له كتابات أدبية نثرية على النمط القديم وله مساجلات أدبية مع ابن موسى ، ويحتفظ ببعض إنتاجه – كما قيل لي – وقد بذلت محاولات للحصول عليه بدون جدوى .

(100) من علماء تطوان (1303 – 1398 هـ = موافق 1885 – 1977 م) درس بمسقط رأسه تطوان من شيوخه بها السيد أحمد الزواقي ، رحل إلى فاس لاتمام دراسته ، تولى قضاء القصر الكبير وقضاء تطوان ثم رئاسة الاستئناف الشرعي ، من تآليفه (الأبحاث السامية في تاريخ المحاكم السامية) .

(101) من علماء تطوان (1321 – 1392 هـ = 1903 – 1973 م) درس بتطوان على شيوخها ثم انصرف إلى الدراسة والتحصيل وحده ، تقلد منصب مدير المهد الديني قبل الاستقلال ، وبعد الاستقلال عين عميد الكلية أصول الدين بتطوان من إنتاجه (الزاوية) وهو عبارة عن مذكرات يشوبها الكثير من خرافات الطرقية ، ولكنه لا يخلو من فائدة عن الحياة الاقتصادية الاجتماعية في تطوان .

(102) شاعر أديب (1328 – 1406هـ = 1910 – 1985م) يعرف بالألغي نسبة إلى (إلغ) وهو أخو العالم الشاعر محمد المختار السوسي ، لجأ إلى تطوان فرارا من مضايقات الفرنسيين وعمل أستاذا بمعهد مولاي المهدي وأستاذا بالمعهد الرسمي (القاضي عياض حاليا) ، وبعد الاستقلال عين عضوا بالمجلس الأعلى للنقض والابرام ، شعره منشور بالمجلات والصحف التي كانت تصدر بتطوان ، وله مؤلفات مدرسية ، انظر السوس (محمد المختار) ، المعسول ج 2 ص 282 وما بعدها .

(103) من العلماء ولد بسلا عام 1324 موافق 1906 ، تربى في بيئة علمية ، درس على شيوخ سلا سافر إلى مصر وتابع دراسته بالأزهر والجامعة المصرية ، أسس حزب الوحدة المغربية ، وعمل في تطوان مديرا لمعهد مولاي المهدي تولى أخيرا وزارة الأوقاف ثم عين بعد وفاة الأستاذ عبد الله كنون أميناً عاماً لرابطة علماء المغرب ، من إنتاجه (الأحباس الاسلامية في المملكة المغربية) انظر القباج ج 2 ص 70 .

النقيب السيد عبد الرحمن بن زيدان السالف الذكر ، وغيرهم ممن كانوا يعكسون الواجهة المشرقة للثقافة والفكر والعلم في العاصمة وخارجها .

وفي 19 صفر عام 1367هـ موافق 2 يناير 1948م بعث إلى صديقه الأديب البشير أفيلال بقصيدة هزلية تحوي فيما تحوي بين طياتها انتقادا اجتماعيا يتميز بروح عذبة خفيفة يقول فيها :

يعلق أنفاسي الدجاج المحمر ... ويحلو لأضراسي أخوه المعمر
وكم عصفت بي لِلْمشرمل نهمة ... تظل بمرعاها الأنامل تقطر

إلى أن يقول متحدثا عن الغلاء الذي ساد السوق :

زمان امتلأ السوق من كل مشتهى ... بأرخص سعر يشتري ويوفر
فأعقبه وقت يسوم رجاله ... غلاء يشق الدهر عسفا فيقهر

وبعث لصديقه المذكور يساجله قائلا :

يا راحة من حيا اخلافها الديم ... من أناملها الأحكام تنتظم
تبدي على صفحات الطرس من بصر ... ما تنجلي بدياجي فضله الظلم

ثم يقول له ، وفي عمقه صبوات حري إلى سويعات يجتمع فيها بالاخوان كما كان يجتمع بهم بالأمس ، ولعل التشوق إلى مجالس أصدقائه يرجع سببه إلى الأعمال الرسمية التي أخذت منه جل وقته فلم تتح له الفرص الكثيرة للاستمتاع بدعابة الاخوان وأحاديثهم الطلية :

متى تعود سويعات لنا سلفت ... كأنها في حواشي دهرها حرم ؟
في فتية كالنجوم الزهر إن نطقوا ... وكالسيوف على الجهال إن زعموا
لاحت وراحت كلمح الطرف سافية ... كأنها بجناح البزق تعتصم
أقول والقلب مطوي على حرق ... بين الجوانح في الاحناء تضطرم
(يا من يعز علينا أن نفارقهم ... وجداننا كل شيء بعدكم عدم)[104]

---

(104) البيت مضمن وهو للمتنبي (303 – 354 هـ = 915 – 965 م) اسمه أحمد بن الحسين يكنى أبا الطيب الشاعر العربي المشهور الذي شغل الناس بشعره ، ولد بالكوفة وتنقل في البوادي طالبا اللغة والأدب ، حظي أدبه لدى سيف الدولة بالتجلة والاكبار قتل وهو في طريقه إلى الكوفة ، والبيت المذكور من قصيدة مشهورة يعاتب فيها سيف الدولة مطلعها :

واحر قلباه ممن قلبه شبم ... ومن بجسمي وحالي عنده سقم ←

وفي عام 1374هـ موافق 1954 زارته صحافية أمريكية بعد أن سمعت عن علمه وأدبه فطلبت منه أبياتا بواسطة حرمه فكتب لها قصيدة مطلعها :

عجبا من خواطر الانسان ... في معاني فواتر الأجفان
يزدهيه شكل الملاح ويسبيه ... من الحسن ما يرى بالعيان

إلى أن يقول خاتما القصيدة مستهاما بجمال الفتاة :

تستثير النهى ببهجة بلقيس[105] ... وتسبي بمقلتي (بوارن)[106]
والجمال البديع فوق يراعي ... وجمال الأخلاق فوق بياني
فلتدم بهجة المحافل حتى ... يلحظ الملحدون حور الجنان

ويوما أهدى له صديق – وأظنه السيد البشير أفيلال – عنبا مصحوبا بهذه العبارة من (جناني إلى جناني) فقبل الهدية وغفل عن الجواب ، وبعد أيام وجه إليه الصديق نفسه عنبا آخر مصحوبا بهذه العبادة (منه إليه) فقبل الهدية وأجابه بقصيدة مطلعها :

إيه يا راحة أشارت اليا ... فتوالت منها الأيادي لديا

وفي عام 1976 موافق 1957م زار طنجة وفيها تذكر صديقه الأستاذ السيد عبد

انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 1 ص 102 وما بعدها وانظر الجرجاني (علي) ، الوساطة بين المتنبي وخصومه تحقيق وشرح محمد أبي الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي ، وانظر ديوانه بشرح البرقوقي (عبد الرحمن) .

(105) هي بنت الهدهاد بن شرحبيل بن يعفر بن سكسك من حمير ملكة (سبأ) يمانية من أهل مأرب ، وقد أشار القرآن الكريم إليها في قوله على لسان الهدهد مخبرا سليمان عليه السلام «فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبإ بنبإ يقين إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم» (سورة النمل الآيتان 22 ، 23) وكانت بلقيس هذه جميلة وتوفيت في إحدى وعشرين سنة خلت من ملك سليمان عليه السلام انظر النويري (أحمد) ، نهاية الأرب ج 14 ص 134 وابن خلدون (عبد الرحمن) كتاب العبر ج 1 ص 79 ، وهناك امرأة أخرى تدعي بلقيس الصغرى وهي أروى بنت أحمد الصليحي ملكة يمانية (444 – 532 هـ 1052 – 1138 م) انظر الزركلي (خير الدين) الاعلام ج 1 ص 279 ع 1 و2 ولعل الشاعر يقصد بلقيس الأولى .

(106) زوجة المأمون العباسي وهي بنت الحسن بن سهل كانت من أكمل النساء خلقا وأدبا واسمها خديجة ، أنفق في زفافها ما لم يعهد مثله في عصر من الأعصار قال محمد بن حازم الباهلي .

بارك الله للحسن ... ولبوران في الختن
يا ابن هارون قد ظفرت ... ولكن ببنت من

ولما بلغ المأمون هذا الشعر قال : ما ندري خيرا أراد أم شرا ، و(البورانية) طعام ينسب إليها انظر ابن خلكان ج 1 ص 258 وما بعدها ، وابن الساعي (علي) نساء الخلفاء ص 67 وما بعدها .

الله كنون – وهو حينذاك يلي عمالتها – فبادر إلى زيارته ، واتصل به هاتفياً فأجابته فتاة مكلفة بالاستقبالات ، بأن العامل في جلسة عمل ، فظن الشاعر أن الفتاة أرادت أن تحول بينه وبين صديقه فكتب له :

يا باذل التالد والطارف ... من علمه وظله الوارف
وكعبة الفضل التي لم تزل ... أمنية البادي مع العاكف
ومن تبارى في هوى حمده ... رغما عن الكاشح والكاتف
ما يملأ الأسماع من هاتف ... ويجذب الأبصار من راعف
يقول من يرقب إجماعها ... ما أشبه الجاهل بالعارف
حتى إذا الحاجب لم يكترث ... عدت ببال آسف كاسف
حاشاك أن أرجع دون اللقا ... يومي رجوع الدرهم الزائف

فراجعه الأستاذ كنون بما أوله :

حاشاك أن تحجب من عارف ... بفضلك التالد والطارف

وقد كان ابن موسى ذا حظوة وقبول لدى اصدقائه لما يعرفون عنه من علم وأدب غزير وحضور بديهة ونكت طريفة ومداعبة مليحة وحديث طلي يجعل منه شخصية محببة تضفي على جو المجالس الاخوانية بهجة ولطفا ، وتستأثر باهتمام الحاضرين ، وفي يوم من أيام السمر البريىء من عام 1374هـ موافق 1954م طلب منه البعض أن يتغزل في بنت الجنرال (بريلا)[107] (نونا) فكتب في الحين أبياتا أولها :

ما غادرت في فنون السحر مكنونا ... أشراك طرف رمت عن قوسه (نونا)
تحكمت في بديع الحسن تاركة ... حظ الخرائد من جدواه مغبونا

ومر الحديث سالفا بأن ابن موسى عقد صداقات مع علماء تطوان وعاشرهم وخالطهم ، واستأنس إليهم ، لذلك عندما مات شيخ الجماعة السيد احمد الزواقي عام 1371هـ موافق 1951م أسف على فراقه ، ولم يترك المناسبة تمر دون أن

---

(107) هو المقيم الاسباني العام اسمه الكامل هو خوسي الريكي باريلا تولى عالم 1945 م وتوفي عام 1951 حاول بروحه الاستعمارية الخبيثة الشريرة أن يقضي على الروح الاسلامية بكل الوسائل ، لكن صمود الأحرار كان أقوى من خبثه ، انظر بالاسبانية المغرب وإسبانيا ص 175 مدريد 1951
. **Marruecos y Españ p. 175, Madrid 1951**

يسجلها في شعره فشارك في حفل تأبينه بقصيدة طويلة افتتحها بقوله :

قفـا بمعاهـد أمست ثكـالي كواسف من صروف الدهر بالا
ذواهل كلما خشعت لشجو أباح الشجو للدمع انهمالا

ومما أثار انتباهي – والحديث الآن عن شعر البكاء – أن ما لديَّ من شعر ابن موسى لا يتوافر على رثائية في أخيه محمد – فتحاً – برغم أنه كان يقدره ويكن له المودة والحب ويحله من قبله مكانا عزيزا وعليّا – كما تثبت بعض المراسلات المتبادلة بينهما – ولست أدري سببا لهذا الصمت الذي لاذ به هل هول النكبة ألجمه فما استطاع أن يفضي لنا بعواطفه الأخوية كما أفضى لنا بأشتات من المشاعر عن الفقيه الزواقي ، أم أنه بكاه وغنى حبه وتقديره فاحتفظ بالرثائية دون أن يطلع أحدا عليها ، ومع ذلك فإن هناك وثيقة تكشف لنا عن مدى اثر وفاة أخيه في نفسه ، وهي رسالة بعث بها إلى صديقه أحمد بن البشير المسكوري رئيس الديوان الخليفي رحمة الله يجيبه فيها على رسالة تعزية في أخيه يقول فيها :

«الحمد لله وحده وعليه ﷺ وآله .

صاحب السعادة الصديق الجليل الوجيه النبيل سيدي أحمد بن البشير رعاكم الله .

سلام عليكم ورحمة الله .

تلقيت رسالتكم الكريمة في غرض التعزية بالمصاب بشقيقي المرحوم السيد محمد الصائر إلى دار الرضوان ومستقر الرحمة فكانت بلسما يسد أفواه الجراح الدامية ، وعلاجا يخفف من ألم الفؤاد الملكوم وإرشادا إلى التمسك بالصبر الجميل والرضى بما قدره الله على كل مخلوق الخ» .

وأرسلت له زوجة أخيه إطارا يحوي صورتين . «صورتها وصورة زوجها المتوفى ، وطلبت منه أن يستوحي من الاطار شعرا لكتابته تحت الصورتين ، فكتب لها هذين البيتين تحت عنوان (إلف حزين يهفو إلى إلف دفين) :

دنـا رسمه مـن رسمه فتراءيـا أليفَيْن لم يعصف بشملهما الدهر
كأنهمـا صنـوان لم يتفرقـا وقد مر للتفريق بينهمـا عصر

سبق الحديث أن ابن موسى حاول رصد الأحداث الرسمية ، فكان شعره معبرا عن حياته الجديدة في تطوان في صورتها التي تنم عن انشراح النفس واستعذابها

مباهج الحياة .

أسأل بعد هذا : هل كان الشاعر يحيا دائما حياة لا تشوبها هموم فلم يعان ما يعانيه الانسان عبر فترات حياته حسب سنة الله تعإلى في الكون ، تلك السنة التي لا تتخلف والتي تشمل بناموسها الخلائق بلا استثناء .

إن ما لدي من نصوص شعرية في هذا الشأن يفيد في استخلاص صور لبعض الآلام البدنية والنفسية التي كان يعاني منها الشاعر ، ففي بعض الأيام شكا داء المفاصل (الروماتزم) ، فنصحه الطبيب بالاستحمام بماء (مولاي يعقوب) ، فشخص إليه واستحم به ، ولما أحس بالشفاء أثناء الاقامة هناك يدب في أوصاله نقش هذين البيتين على جدران الحوض :

هـذا مقـام أمـد الله تربتـه | سرا يبيد من الأسقـام أقواهـا
كم خاطب السقم أجسادا وقد وردت | من حوضه أخرست للسقم أفواها

وتذكر الشاعر – فيما تذكر – أياما سلفت اقترف فيها ذنوبا ، وارتكب خلالها آثاما ، فهاجت في أعماقه الأشجان وأمسى فريسة الألم الممض لا يغمض له جفن ، تتوإلى على مخيلته ذكريات سود مليئة بالرؤى المفزعة ،فلجأ إلى الله متضرعا مستغفرا تائبا مسترفدا شاعريته في هذه اللحظات اللاهبة التي استيقظت فيها الروح الايمانية الشفيفة فقال قصيدة استغفارية – هي من عيون شعره – يفتتحها بقوله :

الله يغفـر دنيـا سود الصحفـا | وضاعف الاثم والأكدار والأسفا
الله يعفو فلا يبقـي على أثـر | للسيئات ولا يجرى بما سلفـا
الله يستـر عيبـا شوهت يـده | وجه المحاسن واستوصت بها تلفا

وفي 2 جمادى الاولى عام 1374هـ موافق 28 دجنبر1954م أعفي ابن موسى من وظيفته ، وعين بعد ذلك عضوا بالمجلس الخليفي الخاص يوم 9 جمادى الأولى 1374هـ موافق 4 يناير 1955م .

وبعد بزوغ عهد الاستقلال انتهت مهمة الشاعر في الوزارة والمجلس ، وكان حينذاك قد بلغ من الكبر عتيا ، ويبدو أنه في هذه المرحلة أخذ يشكو زمانه بعد أن خبا ضياء مجالس الاخوان ، ولم يعد يزوره في بيته إلا القليل من الأصدقاء الأوفياء منهم الأديب البشير أفلال الآنف الذكر ، وأن خير وثيقة تفصح لنا عن حالته النفسية في هذه المرحلة الرسالة السابقة التي بعث بها لصديقه السيد أحمد

ابن البشير الهسكوري جوابا عن تعزيته في أخيه يقول فيها :

«ولقد جريتم – يا صاحب السعادة – على ما طبعكم الله عليه من كرم الاخلاق ونبل الشمائل والتحلي بشيمة الوفاء في زمن قلت بل عدمت فيه الخصال الحميدة» .

وفي 12 رجب 1385هـ موافق 6 نوفمبر 1965م توفي شاعرنا بتطوان بعد مرض الشلل الذي ألزمه الفراش مدة من الزمن ، ودفن بمقبرة تدعى ضريح (سيدي الصعيدي) بباب السعيدة رحمه الله وغفر له .

وكفَّت الحنجرة الشاعرة عن التغني بالكلمة الخضراء ، وتوقفت الريشة المعطاء عن مدّ الأظلال الحانية ترسم من خلالها رَعْشَةَ القلب وانتفاضة النفس ، وَرَفَّةَ الخَطْرَة وَبَوْحَ اللهات ونَفْثَةَ الصدر ، ومع ذلك فإن مثل شعر ابن موسى يبقى المنار لقافلة الكلمة المجنَّحة يمد بالنور راسماً معالمَ الأصالة في الابداع الحي الصادق وَزَافاً في الوقت نفسه أنَّ الأصالة تبقى حيةً متجددة في تجاوب مع الحقب ، وأن الحداثة التي لا تغرف من منهلها لا تقوى على البقاء .

الفصل الثاني

ثقـافتـه

مقومات المعارف لديه

تحدثت – فيما سبق – عن حياة ابن موسى ، وعرفنا أنه درج في بيئة علمية وأنه شخص إلى فاس للدراسة بجامعة القرويين فأخذ عن شيوخها مختلف العلوم والفنون .

ولا ريب عندي أن شاعرنا كان ينصرف منذ فتاء سنه في غير أوقات الدراسة لقراءة الأدب العربي شعره ونثره يتمثل صوره وجواءه وألوانه ، ويرتاد آفاقه وأظاليله ، وما يحفل به من أضواء شذية وأطياف مطيبة ، ويقف على شوارده وأوابده متمليا على مداه الوسيع معانيه المعشبة ردحا من الزمن بعيدا عن ضوضاء الحياة راويا عطشه من ينابيعه الثرارة ملبيا بذلك الرغبة التي أمست تلهب أعماقه لاثراء محصوله الأدبي وإغناء أداته الفنية إلى أن غدا بعد معاناة ودربة شاعرا تنقاد لقلمه الكلمة الشعرية في يسر ، وكاتبا تستجيب لريشته العبارة في سهولة غير ضنينة عليه بإشراقاتها وأشذائها . ولا بقوة تماسكها وجزالة بنائها ، مع رقة في الانسياب .

ولا ريب عندي كذلك أن شيخه العالم الشاعر أحمد البلغيثي كان له نصيب – كما سلف – في توجيهه وتفتيق ملكاته وإقالة عثراته ورعايته رعاية شاملة أسهمت أيما إسهام في صياغة كيانه العلمي والأدبي .

ومن خلال ما يرويه أصدقاؤه ومن حضر مجالسه الأدبية ، ومنهم الأستاذ أبو خبزة ، أنه كان ذا حافظة قوية وذكاء ثاقب وبديهة عجيبة ، يستحضر النصوص الشعرية والنثرية في أحاديثه ومسامراته ، وحسبه أنه كان يحفظ (ريحانة الكتاب) لابن الخطيب(108) ، ويحفظ المطولات من شعره ، من ذلك إلقاؤه قصيدته الرثائية

(108) هو محمد بن عبد الله السلماني اللوشي الغرناطي (773 – 776 هـ = 1313 – 1374 م) ، يعرف بلسان الدين ويلقب بذي الوزارتين ، من كبار أدباء الأندلس ، ولد بغرناطة واستوزره أبو الحجاج يوسف وانتقل إلى المغرب باستدعاء من عبد العزيز المريني ، مات مخنوقا في السجن بفاس ودفن بها ، له تآليف عديدة من بينها (اللمحة البدرية في الدولة النصرية) و(نفاضة الجراب) ، انظر ابن القاضي (أحمد) جذوة الاقتباس ص 194 ، وانظر ابن الأحمر (إسماعيل) نثر فوائد الجمان ص 242 وما بعدها ، تحقيق محمد رضوان الداية .

التي تبلغ ستة وستين بيتا في حفلة تأبين شيخ الجماعة السيد أحمد الزواقي – وقد سبق الالماع إلى هذا التأبين – من حافظته ، وما لوحظ عليه أثناء الالقاء تعثرا أو سهو إذ انطلق يقرأ القصيدة في صوت هادىء تجلله نبرة الحزن وتتلاحق في نغماته الكلمات مترابطة يأخذ بعضها برقاب بعض كما لو كان صاحبها يقرأها مكتوبة .

ولست أرتاب في أن كل هذه العوامل تتضافر فيما بينها مشكلة مقومات المعارف لديه على مختلف أشكالها وألوانها ، وهي ، في الحق مقومات حرية بأن تبرز ثقافة الشاعر في شتى واجهاتها المتعددة .

في مجال القرآن والحديث ومصطلحه

وقد جلى لنا شعره ونثره آفاق ثقافته في شتى الفنون ، في القرآن والحديث ومصطلحه والفقه واللغة والنحو والعروض وغير هذه الأنماط المعروفة التي تكاثفت فيما بينها على تكوين شخصيته العلمية والأدبية فأطلعت مواهبه وريفة سخية ، وريقة مزهرة حملت التجربة والمعاناة في تعدد النبرات والوجوه ..

وعندما دخل[109] الخليفة السلطاني إلى طنجة يوم الجمعة 22 صفر 1360هـ موافق 21 مارس 1941م فاضت قريحة الشاعر الاسباني رفاييل ديوس خيوخيتا بقصيدة في الموضوع قام بترجمتها إلى النثر العربي الأستاذ (خوسي اراغون كانيثاريس (jose Aragon Canizares)[110] فأطلع عليها شاعرنا مترجمة وأعجب بها فنقلها إلى الشعر العربي ، وفي موشح جميل يأخذ بمجامع القلوب .

وفي هذا الموشح يتحدث ابن موسى عن أعمى يتحرق شوقا إلى رؤية الأمير ، لكنه لا يستطيع أن يحقق أمنيته وهو أعمى حرم نعمة البصر ، وهنا يتخلص شاعرنا تخلصا موفقا من المعاني التي تطرق إليها الشاعر الاسباني فيستوحي معارفه القرآنية والحديثية مضيفا إلى الصورة التي رسمها الشاعر الاسباني للأعمى صورة أخرى أجمل وأوقع في النفس وخاصة بالنسبة للقارىء المسلم يقول :

صدح البوق عندما لحت أنسا	فهوى القوم للمسامع همسا
هو ذا هو[111] ذا لقد طاب انسا	وعلا بالبهاء بدرا وشمسا

(109) كانت الزيارة بمناسبة إلغاءنظام طنجة الدولي رسميا وضمها إلى المنطقة الخليفية ، انظر جريدة الوحدة المغربية السنة 5 العدد 174 ص 201 – صفر 1360 موافق مارس 1941 م .

(110) كان مترجما بالاقامة العامة وأستاذاً للغة الاسبانية بالمعهد الرسمي (القاضي عياض حاليا) .

(111) كذا في الأصل التفعيلة مكفوفة إلا إذا شددت واو (هو) الثانية ، والتشديد في (هو) و(هي) لغة – كما قيل – عند همذان وضرورة عند باقي القبائل العربية ، والمحققون يعدون كل ذلك من الضرائر حتى عند همذان ، انظر الا لوسي (محمود) ، الضرائر فيما يسوغ للشاعر دون الناثر ، ص 178 ، 179 .

ومـــــن الحشد شاحب	أكمـــــه ظاهـــــر الجلال
شيبتـــــه النـــــوائب	فـنضا الــرأس والسبــال
نضو حـــزن يـــراقب	كيــف يعتــد بــالمحال
يقدح النور من محاجـر جمه	ودهـا لـو ابـن مـريم ثمه
أوعرت في قميص يوسف نسمه	أو يد قد كفت قتادة غمه(112)

فالاشارة هنا إلى معجزة سيدنا عيسى عليه السلام في إبراء الأكمه وقد نص عليها القرآن الكريم في قوله تعالى ﴿ ... وأبرىء الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله﴾(113) ، وإلى معجزة يوسف عليه السلام حين ألقى قميصه على وجه أبيه فارتد بصيرا بعد أن ابيضت عيناه من الحزن وفي ذلك يقول تعالى : ﴿اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا وأتونى بأهلكم أجمعين ، ولما فصلت العير قال أبوهم ، إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون . قالو : تالله إنك لفي ضلالك القديم . فلما أن جاء البشير ألقاه على وجهه فارتد بصيرا﴾(114) .

والاشارة هنا كذلك إلى معجزة سيدنا محمد ﷺ عندما رد بصر الصحابي الجليل قتادة بن النعمان الذي سالت حدقته في غزوة (بدر) فأراد قطعها ، ثم أتوابه إلى الرسول ﷺ ودفع حدقته بيده المباركة الطيبة حتى وضعها موضعها ، ثم غمزها براحته وقال ﴿اللهم اكسها جمالا﴾ فجاءت وأنها لأحسن عينه وما سرضت بعد((115) .

ونقع في شعره على الكثير من هذه الاشارة من بينها قوله في مزدوجته (الجناح الأخضر) .

ورد في الحديث أن العلمـــا	ورثه المنبين عن وحي السمـا
وذا عطـاء خصهـم فأعظمـا	سحـائب الـفضل بـه وأنعمـا

(112) ليس هناك أية إشارة في النص الاسباني لما أورده الشاعر ابن موسى عن معجزات أنبياء الله الثلاثة عليهم الصلاة والسلام ، انظر الكتاب الذي صدرت فيه القصيدتان بالعربية والاسبانية بمناسبة دخول الخليفة السلطاني إلى طنجة وعنوانه (موشح) في ذكرى / دخول صاحب السمو الملكي إلى طنجة وانظر كذلك النص الاسباني في الصفحة 23 ، 24 طبعة تطوان 1361 - 1942 .

(113) سورة آل عمران : 49 .

(114) سورة يوسف الآيات 93 - 96 .

(115) صحابي جليل أنصاري (... 23 هـ 644 م) كان من الرماة المشهورين ، حضر المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ أصيبت عينه يوم غزوة بدر وقيل الخندق وقيل أحد ، انظر ابن عبد البر (يوسف) ، الاستيعاب ج 3 الترجمة 2107 ص 1274 ، 1275 وانظر الرازي (عبد الرحمن) ، الجرح والتعديل القسم 2 من المجلد 3 الترجمة 3 7275 ص 132 .

بنعمة الايجاد والأرزاق

وصح عن شمس حقائق الشرف ﷺ ما نبت ورف
يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله عمن مضى من السلف

وهو بذلك يلفت نظرنا إلى قوله ﷺ «من سلك طريقا يطلب فيه علماً سلك الله به طريقا من طرق الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضي لطلب العلم ، وإن العالم ليستغفر له من في السموات والأرض والحيتان في جوف الماء ، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لن يرثوا دينارا ولا درهما ورثوا العلم ، فمن أخذ بحظ وافر»(116) .

ويلفت نظرنا كذلك إلى قوله ﷺ . «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين»(117) .

وتطالعنا في كناشته(118) نصوص حديثية موزعة هنا وهناك جمعها ضمن ما جمعه أثناء قراءته العديدة أيام الشباب والطلب بمدينة فاس ، منها ما رواه الطبراني(119) ومنها ما رواه الامام أحمد بن حنبل(120) ، وما ذكره الحافظ

---

(116) رواه أبو داود عن أبي الدرداء انظر سننه باب الحث على طلب العلم ج 2 ص 285 .

(117) ذكره البغوي (الحسن بن مسعود) في مصابيح السنة ج 1 ص 17 ، كما ذكره الخطيب التبريزي (ولي الدين محمد) في مشكاة المصابيح ج 1 ص 82 ، 83 الحديث 248 ، وقد علق العلامة المحدث محمد ناصر الدين الألباني محقق الكتاب على الحديث فقال : إن الحديث مرسل لأنه مروي عن ابراهيم بن عبد الرحمن العذري وهو تابعي ، لكن الحديث قد روي موصولاً من طريق جماعة من الصحابة وصحح بعض طرقه الحافظ العلائي ، انظر بقية التعليق في الهامش .

(118) مكنني من هذه الكناشة الأخ الأستاذ محمد أبو خبزة وهي إحدى الكنانيش التي كان الشاعر يسجل فيها ما كان يعثر عليه من نصوص شعرية ونثرية وفوائد في شتى المجالات والتي ضاعت ، كما قيل لي ، ولم يبق منها إلا هذه ، وهي من الحجم الكبير وتضم أربع وثمانين ورقة مكتوبة بخطه المغربي الجميل ..

(119) هو سليمان بن أحمد اللخمي الشامي الشيباني (260 - 360 هـ خ 873 - 971 م) من كبار المحدثين ينسب إلى طبرية الشام ، له رحلات في البلدان ، وله في الحديث ثلاثة معاجم وله كتب أخرى ، انظر ابن خلكان ج 2 ص 141 .

(120) أبو عبد الله أحمد بن حنبل الشيباني الوائلي (164 - 241 هـ = 780 - 855 م) المحدث الجليل وإمام المذهب الحنبلي ، أصله من مرو ، ولد ببغداد سافر في سبيل العلم إلى كثير من المدن ، له تآليف منها (المسند) ، عذب في سبيل الله عذابا شديدا لامتناعه عن القول بخلق القرآن فكان قدوة في الصبر والجهر بالحق رضي الله عنه .

السيوطي[121] مما يدل على اتصاله الوثيق بالحديث وولعه به.

ومن معارفه في علم مصطلح الحديث قوله (مستعملا المرسل والمرفوع) في رسالة سلطانية «رفع الله أعلام العز والتمكين، وسخر رياح النصر والفتح المبين لأمر مولانا أمير المؤمنين، ولا زالت سعود التهاني تابعة لركابه بالمنعوت والمعطوف ووفود الأماني جامعة بأعتابه بين المرسل والموقوف»[122].

في مجال الفقه :

كان لابن موسى ثقافة فقهية لا تقل عن ثقافة معاصريه من علماء تطوان المتخصصين، غير أنه اشتغل بالشعر والكتابة الفنية، وصرف لها جهوده، الأمر الذي جعل الناحية الفقهية لا تبرز بوضوح في حياته، ومع ذلك فإنه حين يكتب في الفقه يفوز بإعجاب المتخصصين، ومما يعضد ما أذهب إليه فتوى شرعية حررها عام 1372هـ في قضية تجارية مرفوعة من قِبَل محمد بن يعيش الصفار المدعو (الشطيبات)[123] الأصيلي وهي تتألف من سبع ورقات من القطع الكبير المكتوب على الآلة الراقنة.

ويعالج في هذه الفتوى قضية سطو على مليونين من البسيطات مفصلا الحديث عنها متتبعا خيوطها والمراحل التي قطعتها بمحكمة باشا أصيلا، وبالمجلس الأعلى للعدلية المخزنية، وبالمحكمة الشرعية الأصيلية وفي كل ذلك يعتضد بأقوال كبار الفقهاء في المذهب كالمازري[124].

وقد استطاع ابن موسى بذكائه وحسه الفقهي أن يكشف عن كثير من التناقضات في هذه القضية من خلال استنطاقات المدعي والمدعي عليه وأجوبة المحكمة، وغير ذلك وأثبت هنا فقرات من هذه الفتوى نموذجا من معارفه وأساليبه

(121) عبد الرحمن السيوطي (849 – 911 هـ = 1445 – 1506 م) من حفاظ الحديث مؤرخ عالم نشأ وعاش في القاهرة له تآليف عديدة من بينها (الاتقان في علوم القرآن) و(بغية، لوعاة)، انظر السخاوى (محمد)، الضوء اللامع ج 4 ص 65.

(122) انظر شرح المصطلحين عند ابن كثير (اسماعيل) الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث ص 24، 25 وانظر ابن الخياط (أحمد) حاشية ابن الخياط على شرح محمد الفاسي الطبعة الحجرية، وانظر الترمسي (محمد)، منهج ذوي النظر شرح منظومة علم الأثر ص 47 وص 49.

(123) لم أقف على ترجمته.

(124) هو محمد بن علي بن عمر التيمي المازرى نسبة إلى (مازر (mazzara) بصقلية (453 – 536 هـ = 1061 – 1141 م) من فقهاء المالكية المرموقين وأئمتهم، له تآليف منها (الكشف والأنباء في الرد على الاحياء) انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 3 ص 413.

الفقهية المتأدبة .

« ... وأن من تتبع هذه القضية بما تقتضيه أهميتها من المناقشة ليخوض في ظلمات بعضها فوق بعض ، فلا يكاد يسد ثلمة إلا استقبلته ثلمة ، ولا يتخلص من غبش إلا تورط منها في ظلمة فلنكتف عن تشريح الهيكل بتشخيص الأمراض وبعرض الجوهر عن تناول الأعراض والله يصلح الحال ويظهر القلوب والأعمال .

وبعد فالذي يظهر لكاتبه – سامحه الله – أن قضية المؤاجرة لها أصل يدل عليه إقرار المدعي عليه والذي عليه فيها اليمين حسبما تقدم .

أما قضية القراض بأربعة ملايين فهي فرية أحاطت بها مخايل الريبة والاختلاق في إحاطة الحراس بالسارق في رابعة النهار ، فأصبحت ولا مجال للتردد في بطلانها رغم تلك الشهادة الملفقة التي رجع أحد شاهديها فأخذت في الانحدار إلى مستقرها من حضيض البطلان ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

نظر كاتبه – كان الله له – في حل القضية : القضية بطرفيها تجارية بحتة ، وفي خصوص التموين ولأموال البنك دخل فيها تقدم أربابه لتقويم ما اشتمل عليه خزين المؤاجرة حسبما تقدم في التلخيص ومواد التموين تؤخذ من (الكوميتي)[125] بحساب مضبوط ، فالقضية على هذا سهلة التناول ، سهلة الحل إن صدق العزم عليه من طريقه ، وذلك بتعيين لجنة تجارية يوكل إليها مراجعة الحسابات الجارية بـ (الكوميتي) مع خزين الاجارة مدة المعاملة معه فتحصى البضائع المستهلكة بواسطته مدة المعاملة وقيمتها قدر الربح المعدود لها ، وما كانت الادارة تدفع ، وممن تأخذ قيم ما تدفع ثم يقع الاتصال بالبنك لأخذ صورة علاقته وكيفية حسابه معه عن المدة المذكورة ، ومثل ذلك يقع في شأن معاملة القراض إن كان لها وجود في الخارج ، وتحقيق الحساب على هذه الصورة يظهر الغث من السمين بلا مقال ولا جواب ولا إقرار ولا إنكار ولا إفتاء ولا استفتاء ولا تلاعب من المستهزئين بالحقوق ، فإن بقي بعد هذا تناكر في أمر خاص من الجانبين عينت له لجنة شرعية تتولى حسم مادته في جلسة أو جلستين» .

وحين نقرأ هذه الفتوى من فاتحتها إلى خاتمتها نتبين نفسا جديرا بالاعجاب ، كفيلا بالتقدير ، تبرز لنا ثقافة ابن موسى الفقهية ، وأكاد أجزم بأنه لو تابع هذا الطريق لأصبح فارسا فيه لا يجارى .

(125) باللغة الاسبانية (comité) ومعناه اللجنة ويقصد به في تلك الفترة قسم التموين بإدارة الاقتصاد .

في مجال اللغة والمنطق والعروض

من معارفة اللغوية أنه لاحظ على الشاعر العالم ماء العينين ولد سيدي العتيق الشنقيطي[126] استعمال جمع قلة (أوشح) وهو غير وارد في اللغة – بدل جمع كثرة (وشح)[127] في قوله من قصيدة له عصماء كان أنشدها شاعرنا حين زاره في تطوان في21 ربيع النبوي الشريف عام1376هـ .

تمور على أوساطها الهيف أوشح وتشكو براها حشدها وبرودها

وقد غير ماء العينين كلمة أوشح بـ (وشح) فصححها هكذا :

تمور على أوساطها الهيف وشحها

ولم تفت هذه الحادثة شاعرنا دون أن يسجلها في قوله :

ومنتقد من سائرات خليلة يخر لنجواها جرير[128] وجرول[129]
على وجهها من شارة الحسن شامة تدافع عينا بالتي هي أجمل
رأى كحلا فأنكر ما رأى وريم الفلا لو أبصر الرشد أكحل
أقول له والحسن ملء ردائها وخيم التصابي من جناها معلل
أعد نظرا يَظْهَرْ لك الحسن سافراً يكبر عن اعطافها ويهلل
فقد يستفز الخد والخد أخيل ويسحر طرف الخود والطرف أشكل

وتطالعنا كذلك في كناشته شروح له لبعض الكلمات الواردة في نصوص شعرية ، ومن ذلك هذه التعليقات على قصيدة الشاعر أبي علي الحسن

---

(126) من علماء الصحراء (1307 – 1377 هـ = 1887 – 1957 م) ولد بـ (السمارة) ، تربى في حضن والده ونشأ في بيت علم له تآليف وديوان شعر ، انظر السوسي (محمد المختار) المعسول ج 4 ص 294 .

(127) تنص القواميس اللغوية على ثلاثة جموع ليس غير هي وشح وأوشحة ووشائح أما أوشح فلا تذكرها راجع ابن منظور (محمد) اللسان ج 3 ص 930 ع 1 وراجع الفيروزاباذي (محمد بن يعقوب) القاموس المحيط ج 1 ص 255 .

(128) هو جرير بن عطية بن حذيفة الخطفي (28 – 110 هـ = 640 – 728 م) من شعراء بني أمية يحتل مكانة مرموقة في الشعر العربي ، له نقائض مع الفرزدق وله ديوان شعر ، انظر ابن سلام (محمد) ، طبقات الشعراء ص 96 ، وابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 1 ص 286 وما بعدها .

(129) هو جرول بن أوس العبسي يكنى أبا مليكة ويلقب بالحطيئة وبه اشتهر (... نحو 45 هـ = 665 م) شاعر مخضرم عاش في الجاهلية والاسلام وكان هجاء سليط اللسان له ديوان شعر ، انظر الأصبهاني (علي بن الحسين) ، الأغاني ج 1 ص 157 ، وابن قتيبة (عبد الله) ، الشعر والشعراء ج 1 ص 238 .

اليوسي[130] :

فالنفس تحيا وتفنى لوعة بهوى كالماء يشرق طورا باللغاديـــد
ريح إذا ما أصفت أهدت لنا أرجا من كل حب شفيق القلب مودود
وممتع النفس بالصهباء تفرغها من فيك صافية لا من نواجيد

اللغاديد جمع لغدود لحمات الحلق ، أرج ريح الطيب ، مودود محبوب ، الصهباء من أسماء الخمر .

ومن معارفه النحوية هذه التورية أوردها في قوله من قصيدته له يذكر فيها (الصلة) و(العائد) المعروفين في النحو العربي :

فيها السعـــــادة والسيــــــاد دة والزيــــــادة بالمقــــــاصد
فيها المطــــــالب والمطــــــا يب والطرائــــــق والتلائــــــد
فيها مـــــن الخير الكثيــــــ ـــر وفي المنى (صلة وعائـد)[131]

ومن معارفه في علم المنطق حديثه عن (الماهية)[132] وموضع استعمالها في الرسالة التي كتبها على لسان طالب إلى فقيه عرائشي – وقد مر الكلام عنها يقول فيها : « ... ونظنه لو سئل عن تحديد الماهية بقيدها واين تستعمل أفي خصوص الموجودات أو فيها وفي المعدومات لجد في الهرب غير زائد على أنها نار حامية ..».

ومن معارفه العروضية قوله في مدح الملك محمد الخامس رحمه الله – وقد سلف الحديث عن ذلك – يشير إلى تفاعيل بحر الطويل الذي آثره على غيره في موضع المدح لكونه – كما في رأي الشاعر – أوقع في النفس وأوعى لما يريد معالجته من مضامين :

وما تـركـت يمنـاه مجدا مؤثـلا ولا شرفا الا فرت منه حاصلا

(130) عالم وشاعر (1040 – 1102 هـ = 1630 – 1691 م) تعلم بالزاوية الدلائية وتنقل في البلدان يأخذ عن علمائها كسجلماسة ودرعة ومراكش ، استقر بفاس أستاذا بجامعها ، عاد إلى قبيلته ودفن بـ (تمزورت) ، من إنتاجه (الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع) وديوان شعر انظر الكتاني (عبد الحي) فهرس الفهارس ج 2 ص 464 – 469 وانظر دراسة عنه لصاحب هذا البحث في جريدة (الحسنى) من عدد 40 إلى 48 عام 1382 هـ 1962 تحت عنوان ، (شخصيات من بلادي) .

(131) انظر الحديث عن الصلة والعائد من كتب النحو في باب (الموصول) ، راجع مثلا ابن مالك (محمد) (تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد) ص 33 وما بعدها ، راجع الصبان (محمد) (الحاشية على الأشموني) ج 1 ص 155 وما بعدها .

(132) راجع تعريف الماهية عند الجرجاني (علي) (التعريفات) باب الميم ص 104 ، وراجع جميل صليبا (المعجم الفلسفي) ج 2 ص 314 ، 315 .

أمولاي ما حد اليراع ببالغ بنعتك شأوا من فعولن مفاعلا[133]

ونعثر في كناشته المذكورة على بعض المعلومات في علم العروض كقوله «من مجزوء الكامل» «المرفل»[134] وكقوله من «مخلع البسيط»[135] .

معارف أخرى

تستوقف قارىء شعر ابن موسى إشارات إلى الأعلام التاريخية ، وتضميناته لأشعار غيره – وكذا نثره يتميز بهذه الظاهرة – تشده اليها شدا وتطوف به عبر أفياء التاريخ ، ورياض الأدب وتقدم له البرهان تلو البرهان على ما للشاعر من اطلاع واسع على التراث ، ومن هذا الوادي قوله مساجلا عبد الله القباج .

لفظ أرى كوكب الابداع قد شرف ورائق الغرض المطلوب منجذبا
ف(المجد) من رائق الأسلوب في دهش و(السعد) يحتار[136] في المعنى لو انتصبا

فكلمة (المجد)[137] يشير بها إلى مجد الدين الفيروزبادي صاحب القاموس ،

---

(133) للطويل موسيقا تحوى النبرة الجادة وتفاعيله هي :

فعولن مفاعلين فعولن مفاعيلن × 2

وقد أبدل الشاعر نون (مفاعيلن) ألف وصل لتناسب باقي الألفات الأخرى التي لحقت روى القصيدة ، وهذا لم يؤثر البتة في الوحدة الموسيقية ، لأن النون ساكنة والألف ساكنة ، ويمكن مراجعة الطويل في كثير من كتب العروض القديمة أو الحديثة ، انظر مثلا الزمخشري (محمود) (القسطاس المستقيم) ص 94 وما بعدها ، ولصاحب هذه الدراسة حديث عن الطويل في كتابه المخطوط (المعجم العروضي) باب (الطاء) .

(134) الترفيل من علل الزيادة وهو أن يزاد سبب خفيف على ما آخره وتد مجموع مثل (متفاعلن) تصير (متفاعلاتن) انظر الزمخشري المصدر السابق ص 73 ، وفي المعجم العروضي ورد الحديث عنه في باب (التاء) ورمز له بهذا الرمز (ـــ ٥) .

(135) تفاعيله :

مستفعلن فاعلن فعولن × 2

انظر الخطيب التبريزي (يحي بن علي) الوافي في العروض والقوافي ص 67 وفي المعجم العروضي المذكور لصاحب هذا البحث ورد الحديث عنه في باب (الميم) .

(136) استعمل الشاعر فعل (احتار) انسياقا مع الخطأ الشائع والمسموع عن العرب (حار) و(استحار) (وحير) راجع المادة في لسان العرب ج 1 ص 767 ع 1 والقاموس المحيط ج 2 ص 16 .

(137) محمد بن يعقوب الفيروزابادي (مجد الدين) (729 – 817 هـ – 1329 – 1415 م) من أئمة اللغة والأدب ولد بكارزين من أعمال شيراز من كتبه (القاموس المحيط والقابوس الوسيط لما ذهب من كلام العرب الشماطيط) ، و(بصائر أهل التمييز في لطائف الكتاب العزيز) ، توفي في زبيد ، انظر السيوطي (عبد الرحمن) بغية الوعاة ج 1 ص 273 وانظر السخاوي (محمد) الضوء اللامع ج 10 ص 86 .

وكلمة (السعد)[138] يشير بها إلى سعد الدين التفتازاني أحد أعلام العربية والمنطق .

ومن هذا الوادي قوله من قصيدة بعث بها إلى العلامة الأستاذ السيد عبد الله كنون بعد شفائه من مرض ألم به :

من صادع جنبات الشك من فلق   وقارع لمحات البرق في السدف
كأنها القضب في يمنى (أبي حسن)   والسمهرية في كفي (أبي دلف)

ولعل (أبا حسن)[139] عند الشاعر هو الامام علي بن أبي طلب رضي الله عنه الذي اشتهر بشجاعته وسيفه البتار في خوض الحروب ، وأما (أبو دلف)[140] فهو أحد قواد المأمون وصاحب الوقائع المشهور وصاحب الوقائع والطعنة النافذة .

ومن هذا الوادي كذلك قوله يتغزل :

سألت وصالها يوما فقـالت   مطامع (أشعب) قرعت صفـاتي

فالاشارة هنا إلى (أشعب)[141] الرجل الذي اشتهر بالظرف والدعابة والفكاهة والمطامع .

وفي مولديته التي مطلعها :

واهاً لعهد بأكناف الحمى سلفا   لم أستطب أسفا من بعده أسفا

بصمات متنبئية جليّة وذلك في قوله :

لم نخش غيا ومن أعلامنا فئة   من وارثيه حموا أعلامها حنفا

(138) هو مسعود بن عمر التفتازاني المعروف بسعد الدين (712 – 791 هـ = 1312 – 1390 م) من أقطاب العربية والمنطق ولد بتفتازان في خراسان وأبعده تيمورلنك إلى سمرقند ، ومات بها من كتبه (تهذيب المنطق) و(المطول) و(شرح العقائد النسفية) ، انظر السيوطي المصدر السابق ج 2 ص 285 .

(139) ابن عم رسول الله ﷺ وصهره (23 ق هـ – 40 هـ = 600 – 661 م) يكنى أبا الحسن وهو الخليفة الراشد الرابع العادل وأحد المبشرين بالجنة وأحد كبار الخطباء والعلماء الاعلام ختم الله عليه بالشهادة ، انظر الأصبهاني (أبو نعيم أحمد) ، حلية الأولياء ج 1 ص 61 وانظر ابن عبد البر ، الاستيعاب ج 3 ص 1089 ، الترجمة 1855 .

(140) أبو دلف القاسم بن عيسى العجلي (...226هـ – ...840م) أحد قواد المامون ثم المعتصم صاحب الوقائع المشهورة والطعنة النافذة ، انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 1 ص 242 وما بعدها .

(141) هو ابن جبير المعروف بأشعب ويكنى أبا العلا (... 154 هـ = 771 م)ظريف من أهل المدينة كان مولى عبد الله بن الزبير ، تأدب وروى الحديث عنه ، وكان يتقن الغناء ويضرب به المثل في الطمع انظر ابن حجر (أحمد) لسان الميزان ج 1 – 450 ، الترجمة 1403 .

إذا مضى علم منهم بدا علم وإن بدا علم منها كفى وشفى

هذان البيتان يذكران بقول المتنبي[142] في سيف[143] الدولة :

جيش كأنك في أرض تطاوله بالأرض لا أم والجيش لا أمم

إذا مضى علم منها بد علـم وإن مضى علم منه بدا علم[144]

ولا مشاحة عندي ان ابن موسى – وهو في غمرة العملية الشعرية أو بعبارة أخرى في أثناء المخاض الشعري – امتاح من حافظته فانثالت عليه بعض معاناة المتنبي ، بل بعض تعابيره ، وما شعر بذلك ، وقد أمست المحفوظات جزءا من ثقافته ، وفي قصيدته التي يمدح فيها الملك محمد الخامس يقول :

وقال لسان الحال والكون شاهد (ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه)

يذكرنا بقول أبي تمام[145] يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر[146] :

فلو نطقت حرب لقالت محقـة ألا هكذا فليكسب المجد كاسبه

ومن تضميناته قوله في رثاء الفقيه الزواقي السالف الذكر مضمنا بيتا لمروان بن أبي حفصة[147] يرثي معن بن زائد الشيباني[148] :

(142) سبقت ترجمته بهامش ص 104 .

(143) هو علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربعي (303 – 356 هـ = 915 – 967 م) أمير حلب ولد بـ (ميا فارقين) بديار بكر كان أديبا شجاعا كثير العطايا ، لذلك كان مقصد الشعراء والعلماء ، له وقائع مشهورة مع الروم توفي بحلب انظر الثعالبي (عبد الملك) يتيمة الدهر ج 1 ص 27 وما بعدها ، وانظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 3 ص 79 .

(144) انظر البيتين في ديوانه قافية الميم ج 4 ص 172 وضع البرقوقي (عبد الرحمن) .

(145) هو حبيب بن أوس الطائي المعروف بأبي تمام (188 – 231 هـ = 804 – 846 م) من الشعراء العباسيين المشهورين ولد في جاسم من قرى حوران بسوريا ، استقدمه الخليفة المعتصم إلى بغداد فنبه أمره ، ولي بريد الموصل وتوفي بها ، من تصانيفه (ديوان الحماسة) ، وله ديوان شعر ، انظر الصولي (أبو بكر) ، أخبار أبي تمام ، وانظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 1 ص 334 .

(146) أمير خراسان (182 – 230 هـ = 798 –.844 م) ، من أشهر الولاة في الدولة العباسية ولي عدة مدن ، كان ذا علم وتجربة توفي بنيسابور ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 2 ص 271 وما بعدها .

(147) من الشعراء المجيدين (105 – 182 هـ = 723 – 798 م) كان جده أبو حفصة مولى مروان بن الحكم ، قدم مروان بغداد ومدح المهدي وهارون الرشيد ومعن بن زائدة وتوفي بها ودفن بمقبرة نصر ابن مالك ، انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 4 ص 276 وما بعدها .

(148) أحد أجواد العرب ولي اليمن زمن المنصور العباسي ، قتل غيلة وقيل فيه مراث كثيرة ، انظر ابن خلكان وفيات الأعيان ج 4 ص 331 ، وانظر ابن حبيب (أبو جعفر محمد) ، أسماء المغتالين من الأشراف في الجاهلية والاسلام ص 195 .

ذكرت ما مضى لك من أياد يضوع نثرها من كان قائلا
(سيذكرك الخليفة غير قال اذا هو في الأمور بلا الرجالا)[149]

ومن تضميناته قوله في قصيدته (شكوى غريبة - وفد سلف الحديث عنها - مضمناً عجز بيت لكثير عزة[150].

قاضي القضاة وروح كل فضيلة ومن اغتدى ذخرا لكل جليلة
فإذا الفحول رموا بعبء ثقيلة عزت وعالج حلها بسهولة
(خروا لعزة ركعا وسجودا)[151]

ومن جميل كتاباته النثرية التي تنم عن المقدرة الفائقة في عملية التضمين والتورية وحسن التصرف في الأساليب كلمة كتبها بمناسبة إنشاء معهد مولاي المهدي الذي تولى ادارته الأستاذ المكي الناصري ، وقد ضمنه أسماء الكتب موريا ، وأرى من الواجب إثباتها لنتبين بالحجة والبرهان مدى إلمام الشاعر بكتب الثقافة العربية والاسلامية .

«كنا تولينا منذ ستة وثلاثين شهرا تدشين[152] هذا المعهد المستنير اجابة لطلب مديره النابغة العبقري الأستاذ محمد المكي الناصري ، فرحبنا بمشروعه النبيل وثبتنا أقدامه على المنهاج السوي متفرسين في طالعه (بالغيث المنسجم)[153] ونواة صالحة

---

(149) قال اسم فاعل من (قَلَى يقلي) إذا بغضه وهجره وأصله (قالي) حذفت يأوه لأنه منقوص منون في حالة الجر .

(150) كثير بن عبد الرحمن الخزاعي (... 100 هـ =... 723 م) شاعر من أهل المدينة اتصل بعبد الملك ابن مروان فحظي عنده ، اشتهر بحبه لعزة بنت جميل الضمرية حتى عرف بكثير عزة ، وكان عفيفا في حبه لها ، توفي بالمدينة ، له ديوان شعر ، انظر ابن قتيبة (عبد الله) ، عيون الاخبار ج 1 ص 147 ، 148 .

(151) الشطر من قول كثير .
لو يسمعون كما سمعت حديثها خروا لعزة ركعا وسجودا
وليس من شك في أن هذه الفكرة تتنافى مع التصور الاسلامي الحق ، إذ الركوع والسجود لا يكون إلا لله تعالى ، ولا يكون لأحد من البشر أبدا ، ولو كان على سبيل المجاز كما قد يشرح ذلك البعض ، ذلك أن الدعوة إلى مثل هذه الأفكار يمس خصائص التوحيد في الصميم ويفتح ، بسبب ذلك ، باباً للفتنة يصعب سده .

(152) دشن هذا المعهد الخليفة السلطاني والمقيم العام ورجالات الدولة وذلك يوم 14 ذي الحجة الحرام 1358 موافق 23 يناير 1940 م ، راجع صحيفة معهد مولاي المهدي ص 16 وجريدة الوحدة المغربية العدد 124 - 23 ذي القعدة 1358 موافق 2 فبراير 1940 م .

(153) الغيث المنسجم في شرح لامية العجم لخليل بن أيبك الصفدي .

تنفلق عن (أزهار الرياض)[154] ومهدا وثيرا تنمو بين احضانه (ثمار القلوب)[155] ومشكاة لا تلبث ان تسطع بـ (مشارق الأنوار)[156] فما تخلفت عن تصديق فراستنا في براعته في (جمع الوسائل)[157] ، ولا إقدامه على المكاره الحافة بما يتوخاه من (المقصد الأسنى)[158] ، إذ لازلنا نتلقى من أنبائه اجتهاده في الجمع بين (التحصيل والبيان)[159] وإدمانه على الاكتراع من (مناهل الصفا)[160] وحرصه على الأخذ بالحظ الوافر في (إحياء علوم الدين)[161] ما وسم جبينه بـ (عنوان أبناء الشرف الوافي)[162] وقدمه إلى استدرار المرجو من (المواهب اللدنية)[163] ما وجب الثناء على الأساتذة الذين عرفوا كيف يهذبون أخلاقه بـ (الترغيب والترهيب)[164] ويتوجون أحلامه بالجواهر الثمينة ويرصعون أفكاره بـ (فصوص الحكم)[165] وقد كان من دواعي الغبطة والابتهاج ان جاءت هذه الذكرى بين يدي المشروع العظيم الذي هيأه (سعادة) المندوب (السامي) التنينتي جنرال لويس (أوركاس) لاصلاح مناهج التعليم بهذه المنطقة السعيدة وتوجيهه التوجيه الكفيل بتنوير العقول[166] بـ (الضياء المستبين)[167] وتغذية الأرواح بـ (عوارف المعارف)[168] ، وكأننا به وقد سرى مفعوله بطول البلاد وعرضها سريان الماء في العود والعافية في البدن السليم فعلى الهمم أن تنهض وعلى القرائح أن تتهيأ وعلى العزائم أن تستعد للتبارى في ميادين الفوز إن الشرف لا ينال بالترف ولا يوصل إلى الراحة إلا على جسور التعب فإلى الامام يا معشر الطلاب والله ولي التوفيق وهو الهادي

---

(154) أزهار الرياض في أخبار عياض لأبي العباس أحمد المقري .

(155) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب لعبد الملك بن محمد الثعالبي .

(156) مشارق الأنوار على صحاح الآثار للقاضي عياض .

(157) جمع الوسائل في شرح الشمائل لعلي بن سلطان محمد القارىء الحنفي .

(158) المقصد الأسنى في شرح الأسماء الحسنى لابراهيم بن علي الكفعمي .

(159) التحصيل والبيان في فقه السيد سلمان لشمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي .

(160) مناهل الصفا في فضائل الشرفا لعبد العزيز الفشتالي .

(161) لأبي حامد الغزالي .

(162) عنوان الشرف الوافي في الفقه التاريخي والنحوي والعروضي والقوافي لاسماعيل بن أبي بكر المقري اليمني .

(163) المواهب اللدنية بالمنح المحمدية في السيرة النبوية لأحمد الحسيني السحسمي .

(164) لعبد العظيم المنذري .

(165) لمحيي الدين بن العربي الصوفي .

(166) ليس من سياسة الاستعمار تنوير العقول ، وإن فعل شيئا من ذلك فلأجل توطيد قدمه فقط .

(167) الضياء المستبين بكرامات الشيخ محمد الأمين لمحمد بن فاضل اليعقوبي .

(168) عوارف المعارف لعمر السهروردي .

إلى سواء السبيل» .

ولم تكن ثقافة ابن موسى منحصرة فيما مر من حديث عن المعارف التي ألم بها إلماما واسعا ، وضرب فيها بسهم وافر ، بل امتدت إلى علم الجداول والطلاسم ، وفي كناشته السالفة الذكر نقف على صور منها منقولة عن الكتب المتخصصة في هذا الشأن مما يعكس اهتمام الشاعر بهذا اللون من المعارف .

وقد عثرت على أبيات ثلاثة له في دفتر متوسط الحجم ضمن فيها أعدادا على طريقة حساب الجمل تتحدث عن جدول يسمى (المخمس الخالي الوسط) وإليك ما وجدته بتمامه مع حذف الجدول فلا فائدة لاثباته :

«وكاتبه سامحه الله الأبيات الآتية لترقيمها فوق المخمس الخالي(169) الوسط ونصها :

جرى3 بك622وضاح كأن21 كئوسه20 طيور19 يواقيت16 يروق4 دقيقها
يدور14 بها2 زاه7 بيارق12 هيفه15 همت5 كدرار24 حول8كهف25طريقها9

كجاري23 حيا18 يزور17 يأتي11 أتيه بغاية مأمول وقت حقيقها»(170)

محمد بن عبد القار بن موسى

بالمناسبة أحب بعد هذا أن أذكر هنا إجازة علمية أجاز بها العالم الشاعر ماء العينين المذكور شاعرنا ابن موسى خلع فيها عليه أوصافاً كلها تبرز مكانته العلمية

---

(169) سألت العم السيد عبد السلام الريسوني عن هذا الجدول فأجابني إجابة مطولة في ست صفحات ذاكرا بتفصيل الغاية من الجداول والمصطلحات المستعملة فيها وغيرها ، ثم تحدث عن الجدول الخالي الوسط فقال «فواضع هذا الجدول الفارغ الوسط أراد جهده وسعى ما أمكن له أن يضمن مجموع أعداده في أبيات ثلاثة دون أن يشير إلى الاسم الخاص الذي ينبغي أن يرتكز عليه هذا المخمس والذي هو الأساس في علم الأوفاق إلى أن قال «فواضع هذا المخمس أراد أن تكون خاصيته زيادة في الفهم والذكاء ودفع الأذى وبلوغ المقاصد ونوال المآرب وقهر الأعداء والخصوم حسبما يظهر ذلك من الأس الذي أراده لهذا المخمس ومن الأرقام التي وضعها داخله ، لكنه سامحه الله لم يهتد إلى الاتيان بحقيقة أحكامه واتفاقه على الوجه المطلوب ليحصل بذلك المرغوب» إلى أن يقول منتقدا «فإن الوفق يعتبر في حد ذاته غير مطابق للأصول ولا يمكن أن يتم به الوصول وإن كان قد وفق في استخراج الضلع الأول والثالث والرابع عموديا له أخفق في الأعمدة الباقية سواء منها العمودية أو الأفقية» . ونتبه على أننا تحدثنا عن هذا الجدول للتدليل فقط على ثقافة الشاعر وأتينا بهذا التعليق لاعطاء فكرة عن سخافته وتهافته ، واعتقادنا الاسلامي يرفض هذا البهتان الصارخ ، والشعوذة السخيفة التي تتنافى وخصائص التوحيد ولذلك فالاعتقاد فيه يعد شركاً بلا شك .

(170) البيت لا يتزن وفيه بياض بمقدار كلمة .

والأدبية ، وهي وثيقة عادلة ناطقة تشهد لشاعرنا بالسبق والتبريز في عالم الأدب والمعرفة وفيما يلي نص الرسالة :

الحمد لله وحده وصلى الله عليه وسلم وعلى آله وسلم

حمدا لمن جاز بالحسنات وبدأ بالاحسان وجعل اللسان العربي أفضل لسان ، والسلامان على المبعوث للقديم والحديث ، القائل أحب العربية لثلاث إلى آخر الحديث(171) ، وعلى آله وصحبه وتاليه من سائر الأجناس المنزل فيهم «كنتم خير أمة أخرجت للناس» أما بعد .

فقد طلب مني الأخ في ذات الله المعرض عن كل شاغل ولاه ، العلامة المشارك الحسيب الناظم الناثر الأديب ، من نبغ لدرر البلاغة قاموسا الفقيه السيد محمد بن عبد القادر ابن موسى ، ألبسني الله وإياه حُلَلَ التقوى ولا زال على أعباء الطاعات يقوى أن أجيزه بمنظوماتي وأشعاري وكل ما سمحت به نتائج أفكاري ، فلبيت نداءه واجبت دعاءه قائلا : قد أجزتك إياها أيها الأخ الشقيق والخل الصديق بجميع ما نظمت من دواوين وألفت من تقاييد نثرية بل سائر المعقول والمنقول من فروع وأصول وأوصيك كنفسي بتقوى الله العظيم وألا تنساني في صالح دعائك الخاص والعميم وهذه أبيات للحال تناسب ما جادت به قريحة الكاتب :

وضعت لكــــل مأثـــرة مجازا	وتؤثـــر للتـــواضع أن تجازا
فشئت إجـــازتي إيـــاك فضلا	لـو أن الأمـر منعـكس لجازا
هنيئـا قـد أجـزتك دون قيــد	تجيـز وأنت افضل مـن أجــازا
إلـيك زمامهــا البلغـاء ترمــي	إذا رمت القـــريض والارتجازا
وأنتَ بحالها الطــــــرف المجلى	اذا خضت الحقيقـــــة والمجازا
جزيت لرعيك الأدب ابن موسى	بـأحسن مـا الأديب بـه يجازا

كتبه الحقير المعترف بالتقصير ماء العينين بن العتيق هدي سواء السبيل ، في 8

(171) لعله يقصد (أحبوا العرب لثلاث ، لأني عربي والقرآن عربي وكلام أهل الجنة عربي) وهو حديث موضوع بدون شك لأن فيه العلاء بن عمرو الحنفي وهو مجمع على ضعفه وفيه علل أخرى راجع الألباني سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج 1 ص 189 وما بعدها ط 3 ففيه بحث جيد في هذا المجال .

بجانب ذلك كله فإن النص هذا يعلن عن بطلانه بنفسه ، لأنه يتعارض مع التصور الاسلامي العام في الدعوة إلى تجنب العصبية ، المقيتة والدعوة إلى التقوى التي على أساسها يتفاضل المسلمون ، وذلك في قوله تعالى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ، ومثل هذه النصوص الموضوعة يحتج بها دعاة القومية بالرغم من أنهم لا يؤمنون بعقيدة الاسلام ، وبهذا يسقط استدلالهم وتنكشف مزالقهم .

من قعدة الحرام 1957 والصلاة والسلام على خير المرسلين والحمد لله رب العالمين .

بالجملة والتفصيل فإن ثقافة ابن موسى أصيلة مترامية الأطراف متنوعة الواجهات ، لذلك يسوغ لي أن أقول : إنه كان شاعرا ناثرا متفننا وعالما ضليعا واسع المعارف ، الأمر الذي دفع أستاذنا العلامة السيد عبد الله كنون إلى أن يصفه بشتى الأوصاف العلمية فمرة يصفه في مراسلاته له معه بـ (العلامة الأديب الكبير) ومرة بـ (حليف الأدب)[172] ومرة يصفه في رسالة له لي شخصية مؤرخة بتاريخ 21 شعبان 1396هـ بـ (فقيد الأدب) وبقوله (ولقد كان نسيج وحده) وبقوله (خاتمة الأدباء من الجيل الماضي) وبقوله (له قلم بارع في النثر الفني وملكة راسخة في نظم الشعر الجيد[173] .

---

(172) هذه المراسلات تحت يدي وهي مؤرخة بتاريخ 27 المحرم عام 1361هـ وبتاريخ 26 رجب 1376هـ .

(173) وردت هذه العبارت الأخيرة في مقدمة قدم بها الأستاذ كنون قصيدة ابن موسى في مدح الملك محمد الخامس رحمه الله بمجلة دعوة الحق – العدد 4 – السنة 9 – شوال 1385هـ فبراير 1966م ، وإن الأستاذ كنون معجب بشاعرنا وقد أبدى إعجابه أثناء حديثي معه عنه في صيف 1396 ، وما زلت أذكر قوله في حرقة وأسى : «إنه الرجل الضائع» .

الفصل الثالث

شـــعـــره

المضمـون

وبعد هذا يحين لنا اللقاء مع شاعرنا ابن موسى فيما تضمنه عمله الشعري من أغراض ، وسنتناول بالحديث كل غرض على حدة. وهي لا تخرج في عمومها عما عالجه شعراء هذه الفترة وشعراء ما قبل هذه الفترة في الأدب العربي بعامة والأدب المغربي بخاصة وفيما يلي هذه الأغراض :

أولا : المـــدح
ثانيا : الرثـــاء
ثالثا : الغـــزل
رابعا : الوصـــف
خامسا : الاخوانيات
سادسا : الهزليات والاجتماعيات
سابعا : التوسلات والاستغفارات

أولا : المـدح

يشغل المدح في شعر ابن موسى مساحة شاسعة الأطراف ، ولا شك عندي أن ذلك يرجع أول ما يرجع إلى ما كانت تمليه عليه تطلعاته المتعددة من رؤى حافلة بالأشواق منذ أن كان أمينا بجمرك مدينة العرائش إلى أن أصبح وزيرا للأوقاف فعضوا بالمجلس الخليفي .

والمدح عند ابن موسى نوعان :

1 . مدح رسمي أو بلاطي
2 . مدح نبوي

أما الأول فهو ما نقع عليه عبر العصور الأدبية في تاريخ الأدب العربي مثلا لدى

النابغة الذبياني(174) وحسان بن ثابت(175) والأخطل(176) والمتنبي وابن هاني الأندلسي(177) إلى البارودي(178) وشوقي(179) وحافظ(180) .

---

(174) زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري (... نحو 18 ق هـ – 604 م) شاعر جاهلي من الطبقة الأولى من أهل الحجاز كانت تضرب له قبة بسوق عكاظ فيقصده الشعراء لعرض أشعارهم عليه ، كان ذا حظوة عند النعمان بن المنذر ، تغزل في زوجته (المتجردة) فغضب عليه ففر منه قاصدا الغساسنة ثم رضي عنه النعمان ، فغادرهم إليه ، له ديوان شعر ، انظر الأصبهاني (أبو الفرج) ، الأغاني ج 11 ص 3 .

(175) حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري (... 54 هـ 674 م) شاعر رسول الله ﷺ وأحد المخضرمين ، عاش في الجاهلية والاسلام ، واشتهر بمدائحه في ملوك الحيرة قبل الاسلام ، توفي في المدينة له ديوان شعر ، انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ج 1 ص 223 والخزرجي (أحمد) ، تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال ص 75 .

(176) غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة من بني تغلب (19 – 90 هـ = 640 – 708 م) شاعر أموي مسيحي اشتهر بمدح ملوك بني أمية وهو أحد الثلاثة المشهورين في عصرهم جرير والفرزدق والأخطل ، كان يقيم بدمشق وأحيانا في الجزيرة حيث قبيلة بني تغلب ، انظر الأصبهاني الأغاني ج 8 ص 280 ، والشعر والشعراء ج 1 ص 393 وما بعدها .

(177) محمد بن هانىء الأزدي الأندلسي يتصل نسبه بالمهلب بن أبي صفرة (326 – 362 هـ = 938 – 973 م) من شعراء الأندلس المشهورين ولد بإشبيلية وحظي عند صاحبها ، في شعره نزعة اسماعيلية واضحة ومتطرفة قصد مصر لاحقا بالمعز وقتل غيلة وهو في طريقه إليها ، له ديوان شعر ، انظر ابن خلكان ، وفيات الأعيان ج 4 ص 49 وما بعدها ، وانظر ابن دحية (عمر) ، المطرب في أشعار أهل المغرب ص 192 وانظر من المحدثين منير ناجي ابن هاني الأندلسي درس ونقد .

(178) محمود سامي البارودي (1255 – 1322 هـ = 1839 – 1904 م) أول من نهض بالشعر العربي من رقدته في العصر الحديث واحد القادة الشجعان ، جركسي الأصل تعلم بالمدرسة الحربية ، وسافر إلى الاستانة فأتقن التركية وتقلب في مناصب مهمة وشارك في الحملتين المصريتين لمساعدة تركيا ، وكان في صفوف الثائرين في الثورة العرابية ، له ديوان شعر ، انظر الدسوقي (عمر) في الأدب الحديث ج 1 ص 167 وما بعدها .

(179) أحمد شوقي (1285 – 1351 هـ = 1868 – 1932 م) شاعر حديث غني عن التعريف ، يلقب بأمير الشعراء ولد لقاهرة وينتمي إلى الأكراد نشأ في البلاط الملكي بمصر وتعلم في المدارس الحكومية وقضى سنتين في قسم الترجمة بمدرسة الحقوق ، أرسله الخديوي إلى فرنسا لمتابعة دراسته في الحقوق ، وعين رئيسا للقلم الفرنجي في ديوان الخديوي عباس ، من آثاره الشعرية (الشوقيات) وهو ديوان شعر ومسرحيات شعرية انظر محفوظا (أحمد) حياة شوقي مطبعة مصر ، وانظر الدسوقي ، في الأدب الحديث ج 2 في صفحات متعددة .

(180) محمد حافظ ابراهيم (1287 – 1351 هـ = 1871 – 1932 م) من شعراء مدرسة البعث ولد بمصر وتوفي بها ، التحق بالمدرسة الحربية وشارك في حملة السودان ، لقب بشاعر النيل وعمل رئيسا للقسم الأدبي بدار الكتب ، كان قوي الحافظة راوية مرحا حاضر النكتة ، له ديوان شعر ورواية تدعى (البؤساء) مترجمة عن فيكتور هيجو ، انظر مقدمة ديوانه لأحمد أمين وانظر محفوظا (أحمد) ، حياة حافظ .

ولم يخرج ابن موسى ابدا عن المألوف من الصور والمعاني التي تعاور عليها شعراؤنا القدامى ، بل حبس نفسه في أقباب القوالب العتيقة لا يتعداها إلى رحاب أخرى فسيحة ، ولنأخذ - على سبيل المثال - قصيدته التي يمتدح فيها الخليفة السلطاني بمناسبة حفلة زواجه .

استهل الشاعر قصيدته بالحديث عن الممدوح ومكانته ، وعن مجده الذي غرف من معينه الملوك ، فسر به الدهر أيما سرور ، وما ذلك الا أنه قام بأمر الله حتى أمسى للعدل سطوة ومكانة ما بعدها من مكانة وهكذا استرسل في تعداد المناقب على مختلف اشكالها وأنواعها .

من مجدك المجد في الأقيال منقسم   ومن نهوضك وجه الدهر مبتسم(181)
ومن توخيك أمر الله قد رفعت   للعدل ألوية ترعى بها الحرم
ومن مساعيك مَدَّ الأمن قالصهُ   فما ثنى عطفه سهل ولا علم(182)
ومن أياديك خاض الناس في رغد   يغشى الرعية جارٍ منه ملتطمُ
ان عاذ منهم بأمن منك معتصم   أطرى صنيعك (مأمون)(183) و(معتصم)(184)
وإن أصيب بجذب ناصب قصرت   عن وزنك المزن أو عن فضلك الديم
حتى ترى مكفهر الوجه ذا مرح   يكفي به الهم أو يشفي به السقم

ويعرج بالحديث عن نسب الممدوح وحلمه وصلاحه فيقول :

ينميك من شرف الاعراق فائقة   فينتمي لك من اعراقها الشيم
لله منك أمير في مريرته   يبدو الهدى والنهى والحلم والكرم(185)

ويختم القصيدة بقوله داعيا للممدوح بالخير والسعادة والمجد والسؤدد :

---

(181) الأقيال والأقوال والقيول جمع قيل الرئيس أو الملك من ملوك حمير سمي كذلك لأنه إذا قال قولا نفذ قوله .

(182) القالص من الثياب المنكمش بعد الغسل .

(183) هو عبد الله بن هارون الرشيد (170 - 218 هـ = 786 - 833 م) سابع الخلفاء العباسيين ولي الخلافة سنة 198 هـ وعالم متمكن ، في عهده ازدهرت الثقافة العربية انظر الخطيب البغدادي (أحمد) تاريخ بغداد ج 10 ص 183 ط مصر 1349 هـ وانظر هدراة (مصطفى) ، المأمون سلسلة أعلام العرب .

(184) هو محمد بن هارون الرشيد (179 - 227هـ = 795 - 841م) بويع سنة 218 وهو فاتح عمورية توفي بـ (سامرا) انظر تاريخ بغداد ج 3 ص 342 وانظر ابن شاكر الكتبي (فوات الوفيات) ج 4 ص 28 تحقيق إحسان عباس - دار صادر .

(185) المريرة تجمع على مرائر وهي العزيمة والمرير من الحبال ما مُتن فتله ، ورجل مرير قوي ذو عزم .

مُرْ وانْهَ وَسُدْ واحْكُم وجِدَّ وَجُدْ واشْكُر مواهب من إنعمامه عممُ
لا زلت في درجات العز مقتبلاً وفد المعالي على الأعتاب يزدحم
ولا تـزال بك الأيـام مقبلـة يدنو بها الأمد الأقصى فينتظم

ولنأخذ على سبيل المثال – قصيدته التي قالها عند عودة الملك الراحل محمد الخامس رحمه الله ، وهي عندي من عيون شعره في المدح لما تحتويه من انسياب في العاطفة وشعور مرهف وصور مكثفة تنداح في آفاقها ، ووطنية صادقة ترتاد رحابها ، ولا أكون مبالغاً اذا قلت : إنها تقف بجانب فرائد المتنبي في مدح سيف الدولة ووصف معاركه .

والقصيدة ، في الحق ، لوحة جميلة رسم الشاعر عبر آفاقها الفسيحة الوضيئة كفاح الممدوح وجهاد الشعب المغربي في الثورة على الاستعمار البغيض ويمكن ان نوزع القصيدة على الشكل الآتي :

1 – مكانة الممدوح وبعد صيته وجميل تطلعاته :

أبي المجد الا أن تقاد جنائبـه وتمرح في سوح المعالي نجائبـه
وتستحضر الأقيال خاضعة الطلى مكاتيبـه أو عـززتها كتائبـه[186]
فيملي على الأجيال عهدا تكفلت بترتيلـه الأرواح والدهـر كاتبـه
يرد صداه شاسع الشرق كلما سعت لمراميـه الجسام مغاربـه
فيجذب أفلاذ القلـوب لصوبـه كما يجذب الفولاذ بالطبع جاذبه
هواها هواها في آطراد نزوعـه دنا أو تعدى جانب الأفق جانبه
يمانيـة مـا أيمنت نظراتـه وقيسية إن مال بالقوس حاجبه
يقينا بـأن الفتح ظـل يمينـه وما الظل الا حيثما حل صاحبه

2 – غدر المستعمر ومحاولته الدنيئة إحباط مساعي الممدوح بنفيه عن وطنه :

بيوم أزاح الغدر فيه لثامـه فدبت إلى دار السلام عقاربـه
غدا فيه وجه الجو أسفع قاتماً ورأد الضحى مستوحش الظل شاحبه
على حين داناها من الفوز حاضر كفاحا وناداها من اليسر غائبه

3 – انفجار الروح الوطنية وخوضها معركة المصير ثم عودة الملك إلى وطنه والهزيمة التي حاقت بالمستعمر :

(186) الطُّلى جمع طُلاة ، العنق .

فثارت حفاظا عن كرامة مالك على جدد أهدى من الغيث راكبه[187]
اذا غاب كان الأمن عنقاء مغرب[188] يحلق في جو الأساطر عازبه[189]
وان لاح قال الدهر : فرض ولاؤه فما ينتهي من سورة (الفتح) راتبه[190]
وشقت فجاجا يعثر السيل دونها وتخذله من هولهن مذانبه[191]

4 – فرحة النصر التي عانقت أغوار النفوس وغمرت الروابي والسفوح :

طغى البشر طغيانا الضياء بقربه وضاقت بأعلام السرور مواكبه

إلى أن يقول :

تهنَّ أمير المؤمنين بوافد من العز يدعوه لنصرك واهبه
ودم معقلا للشعب ترفع رأسه وتدفع عنه كل سوء يواثبه
وتعدو به شأو السيادة صاعدا ذرى شرف تعلو بهن مراتبه
تكلله تاج الجلال حقوقه وتكسوه جلباب الكمال مطالبه

وفي القصيدة صور قوية لا فتة للنظر تشع بهيبة بالممدوح وشرعية ولائه ، فالدهر نفسه يعلن طاعة الامام ، وشعاره سورة (الفتح) إشارة إلى قوله تعالى «إنا فتحنا لك فتحا مبينا الخ» التي نزلت في المدينة في السنة السادسة من الهجرة بعد صلح الحديبية[192] اعلانا بالنصر المبين ودحر الشرك من الجزيرة العربية ، مهد الرسالة الربانية ، واعلانا بتحرير الانسان من طاغوت الانسان ، وقد وفق الشاعر إلى أبعد حدود التوفيق في استغلال الحدث الاسلامي المهم في الموقف العصيب للثورة المغربية ضد الكفر والطغيان ، تلك الثورة التي شقت الفجاج ، وبعثت الفزع في كل مكان فلم يستطع السيل الجارف الصمود قبالة هولها وقوتها ، لذلك خذلت كل المساعي التي يحاول بها العدو السيطرة على البلاد ، فالمغاربة مبدؤهم اما أن يرجع الامام إلى كرسي الحكم وإمَّا أن يسلطوا الفناء على الأرض :

---

(187) الجدد جمع أجداد ، الأرض المستوية الغليظة ومنه المثل (من سلك الجدد أمن العثار) .
(188) عنقاء مغرب طائر مجهول الجسم لم يوجد ، ويقال في الأخبار عن هلاك الشيء وبطلانه .
(189) العازب الكلاء البعيد المطلب .
(190) إشارة إلى سورة (الفتح) المدنية التي نزلت بعد صلح الحديبية وهي تبدأ بقوله تعالى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم إنا فتحنا لك فتحا مبينا الخ ...﴾.
(191) المذانب لها مَعَانٍ منها مجاري المياه .
(192) انظر ابن كثير (اسماعيل) ، تفسير القرآن العظيم ج 4 ص 182 ، وانظر قطبا (سيد) ، في ظلال القرآن المجلد 7 ص 476 وما بعدها .

وإن لاح قال الدهر : فرض ولاؤه فما ينتهي من سورة (الفتح) راتبه
وشقت فجاجا يعثر السيل دونها وتخذله من هولهن مذانبه
ومبدؤه إما الامام لعرشه وأما فناء ينذر الأرض ناعبه

ومن هذه الصورة المكثفة القوية قوله واصفا الجو المكهرب والاقدام والشجاعة التي أظهرها الابطال في حومة الوغى حتى ان الموت ضاعت منها حكمتها وتقديرها ، فاختلط عليها الأمر فلم تقدر على مجابهة بطولة الأبطال وكلت مخالبها ، فلم تقدر على مجالدة الروح الشجاعة لأبناء الوطن[193] ، لذلك عصفت الأهوال بالجائرين المستعمرين فذاقوا من ويلات الحرب ما لم تتصوره خواطرهم ، وما لم يكن يخطر على اذهانهم البتة :

وللموت صك ضاع فيه حسابه وكلّت بأرواح الكماة مخالبه
وللروع بين القاصفات اذا دوت وبين جنون الجائرين نوائبه
فكالت ضروب البأس فيه كاته وكيل لها من واضح السؤ واهبه

ومع قوة الصورة في صدر البيت السابق (وللموت صك ضاع فيه حسابه) فإنها تخالف تصورنا الاسلامي – كما أشرت في الهامش – لذلك لا أستسيغها ، وقد يستسيغها غيري ممن تعميهم الناحية الفنية فينساقون وراء الضلال غير مبالين ، وأما الملحد فإنه يبش لها ويفرح ويرى فيها عالمه المنشود وخاصة وهي تمس أهم خصائص التوحيد ، وغفر الله للشاعر هذه المزالق الخطيرة ، وكم من شعراء أفضت بهم اللحظة الشعرية أثناء غيبة الاحساس الايماني الرفاف إلى سقطات مثل هذه من غير شعور .

أما النوع الثاني من المديح عند شاعرنا فهو المديح النبوي ، وقد حذا فيه ابن موسى حذو من سبقه من الشعراء كحسان وكعب بن زهير والنابغة الجعدي[194]

(193) هذه أفكار تتنافى والتصور الاسلامي الحق للتوحيد ، ذلك أن الموت لا يمكن أبدا أن تضيع منها الحكمة والتقدير وهي من تقدير الله سبحانه المنزه عن كل نقص ، وفي مثل هذا قال القرآن الكريم ﴿والشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهم في كل واد يهيمون ، وأنهم يقولون مالا يفعلون﴾ .

(194) هو في المشهور قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة الجعدي العامري (. . . نحو 50 هـ = . . . 670) شاعر صحابي سمي النابغة لأنه أقام ثلاثين لا يقول الشعر ثم نبغ فقاله ، سكن الكوفة ومات باصبهان وقد جاوز المائة ، انظر الشعر والشعراء ج 1 ص 208 وانظر المرزباني (محمد) ، الموشح ص 89 وما بعدها .

إلى عبد العزيز الفشتالي[195] في الأدب المغربي القديم[196] إلى البارودي وشوقي .

وها هو شاعرنا الوزير يقدم لنا مولدية من مولدياته يلم في مفتتحها – على عادة القدامى – بذكر الماضي والوقوف بالديار متحسرا باكيا متوهج العاطفة تستبد به الصبوة هي في نظري ليست همًا أو تقليدًا بحكم العادة المتبعة في مطالع القصائد ، ذلك أن الشاعر مسلم يحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحب آل البيت – وله في ذلك أشعار اخرى – تهتز نفسه إلى موطن النبوة حيث عاش سيدنا رسول الله ﷺ ، والقصيد ، في الحق تتضمن توهجات عاطفية وانسيابات احساسية ندية :

واها لعهد بأكناف الحمى سلفا ... لم أستطب أسفا من بعده خلفا
ألوي فما جذوة الأشواق كاتمة ... وجدا ولا الدمع في اخمادها وقفا
يحدو به من زفير الشوق مضطرم ... بين الجوانح ان صب به هتفا
فيستفز وشيك السفح منبـجسا ... سمح المقاديم في أجفانه عسفـا

ثم بعد هذه الاشراقات العاطفية الزاخرة بالأشواق حيث تتعانق الحالة النفسية بالتجربة الشعرية يبدأ في عرض صور مألوفة لا تجسد أبدا التركيبة النفسية في حالة هيجانها والتحامها بالتجربة الناضجة :

من ليلة أشرقت نورًا بمولد مَنْ ... به استنار لـواء الحق فانتصفـا
محمد خير من قر الكمال به ... عينا فلم يحظ من عين الهدى هدفا
أرقى النبـيين أخلاقـا وأحسنهم ... خلقا وأفضل من صلّى ومن عكفا
ماذا يخوض لسان الحمد من لجج ... في فضله ويراع المدح ان وصفا ؟

وتستوقفني في هذا المدح البيت السابق – وما أروعه – وهو (محمد خير من قر الكمال به) لأنه يتضمن صورة موحية للكمال وقد قر عينا بخير خلق الله كلهم .

وفي الأخير تخلص إلى مدح الخليفة السلطاني ، وذلك بتمهيد لطيف مناسب يذكر فيه آل البيت ، وهو من ثمَّ يغتنم الفرصة ليشرع في مدح الخليفة :

(195) عبد العزيز بن محمد الفشتالي (956 – 1031 هـ = 1549 – 1621 م) وزير المنصور السعدي وشاعر من إنتاجه (مناهل الصفا في أخبار الشرفا) ، انظر كنون (عبد الله) ، عبد العزيز الفشتالي سلسلة مشاهير رجال المغرب – رقم 1 .

(196) كان للعزفيين حكام سبتة فضل ازدهار هذا الفن في المغرب في القرن السابع الهجري حتى قيل إنهم أول من أحدث عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، ولأبي العباس العزفي كتاب في هذا المجال تحت عنوان (الدر المنظم في مولد النبي المعظم) ، وقد توالت بعد ذلك الاحتفالات به وخاصة في عهد المنصور السعدي ويجب التنبيه على أن الاحتفال بالمولد الشريف ليس مشروعا كما يعتقد العوام ويدعو له أنصاف العلماء محاولين عبثاً إيجاد المُسَوِّغ الشرعي لذلك للأسف .

أشبال فاطمة الزهرا وعترتها — والأنجم الزهر إنْ طرف الرشاد غفا
ألوارثين طرافا كل سافرة — من المكارم والبانين ما سلفا[197]
مازال فيهم تليد المجد بين يد — ينمو بها ويد ترعى بها نصفا

ذاك هو المدح النبوي عند شاعرنا الوزير ، ونلحظ مما سلف ان الرجل سار على نمط واحد في هذا المدح ، ذكر الديار والتشوق اللاهب ، مدح الرسول عليه الصلاة والسلام ، مدح الخليفة ، وما فكر أبدا ان يقلع عن هذا النمط باستثناء قصيدة شذ فيها عن هذا النسق إلى نسق آخر ، وكأن ذلك ثورة على المطالع الشعرية المألوفة عنده ، كما فعل ابو نواس[198] حين استهل قصيدته بالحديث عن الخمرة بدل الوقوف بالأطلال ، وآية ذلك أن شاعرنا لم يفتح قصيدته هذه المرة بالطريقة المعهودة ، بل افتتحها بتمرد على المقدمات الغزلية ووصف الرياض والدعوة إلى افتتاحها بالمديح النبوي وذلك حين يقول :

خبل التولع بالبدور — وخدود ربات الخدور
وحفيف ادواح الريا — ض تميل في شرك الغرور
وتحل بالشيم الكري — مة أو معالي الأمور
والزم مديح الأكرمي — ن المصطفين من البشير

فهذا يعد جديدا في المديح النبوي عند ابن موسى بالقياس إلى المألوف عنده ، ولكنه ليس فيه متفردًا فقد سبقه إلى ذلك شاعر آل البيت الكميت[199] حين قال في بائيته المشهورة :

طربت وما شوقا إلى البيض اطرب — ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب
ولم تلهني دار ولا رسم منزل — ولم يتطربني بنان مخضب
ولا السانحات البارحات عشية — أمَرَّ سليم القرن أم مَرَّ أعضب

---

(197) الطراف : الشرف والمجد يقال توارثوا طرافا على طراف يعني عن شرف ومجد .

(198) هو الحسن بن هانيء (146 – 198 هـ = 763 – 814 م) ولد بالأهواز وتربى بالبصرة نبه أمره في مجال الشعر فصار شاعرا ذا مكانة في عصره ، واتسم شعره بالمجون والدعارة اتصل بخلفاء بني عباس في عصره فمدح بعضهم ، توفي ببغداد له ديوان شعر ، انظر ابن منظور (محمد) أخبار أبي نواس ، ووفيات الأعيان ج 1 ص 373 وما بعدها .

(199) هو الكميت بن زيد بن خنيس الأسدي (60 – 126 هـ = 680 – 744 م) شاعر آل البيت من الكوفة ، كان عالما بأيام العرب وانسابها ومتعصبا لبني هاشم فأكثر فيهم المدح ، ومن أشهر شعره (الهاشميات) ، انظر ابن قتيبة ، الشعر والشعراء ج 2 ص 485 وما بعدها والمرزباني ، الموشح ص 302 وما بعدها .

ولكن إلى أهل الفضائل والنهى　　وخير بني حواء والخير يطلب

وإلى هذا نظر ابن موسى – كما يبدو – ولكنه على كل حال – قد استطاع ان يكسر قيود العادة المألوفة لديه ويغير الطريقة ليحس القارىء بنوع من التجديد .

وأعتب على شاعرنا الوزير في مديحه النبوي على ما قصر فيه مع صدق عاطفته حين اقتصر على الصور القديمة ولم يحاول توليد المعاني وتفريعها ، وذلك ان الشخصية النبوية الكريمة نبع ثر وثر إلى أبعد الحدود ، وبيدر معشب معشب إلى ما لانهاية في كل جانب لكونها النموذج الكامل للانسان ، وكان من الممكن ان يوظف كل طاقاته الفنية – وهي لديه أطوع من بنانه كما يقولون – فيستغل أبعاد الشخصية النبوية العظيمة ويبدع حولها شعرا يخرج به عن المعتاد من الصور المكرورة ، والمضامين المستهلكة ، ويجسد لنا من خلال ذلك الاشراق الداخلي ملتحما بالتجربة الناضجة الفوارة متخطيًا منطقة الحدة العقلية ، كاشفا عن الحقائق المتسترة ومقدّمًا إياها في الصورة الرفرافة الندية الموحية المعطاء[200] .

بعد هذه الجولة مع مديح ابن موسى يشع في خاطري سؤال يلح عليَّ في طرحه إلحاحا لا أجد مفرًا من أن أذعن لهذا الالحاح من أجل وضع النقط على الحروف بصراحة تمليها العقيدة ، ولا تجامل أبدا على حساب الحق ، والسؤال هل كان ابن موسى صادقا في مدائحه ؟ .

إذا رحنا نتقصى مدى صدق عاطفة ابن موسى في مدائحه فإننا نلفيها – بصراحة – خامدة باهتة متى كانت من النوع الأول – يعني الرسمي – باستثناء قصيدته (أبي المجد الا ان تقاد ركائبه) لكونها تحتوي روحا وطنية صادقة ، وتكون لاهبة ندية مخلصة سخية متى كانت من النوع الثاني – يعنى النبوي – غير ناظرين إلى القسم الرسمي منه وذلك يرجع عندي إلى أن الأول أفرزه تطلع وإحساس بنعمة الممدوح والحرص الشديد على هذه النعمة من أن تسطو عليها العوادي ، والثاني أفرزه الحب الصادق للحبيب المصطفى عليه الصلاة والسلام بحكم الايمان الذي تنطوي عليه أحناء الشاعر .

والحق أنَّ بن موسى ليس بدعا بين شعراء المديح الرسمي في أدبنا العربي القديم فهو ككُلِّ أصحاب المديح ولا يختلف عنهم ألبتة .

إن المدح جملة وتفصيلا ليس وليد صدق وحب إلاَّ في النادر ، وما لم يصدر

(200) للمزيد من هذا يمكن الرجوع إلى مقدمة صاحب هذه الدراسة في ديوانه الذي صدر عام 1398 تحت عنوان (على درب الله) ففيها حديث مطول عن الالتزام الاسلامي في الفن .

عن الأعماق لا يمكن ، بالقطع ، أن ينتقل إلى الأعماق .

ثانيـا : الرثــاء

أدلى ابن موسى بدلوه في الفن الرثائي حين رثى الفقيه السيد أحمد الزواقي شيخ الجماعة بتطوان بقصيدة طويلة عارض بها الشاعر مروان بن أبي حفصة في رثائيته لمعن بن زائدة وهي – بالجملة – بوح وأسى وحرقة تكشف عن مدى حب الشاعر لشيخ الجماعة ، وقد افتتحها بالخطاب على الطريقة الشعرية القديمة متخيلا شخصا ، أو شخصين يخاطبهما طالبا منهما الوقوف بالمعاهد ، معاهد العلم والعرفان التي باتت ثكلى تتشظى حزنًا وصرانًحا ، وتعاني المرارة من صروف الدهر ، لأنها لم تعدْ تجد من يرعاها ويمدها بالحياة والنماء يقول :

قفـا بمعاهـد أمست ثكـالى ... كواسف من صروف الدهر بالا
ذواهل كلما خشعت لشجـو ... أباح الشجـو للدمـع انهمـالا
قفـا وسلا بـواكيها عساهـا ... تطيـق لسائـل راء ودا لا
سلا دور المعارف ما عراهـا ... وغيّـر حـالَ بهجتها فخـالا
وألبسهـا رداء مـن خشوع ... تنـوء بـه كـأن بها كـلالا

بعد هذا ينطلق الشاعر في تعداد مناقب المرثي والحديث عن مكانته العلمية مثل قوله :

نعـم وخبـا سراج كان فيها ... لسان البرق في السدف اشتعالا
بذهـن كالـنضار صفـا رُوَاءً ... فأنْضَر والشهاب وقد تَلاَ لا (201)

ثم يتحدث عن الفراغ الذي أحدثه موت الشيخ في كل ميدان ، في العلوم والصلاح والتقوى :

مضى شيخ الشيوخ فكل قلب ... يعـالج مـن رزيتـه اعتـلالا
يرى ان السلـو وميض بـرق ... وفي حسن العزاء يـرى المحالا

إلى أن يقول :

فلـم تهزز رياح الكيـد منـه ... يقينـا في البـلاء ولا خيـالا
سجيـة راسخ في العلـم جلّـى ... فمـا يـدري المحال لـه مجالا

ويختم الرثائية بقوله :

---

(201) (تلا لا) أصلها (تلألأ) خفف الهمزة لضرورة القافية .

فواجــه في جــوار الله دارًا ومـن حـور الجنان بـه عيـالا

والحق أن القصيدة ليست كلها على وتيرة واحدة ، بل نجد فيها أبياتا تقريرية جدباء من الشاعرية كقوله :

فزعـزعت المنيـة منـه ركنًـا وهَدّتْ معه العـزائم حين زالا
وحصنـا للشريعـة مشمخـرا لقمـع الجور يخـترم الضلالا

صورة عادية نقع عليها عند كل شاعر ، لا تستثير في النفس انفعالا كما ينبغي ان تستثيره صورة شعرية جميلة طريفة يرفدها نضج التجربة وبوح المعاناة :

وقد نحس عياء في خبايا الشاعر حين يلجأ إلى تكرار المضمون الشائع عند الآخرين كقوله :

أبـا العبـاس غبت وكل حـي يـذوق مـن المنيـة مـا استهالا

وهذا كقول ابن الرومي[202] في رثاء أحد الأمراء :

إن المنية لا تبقـي على أحـد ولا تهاب أخا عز ولا حشد

وكقول صفي الدين الحلي[203] في تأثير جمال الربيع في نفسه :

طفـح السرور على حتـى أنـه من عظم ما قد سرني أبكاني

لقد وفق الشاعر في رثائيته الطويلة عموما فاستطاع في صدرها ان يخلع عليها حركة حية ، وظلالاً تطل من خلالها ملامح شجية أبدعها عمق التجربة الشعرية التي لا تنضج إلاَّ إذا كانت وليدة التلاحم بين المعاناة النفسية وما يتراءى لها في الخارج ، فوقفة ابن موسى بمعاهد العلم الحزينة ليست متكلفة ، وإنما هي وقفة خلقتها لحظة نفسية لاهثة نقلتها من العالم الخارجي إلى العالم الباطني المنفعل وإلى

---

(202) على بن العباس الرومي (221 – 283 هـ = 836 – 896 م) شاعر عباسي جده من موالي بني العباس ولد ونشأ ببغداد ومات بها مسموما ، اشتهر شعره بالهجاء والتصوير الساخر وله أشعار أخرى في أغراض أخرى ، له ديوان شعر ، راجع وفيات الأعيان ج 3 ص 42 وما بعدها وراجع الموشح ص 545 وما بعدها ، وقد كتب عنه غير واحد من المحدثين كالعقاد رحمه الله .

(203) هو عبد العزيز بن سرايا السنبسي الطائيّ (677 – 750 هـ = 1278 – 1349 م) من أشهر شعراء عصره ولد ونشأ في الحلة (وهو مكان بين الكوفة وبغداد) كان يرحل إلى الشام ومصر للتجارة ، مدح الملوك توفي ببغداد له ديوان شعر وإنتاج آخر من بينه (صفوة الشعراء وخلاصة البلغاء) راجع ابن شاكر الكتبي (محمد) فوات الوفيات ج 2 ص 335 ، وراجع زيدان (جرجي) تاريخ آداب اللغة العربية ج 3 ص 135 وراجع سليم (محمود رزق) صفي الدين الحلي – سلسلة نوابغ الفكر العربي .

مثل هذا يشير (برغسون)[204] بقوله : ان جوهر الابداع هو الانفعال[205] .

ولا – أريد ان أنتقل للحديث عن غرض آخر في شعر ابن موسى دون ان أشير إلى أن شاعرنا حين عارض الشاعر مروان أبي حفصة في رثائيته لمعن بن زائدة كرر في بعض أبيات القصيدة صور مروان كقوله :

فزعزعت المنية منه ركنا وهَدّ معه العزائم حين زالا

ويقول مروان :

وظل الشام يرجف جانباه لركن العز حين وهى فمالا

واستعان ابن موسى – بجانب ذلك – ببعض صيغ مروان مع تغيير طفيف يقتضيه المقام كقوله :

ووالهف الضعيف إذا المساعي نعت منه المناقب والخصالا
يظل يكفكف دمع اليتامى ويبعث في جراحهم اندمالا

يقول مروان :

فلهف أبي عليك إذا العطايا جعلن منًى كواذب واعتلالا
ولهف ابي عليك إذا اليتامى غدوا شعثًا تخالهم سلالا

ثالثا : **الغـزل**

الغزل عند ابن موسى غزلان :

أ . غزل المقدمات
ب . الغزل الخالص

أما الغزل الأول فهو الذي يفتتح به بعض قصائد مدحه كمقدمة – تبعا للطريقة القديمة – للموضوع الذي سيعالجه ، وذلك في مولديته التي يقول فيها :

هل لصب أشفى من الوجد راق عيل صبرا فجفنه غير راق
تدريه من المحاسن أشرا ك فيهفو إلى وميض التلاقي
فهو من واكف الصبابة في يمّ ومن لافح الجوى في نطاق
حذرته العذال من خفة الحلـ ـم فاغراه وجده بالشقاق

(204) هو هنري برغسون (1859 – 1941 م) فيلسوف فرنسي كان أستاذا بـ (كوليج دي فرانس) أحرز جائزة نوبل في الأدب من مؤلفاته (الزمن والارادة الحرة) راجع الموسوعة العربية الميسرة ص 345 .

(205) انظر سويفا (مصطفى) الأسس النفيسة للابداع الفني في الشعر خاصة ص 204 .

ورأوا كتم ما به ومن اللهـــو غـرام مموه بنفـــاق
كيف تخفى جوانح الدنف[206] الصبّ لهيبـــاً تـــرفض منــــه المآقي
ما رعى طرفه ذمام التصابي إن كبا زند غربه في السياق

وأما الغزل الثاني – يعني الخالص – فهو الذي خصص له الشاعر القصيدة بأكملها ،ونختار من ذلك قصيدة (الأسير السائل) التي تحدث فيها عن فتاة رشيقة القوام ناعمة جميلة متى برزت أثارت بضياء جمالها كسوفًا في البدور ، لأن جمالها يطغي على كل جمال يشع من البدور ، وهي حين تتحرك يتثنى قدها في روعة ، وإذا افتر ثغرها عن ابتسامة أسرت ، ومنعت ذوي الصبابة من الوصل ، واستلب طرفها الجميل القلوب وحام حول المقاتل ليصيبها بسحره ومتى نظر هذا الطرف إلى العيون سقاها خمراً فثملت وهفت إلى السبات تحلم بالرؤى الخضر الرقراقة .

وناعمة متى سفـرت أثـارت كسوفا في البـدور السافـرات
تميس قنـــاتها والبــــان زاه فيومـىء بالركـوع إلى القنـاة
إذا ابتسمت رمت والموت قان يـذوذ الهيم عـن مـاء الحيـاة
فتنتظـم القلـوب بطـرف ريم يحوم على المقاتـــل في أنـــاة
متى روى المحاجـر خنـدريسا هفـا أرق المحاجر بالسبـــات[207]

ويسألها الأسير وصالها فتجيب بأن ذلك قد يكون من المستحيل ، بل هو حلم باهت لا أمل فيه ، إذ العفاف لا ينقاد بسهولة ، وكيف يتحقق ذلك وأرواح الكماة الشجعان تروح فداه من دون جدوى ، فأنت مهما بذلت من المساعي فسوف لا تقدر على النجاة من حبي ، أو لست ترى الأبطال صرعى لا يستطيع أحد منهم الانفلات من هيمنة جمالي ؟ :

سألت وصالها يومـــا فقـــالت مطامع (أشعب) قرعت صفـاتي[208]
عجبت لمن تلوح لـه الثريـــا فيفتـــح حضنـــه للـــنيرات
وأغرب ما يعيه السمـع حلـم يطـوف بعاقـل بين الصحـــاة
أفي حرم العفاف تروم صيـدًا تـــروح فـــداه أرواح الكمــــاة
وتـــنصب للمهـــا شركا خفيًـــا وأنت أسير أشراك المهــــــاة

(206) دنف دنفا اشتد مرضه وأشرف على الموت فهو دنف ، والدنف هنا الحب الذي بلغ الذروة في الحب فأصبح مولها دنفا .

(207) الخندريس : الخمر .

(208) صفاة جمعه صفوات : الحجر الصلد .

وتطمع في اجتناء الـورد غضًا وسيف اللحظ في رصد الجناة
بخد يخلب الالبـــاب قـــاض وخـد يختـــل الأرواح عـــات
ألم تر حولك الابطال صرعى فكيف تبوء- ويحك - بالنجاة ؟ !

ثم يجيبها الأسير المعذب ، وقد سكر من حديثها الناعم ، رغم ما اكتنفه من قسوة ، وبلحظها الفاتن مفضيا لها بما في أعماقه من أحاسيس واعتلاجات ، ومايكابده من عذاب ومتوسلا في الوقت نفسه بأن يخفف عنه ما يعانيه من ألم الهجر :

فقلت وقد ثملت براح لفـظ ولحظ دونـه حـد الظبـــاة :
أمالكـــة المحاسن إن قلبـــنا سكنت به على طرف الشبـاة
تراوحـه المضاجـع بين مـاض من الدنـف المذيب وبين آت
فهل لك رحمة في القلب تشفي بما تـولين من بعض الهبـات ؟

وأخيرا تدعو له الفتاة بعدم الشفاء من حبها ، وهي بذلك تسد في وجهه كل أبواب الأمل ليظل أسيرا لديها ، يبحر في آفاق حبها هائما تائها يسعى دائما جاهدًا لتحقيق مطامعه حتى يذوق من العذاب ما يذوق ، ويتجشم من المتاعب في سبيل حبها ما يصهره فيحس باللذة في العذاب ، إذا ليس صادقا في حبه من لم يستطب السعـــادة في مـــرارة العـــذاب وألم الزفـــرات :

فقـــلت :لا شفـــاك الله مما أصابك من جفوني الساحـرات
ودم حلـف المطامـع والامـــاني وإن تك بعض أحلام العفـاة
فليس بصادق في الحب من لم يذق طعم السعادة في الشكـاة

يبدو لي من معالجة ابن موسى لفن الغزل أنه لم يخض تجربة المحب كما خاضها سابقوه ، وعاناها معاناة تكشف عن رهافة الاحساس وتوقد الوجدان والشوق المبرح والتدله المضنى إلا ماكان من أبيات من قصيدته السابقة نستشف منها الروح المعذبة ، تلك الروح التي يُجلّيها لنا الحوار الذي أجري على لسان المحب .

فالتجربة عنده غير ناضجة ومكتملة ، ولعله قد سيق إلى معالجة هذا الفن بدافع من روح التقليد ، وبحافز من رغبة ملحة في نفسه في أن يشارك إخوانه الشعراء في هذا الغرض ، ولذا نلحظ نوعا من الغلو في الصور لا يكشف عن حالة تآلف النفس مع الحقيقة التي يريد أن يقدمها لنا الشاعر متوشحة برؤيته الخاصة ، فجمال الفتاة عنده قد طغى على كل جمال ، وهي بهذا الجمال تحاول أن تصرع المحبين وتقتلهم ، وفي هذا افتعال غير محمود تولد عن إجهاد الذهن في تفتيق الصورة ،

الأمر الذي يجعلنا نتلقى الصورة الشعرية في برودة وتقزز ، كما نتلقاها بالشعور نفسه من الشاعر الاخطل الصغير(209) في بيته الذي يذكر فيه القتل والدماء وهو في حالة تغزل ومناجاة ، وذلك في قصيدته (الصبا والجمال)(210) يقول فيه :

قتل الورد نفسه حسدا منك وألقى دماه في وجنتيك

وما كنت لأستسيغ مثل هذه الصور حتى ولو كانت لأقطاب الغزل في شعرنا العربي القديم والحديث ، لأن الموقف موقف غزل يستدعي شفافية في التصوير يتفتح لها الوجدان في نهم وشوق عارمين ، وينساق معها الاحساس في لذة وانتشاء ، لا يخنق تطلعه الجميل جو الدماء الكئيب .

مهما يكن من أمر فإن القصيدة الغزلية لا تمت بصلة من قريب أو بعيد إلى المدرسة الشعرية التي عرفت في صدر الاسلام بـ (المدرسة الحضرية) التي كان يمثلها الشاعر الغزل عمر بن أبي ربيعة (211) والأحوص (212) والعرجي(213) ، وإنما هي تجسد لنا خصائص مدرسة أخرى كانت تعاصرها هي (المدرسة البدوية أو

---

(209) هو بشارة عبد الله الخوري (1303 – 1388 هـ = 1885 – 1968 م) شاعر لبناني محافظ ولد بيروت – درس ببعض الكتاتيب ثم في المدرسة الأرثودسكية ومدرسة الحكمة أتقن العربية حتى أصبح شاعرا فيها له بال ، وألم بالفرنسية ، وعمل في الصحافة مدة من الزمن ، راجع قبشا (أحمد) ، تاريخ الشعر العربي الحديث ص 368 وما بعدها .

(210) القصيدة بديوانه ص 45 – ط 2 .

(211) عمر بن أبي ربيعة المخزومي القريشي (23 – 93 هـ = 644 – 712 م) شاعر يحتل درجة عليا في عصره ، اشتهر شعره برقة الغزل والتشبيب بالنساء مع عدم التصاون فيه إذ كان يتعرض للنساء في الحج فيتغزل فيهن ، وفيه قيل أي خير رفع وأي شر وضع ، لأنه ولد في الليلة التي توفي فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وباسمه سمي ، نفاه الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز عندما لم يرعو عن غزله الفاحش ثم غزا في البحر فاحترقت السفينة به وبمن معه فمات غريقا ، له ديوان شعر راجع وفيات الأعيان ج 3 ص 111 وما بعدها والشعر والشعراء ج 2 ص 457 وما بعدها .

(212) هو عبد الله بن محمد الأنصاري من بني ضبيعة (... 105 هـ – ... 723 م) شاعر هجاء من أهل المدينة اشتهر بغزله في امرأة من الأنصار تدعى أم جعفر ، وكان حماد الراوية يقدمه على شعراء زمانه في النسيب ، مات بدمشق ، راجع الشعر والشعراء ج 1 ص 424 وما بعدها وفيه اسمه الأحوص بن محمد والصواب ما أثبتناه ، وراجع كذلك الموشح ص 295 وما بعدها .

(213) هو عبد الله بن عمر الأموي القرشي (... نحو 120 هـ = – ... 738 م) شاعر ظريف مطبوع ولوع باللهو والصيد من أهل مكة حضر بعض الوقائع الحربية فأبلى فيها البلاء الحسن لقب بالعرجي لسكناه قرية (العرج) بالطائف ، سجن بتهمة دم مولى لعبد الله بن عمر ، وفي السجن مات ، راجع الشعر والشعراء 2 ص 478 وما بعدها وراجع زيدان (جرجي) تاريخ آداب اللغة العربية ج1 ص 283 .

العذرية) التي حمل لواءها جميل بن معمر[214] وكثير عزة[215] وقيس بن ذريح[216] والتي اشتهر أعلامها بعفة اللسان والتدله الصادق والحفاظ على المباديء ، والابتعاد عن الاباحية والتفسخ .

والقصيدة – كما يبدو من عرضنا لها – تغترف في ألفاظها وصبورها من نبع الأقدمين ، وآية ذلك أن ابن موسى يردد الكلمات نفسها التي استعملها سابقوه (غصن البان – الريم – المهاة وغيرها) كما يردد الصور نفسها ، فالحبيب يصيد النفوس ويجري الدماء ويغالب بسحره الكماة وما شئت من هذه الصور وهو في هذا لايبعد عن قول مهيار الديلمي[217] .

ظبي يصيد على المرعى النفوس فقد صارت حمى بالدم الجاري مرابعه
وكيف يجحد قتلاه إذا شهدت خداه بالدم أو باحت أصابعه

لكن ابن موسى يفاجئنا بنوع من الجِدة في قصيدة له غزلية في صحافية أمريكية شقراء ، وفيها تتآلف صور جميلة تخِفُ فيها حدة التقليد ، وتبرز ظلال توحي بصدق التجربة وانسياب الشعور يقول في أولها :

عجبا من خواطر الانسان في معاني فواتر الأجفان
يزدهيه شكل الملاح ويسبيه من الحسن مايرى بالعيان
في المحيا من اللواحظ والوجنة والأنف واللمى واللسان[218]
ودلال ولمحة الوعد والرقة والصد تارة والتداني

وكانت مناسبة ثمينة للشاعر لو اغتنمها فشخص لنا جمال الشقرة وما يوحيه له من ظلال جديدة حينذاك يكون قد طرق موضوعا جديدا غزليا يخالف فيه

(214) جميل بن عبد الله بن معمر العذري القضاعي (... 82 هـ = ... 701 م) شاعر من العشاق أحب بثينة ، شعره رقيق عفيف أكثره في النسيب والغزل ، رحل إلى مصر وافدا على عبد العزيز بن مروان وهناك مات ، راجع وفيات الأعيان ن ج 1 ص 317 وما بعدها والشعر والشعراء ج 1 ص 346 وما بعدها وللعقاد رحمه الله كتاب عنه تحت عنوان (جميل بثينة) .

(215) مر التعريف به .

(216) قيس بن ذريح الكناني (... – 68 هـ = ... 788 م) شاعر من العشاق أحب لبنى وهو من أهل المدينة كان رضيعا للحسين بن علي رضي الله شعره عفيف في الغزل والتشبيب والحنين ، راجع الشعر والشعراء ج 2 ص 524 والموشح ص 323 .

(217) مهيار بن مرزويه الديلمي (... – 428 هـ = ... 1037 م) شاعر مجيد فارسي الأصل من أهل بغداد أسلم على يد الشريف الرضى ، كان من كتاب الدواوين ومات ببغداد ، له ديوان شعر ، راجع وفيات الأعيان ج 4 ص 441 وراجع تاريخ آداب اللغة العربية ج 2 ص 568 .

(218) اللمى : سمرة في الشفة تستحسن .

المألوف عند العرب على غرار ما فعله الأندلسيون حينما تعلقوا بالشقرة والعيون الزرق ، كما نجد عند الامام ابن حزم[219] في غزله لما عشق الشقرة وكره السواد مخالفا أذواق العرب ، وذلك في قوله من مقطوعة غزلية[220] .

يعيبونها عندي بشقرة شعرها   فقلت لهم : هذا الذي زانها عندي

غيرأن ابن موسى فوّت على نفسه هذه الفرصة باعتباره شاعرًا مارس فن الغزل العفيف وأدلى بدلوه فيه ، ولست أشك في أنه لو كان انتبه إلى هذا الموضوع الذي انتبه إليه الأندلسيون لأتى بما يبدهُ ، لما يتوافر عليه من قدرة فنية وشاعرية طيِّعة .

وكيفما كانت الحال فشاعرنا يمثل خصائص المدرسة العذرية فيما تناوله من مضامين غزلية مستعليًا عن الفاحشة واللفظ النابي والكلمة الداعرة اعتماداً على ما لدينا من النصوص الشعرية ، وقد تكون هناك نصوص غير هذه — والله أعلم — من الغزل الفاحش قالها بدافع نزوة من االنزوات البشرية أو على سبيل الاحماض لم يتأت لنا الاطلاع عليه .

رابعا — الوصف

لشاعرنا ابن موسى حاسة لاقطة وحدقةٌ مشخِّصة تنقل لنا الحقائق الخارجية بعد أن يضفي عليها من فنيته ظلالا زاهية جميلة تتسلل إلى الأغوار فتهز منها الوجدان والاحساس ، وما ذلك إلاَّ لأن الشاعر يستقصي جزئيات موصوفاته وينفعل بما تحويه من بهاء وروعة فتنطلق شاعريته ترسم لنا خاطراته في سخاء دون تكلف ، وهذه المميزات التي يتسم بها الوصف عنده تمثلها لنا قصيدته (الجناح الأخضر) التي عرض بها مزدوجة مدرك الشيباني[221] في صاحبه عمرو بن يوحنا النصراني

(219) علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (384 – 456هـ = 994 – 1064م) عالم الأندلس وإمام من أئمة الاسلام المجتهدين ، ولد بقرطبة وكان لأبيه رياسة وجاه ، كما كانت له هو أيضا رياسة وجاه ، لكنه انصرف إلى العلم والفكر له إنتاج غزير من بينه (الاحكام في أصول الأحكام) ، و(المحلي) راجع ابن حجر لسان الميزان ج 4 ص 198 وراجع وفيات الأعيان ج 3 ص 13 وما بعدها .

(220) وردت المقطوعة في كتابه (طوق الحمامة) ص 30 – ط 1959 .

(221) شاعر نزح من البادية إلى بغداد وهو صغير السن فنشأ بها وتفقه في العربية والأدب كان كثيرا ما يُلِمُّ بدير الروم في الجانب الشرقي من بغداد وكان به غلام جميل يدعى يوحنا النصراني وكان للشاعر مجلس يقصده الأحداث وكان عمرو من مجالسيه فتدله بحب عمرو إلى درجة الهيام والجنون وقد قال فيه شعرا من بينه مزدوجة يقول في أولها :

من عاشق ناء هواه داني   ناطق دمع صامت اللسان

معذب بالصد والهجران   مؤثق قلب مطلق الجثمان:

والتي مطلعها :

بادر صباحا سافر الآفاقِ منبلج الثغور والأحداقِ

يفضي بنشره إلى الأذواق فيبعث البشر من الأعماقِ

ويشرح الصدورَ للتلاقي

وقد عالج ابن موسى فن الوصف في غير هذه القصيدة ، لكنه لم يخصص له قصيدة مستقلة الذات ، اذ نجده قد طرقه في مقدمات بعض القصائد وفي تضاعيفها ، مثال ذلك قوله في صدر القصيدة التي يمدح بها الخليفة السلطاني :

أدرك كئوسك إن الصبح قد وضحا وصارم الشرق من فرق الدجى لحا

والزهر من كرع أفواف الندى ثَمِل بادي الكرى فإذا هب النسيم صحا

يصافح الطرف من أحداقه حور ويفعمُ الجوَّ منه الطيبُ إن نفحا

والنهرأرقم في الافياء منصلتٌ بين الربا وخطيب الدوح قد صدحا

ومثال ذلك أيضا قصيدته التي قالها عند زيارة الملك محمد الخامس رحمه الله لفاس يصف فيها استقبال الشعب له وصفا دقيقا وذلك حين يقول :

ولله يوم لحت فيه كما بدا هلال بآفاق السموات جائلا

تحفك أنوار المهابة ذاهبا فتكسوك بهرا بهجة الملك قافلا

شققت به أرجاء فاس فزرتها وقد لبست برد الشباب غلائلا

فمالت سرورا وابتهاجا بما حوت ويحسُنُ قدُّ الخود في الوشي مائلا

يموج بأفواج الجماهير ظهرها فيظهر ريماً بالزعازع صائلا

فلا نهج الأماج بالقوم صاخبا ولا سطح الا مال بالغيد حافلا

يشق هتاف المائجين سماءها فتحكي صداه الراسيات صلاصلا

ترى القوم فيها فاقدين شعورهم وما عاقروا- لولا محياك - ناطلا(222)

وانطلاقا من هذا يسوغ لنا القول بأن الوصف عند ابن موسى وصفان : وصف مستقل ووصف في صدور القصائد أو في تضاعيفها ، والقصيدة الممثلة لمميزات الوصف عند ابن موسى - كما قلت سالفا - هي قصيدة (الجناح الاخضر) ، لذلك

← طليق دمع قلبه في أسر

ولم أعثر على تاريخ ميلاده ووفاته ويبدو أنه كان يعيش في القرن الرابع أو الخامس الهجري ؛ لأن الحريري رأى صاحبه عمراً وقد ابيّض شعره ، راجع الحموى (ياقوت) معجم الأدباء ج 19 ت 43 ص 135 وما بعدها

(222) ناطل : تكال به الخمر واللبن ويجمع على نياطيل .

سنقف عندها مليا متأملين ما ينداح في رحابها من جمال الوصف وتصوير حي ، تتفتح له النفس في لذة وتقبل عليه في نشوة بالغة .

قد تحدث ابن موسى في مزدوجته (الجناح الاخضر) حديث شاعر ذي حاسة ذكية مشّخصة مصورًامجلس أنس انعقد من جماعة من العلماء الفضلاء بالضاحية الشهيرة بـ (الجناح الاخضر) من ظاهر مدينة تطوان(223) .

وفي بعض لياليه المنعشات دارت مناقشة بين الجماعة حول مسائل علمية تتطور إلى مشادة ومشاحنة لولا أن تدخل أحدهم فأدار المناظرة بحكمة رشيدة وأخيرا انتهت الجلسة بتفاهم تَسوده المودة والصفاء .

والقصيدة ، في الواقع ، تتوافر على عناصر قصصية إذ تحتوي عُنصر الزمان والمكان والعقدة والحل وهي الشروط القديمة للقصة – لا بما عليه القصة اليوم – لذلك أعدها من الشعر القصصي الوصفي .

قال الشاعر مفتتحا (المزدوجة) بعد أن قدم لها بمقدمة نثرية(224) جميلة جيدة السبك والبناء ، كعادة ابن موسى في الكتابات النثرية الفنية ، تناول فيها بالحديث (مزدوجة) مدرك الشيباني ومن عارضها ، ونحا نحوها ، فصور اللحظة الزمانية في (الجناح الأخضر) ، هذه اللحظة كانت في الصباح الباكر حين طلب منا الشاعر أن نسارع لاستقبال إشراقات الآفاق ، وجماله الوضيء ، ذلك الصباح الذي تتفاوح أشذاؤه فتتسلل إلى الأذواق فتنعشها ، وتشيع في الأعماق البشر والنشوة والرغبة الأكيدة في اللقاء الجميل بجمال هذا المكان .

في هذا الصباح الجميل اللطيف غارت النجوم في المدى البعيد ، تحكي الفصوص في غدير أزرق رائع ، وتحكي حبات الثلج في فضاء موشى أخاذ :

بـادرْ صباحـا سافـر الآفــاق منبلــج الثغــور والأحــداق
يــفضي بــنشره إلى الأذواق فيبعث البشر مــن الأعمــاق
ويشرح الصدور للتلاقي
بــادرهُ وهْنًــا ونجوم الأفــقِ تـنساق في بقيـة مـن رمـقِ
تحكي فصوصًا في غدير أزرق أو بَـرَدًا على فضاء مونَـقِ
يغور بالتدريج في المساقِ

(223) تقع هذه المنطقة وراء ما يعرف بشارع النخيل وهي تمثل لوحة منبسط فسيح أخضر جميل .
(224) المقدمة والقصيدة معا منشورتان بمجلة (النصر) التطوانية التي كان يصدرها صاحب هذه الدراسة – العدد الأول السنة 2 ص 2 وما بعدها – ربيع الآخر 1379 هـ نوفمبر 1959

وإذْ نحن نتمتع بهذا الموكب من مواكب الطبيعة الجميل ، فإذا الفجر يبدو والنور يستعد في مرح ليعانق الكون ، والديك يشوقه الصياح والأنداء يسكرها أريج التبرعم ، فتلثم الأقاحي في حنان وشوق غامرين :

بـادرهُ والجونـاءُ في المِـراح والفجـر بين نـائم وصاحِ[225]
والـديك يستفـز للصيـبـاح والطـل يـنسل إلى الأقاحـي
مستهديا بأرج الوراقِ[226]

وبعد أن يحدد اللحظة الزمانية لقصته في (الجناح الأخضر) ينتقل إلى تحديد المكان ووصف جماله ، فالربيع يكسو الجو حلة من الفتنة ، رياض غنية بكل فاتن ساحر ، طيور تسجع فترسل أعذب التغريدات ، وكأنها تتعاطف في لحظة الانتشاء مع خرير المياه المنبعثة من السواقي :

في ضائع من نَفَس الربيـع وشائـع مـن حسنـه البديـع
ورائـع مـن روضه المريـع وساجـع مـن طيره الخليـع
على خرير الماء في السواقي

إلى أن يقول :

بمجلس حـفت بـه الأزهـارُ وغـردَتْ مـن حولـه الأطيـارُ
ولألأت في جـوه الأنـوارُ فالـوقت لا ليـل ولا نهارُ
كأنما أغْرِيَ بالشقاق

تشدو بـه بدائـع الألحان حـور مـن الخرد والولـدان
تميـل بالشيـوخ والصبيـان ميـل الصبا بنـاضر الأغصان
أو النسيم*اللدن بالأوراق

ثم يقول باسطا الحديث عن اشتداد المعركة العلمية وهي عقدة القصة :

وأطـردت معركـة العقـول دائـرة في حومـة النقـول
تستلحـق الفـروعَ بـالأصول وتقـرع الدليـل بالدليـل
لتحصر المطلوب في نطاق

فاشتبكت خواطـر الفـرسان تُفَتِّـقُ قـوالب البيـان
تديـر تـارة على الأذهـان مـارق مـن مـراشف المجاني
وتارة تنفح بالأعلاق

(225) الجوناء : الشمس .

(226) الوراق : بكسر الواو وقت خروج الورق .

ثم يختم رائِعَتَه بوضع حل للقصة ، وذلك بتدخل أحد الفضلاء ، حاسماً النزاع الذي اشتد أواره ، وكاد يثير زوبعة من الخصام بين المتناظرين :

كف العميد غربهم وقال لا : يبغ امرؤ على امرىء مستسهلا
قولوا جميعا أولا فأولا والغير ينصت فلا يبدي ولا
ليظهر الأصل من الالحاق

إلى أن يقول :

فكان في حديثه المشنف أبرع من شق غبار الأحنف(227)
يفعل بالألباب فعل القرقف فيأخذ الأسماع باللطف الخفي(228)
ويترك الأبصار للانفاق
فلم يدع تذكرة تذيب من صدأ القلوب ما تصيب
إلاَّ جلاها نطقه العجيب فوقعت من أنفس تنيب
مواقع الكحل من المآقي
فراجع القوم رداء حلمهم وأنصتوا إلى نداء نجمهم
وجنحوا إلى الهدى بعلمهم وانقلبوا إلى سلوك نظمهم
ما خلف البحث من الأطواق
فجال بحر بالحديث والأثرْ وصال حبر بالقيّاس والنظرْ
وجهبذ قضى من العلم وطرْ خصص بالنص وقد عم الخبرْ
فرجع الخلف إلى اتفاق
هناك جَلَّلَ الوُجُوهَ الفَرَحُ وجملت وجهَ الحديث مُلَحُ
فانبسط القوم لها وانشرحوا وفتحوا من هزلهم ما فتحوا
فختم المجلس بالعناق

هكذا نكون قد أتينا على الوصف عند ابن موسى وتأتى لنا خلال ذلك أن نعيش في لحظات منعشات حالمات مع رؤاه في رحاب الطبيعة وتشخيصاته لبعض مظاهرها تشخيصا يشي بجمال المخيِّلة الحالمة وقدرة الريشة المصورة سواء في قصيدة الوصف المستقل أو الوصف في صدور القصائد أو تضاعيفها ، ونلحظ أن شاعرنا وهو

(227) المقصود بالأحنف ، الأحنف بن قيس بن معاوية المري التميمي (3 ق هـ – 72 هـ = 619 – 691 م) أحد دهاة العرب وفصحائهم وشجعانهم يضرب به المثل في الحلم أدرك النبي ﷺ ولم يره ، ووفد على عمر بن الخطاب رضي الله عنه في خلافته فبقي معه ثم أذن له بالعودة إلى البصرة ، شارك في الفتوح ، وتوفي بالكوفة انظر ابن حزم (علي) جمهرة أنساب العرب ص 206 .

(228) القرقف : بفتح القاف الأولى والثانية : الخمر .

يصف الطبيعة متأثراً بمن سبقه في هذا الميدان ، كالصنوبري(229)مثلا ، ورغم ذلك فإن قصيدته (مزدوجة الجناح الأخضر) دلت على قدرة في الوصف والتشخيص ومهارة في عرض أحداث القصة في (الجناح الأخضر) ، مما جعل شخصية الشاعر تبرز بروزًا واضحًا بالقياس إلى الأغراض الأخرى التي تحدثنا عنها سابقا .

خامسا – الاخوانيات

كانت لابن موسى مراسلات بينه وبين أدباء عصره وعلمائه – كما سلف القول – كالأديب البشير أفيلال والأديب عبد الله القباج والأستاذ العلامة عبد الله كنون ، وهذه المراسلات أو المساجلات عبارة عن أشعار تصور العلاقات الودية الأخوية بين الأصدقاء التي تهيمن عليها صفات عامة من شوق ودعاء ونصح وملح على نحو ما عرف في أدبنا العربي القديم على يد أبي فراس(230) ، ومن ذلك قوله لصديقه أبي الحصين القاضي :

يا طول شوقي إن كان الرحيل غدا   لا فرق الله فيما بيننا أبدا

ومن قصائد ابن موسى الاخوانية قصيدته التي يرحب بصديقه الشاعر عبد الله القباج في العرائش – وقد سلف الالماع إليها – ويستهلها بقوله :

بشاعر العصر أضحت دولة الأدب   مهتزة العطف بين العجب والعجب

وقصيدة أخرى يساجل بها الأديب البشير أفيلال – وقد سبقْ الالماع إليها أيضا – وهي كلها عواطف وإشادة بصديقه يقول في أولها :

يا راحة من حيا أخلافها الديم   ومن أناملها الأحكام تنتظم

ومن هذه الاخوانيات المساجلات التي جرت بينه وبين صديقه الأستاذ كنون – وقد سلف ذكر نموذج من هذا النوع في الفصل الأول – من ذلك أن الأستاذ كنون مرض عام1369هـ فمنعه ذلك من مزاولة عمله العلمي ، ولما شفي بعث له شاعرنا بقصيدة – هي عندي من غررشعره – يهنئه ويحضه على مواصلة

(229) هو أحمد بن محمد الحسين الضبي الحلبي الأنطاكي (... – 334 هـ = ... – 946 م) شاعر تميز شعره بوصف الرياض والأزاهير ، وكان من الشعراء الذين يحضرون مجالس سيف الدولة ، له ديوان شعر ، انظر الطباخ (محمد راغب) أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء ج 4 ص 23 .

(230) هو الحارث بن سعيد بن حمدان التغلبي (320 – 357هـ = 932 – 968م) شاعر أمير فارس وهو ابن عم سيف الدولة قال عنه الصاحب بن عباد : بدأ الشعر بملك وختم بملك شارك في وقائع كثيرة قتله أحد أتباع سعد الدولة ابن سيف الدولة ، له ديوان شعر ، انظر وفيات الأعيان ج 1 ص 349 وما بعدها وانظر الثعالبي (عبد الملك) يتيمة الدهر ج 1 ص 48 وما بعدها .

نشاطه ويبثه عواطفه النبيلة ويجلو له رأيه فيه والآمال التي يعلقها عليه العلماء والفضلاء يقول في صدرها :

هوِّن عليك فلطف الله فيك خفي — وصنعه لك بادٍ غير منصرف
لما تزل في رعيل من عنايته — مستحصِدٍ ومن التوفيق في كنف[231]
تحنو عليك يد من فيض أنعمه — أنَّى اتجهت فلا تحزن ولاتخف
واسلم بأنعم بال تستطيب به — برد الرضى ومزاج غير منحرف

ثم يواصل حديثه عن صديقه مبينا ماله من منزلة بين الناس ، لكونه يجاهد من أجل العلم والأدب والثقافة وذلك في قوله :

لكن دهرك لاهٍ في سفاسفه — عما تحبَّر من وشي ومن طرف
ومن عقود يلوح التبر من سقط — في جنبها وشذوز الدر من خزف
فصمت كيما يرى من كان ذا بصر — مسافة الخلف بين الثمر والحشف[232]
حتى إذا لحت لاح الفضل ملتحفا — روح النهى في رواء غير ملتحف
وليس يلحق نور البدر من وهن — وإن سرى البدر وهنا سير منكسف
فانهض وشيكا وقاك الله من وصب[233] — تعفو به خرزات الدر في الصدف

إلى أن يقول :

نافح بها عن بلاد طالما سقطت — أخلاقها بعوادي الجهل والجنف
تنكرت لأواليها فدينها ، — وقد رأيت ، عقوقُ الخلف للسلف[234]
أزروا بهم وتناسوهم ولم يزنوا — حقا لهم فعذير القوم من خلف[235]
فغرت غيرة ندب عن محاسنهم — من أن تشوه بعزم الناقد الحصف[236]
نشرت منهم لفيفا ضاع نشرهم — لو لم تذعه فما استعدى على التلف

---

(231) استحصد الزرع حان له أن يحصد فهو مستحصد .

(232) الحشف أراد به التمر أو اليابس الفاسد منه ومنه المثل المشهور (أحشفا وسوء كيلة) ويضرب لمن يجمع بين أمرين مكروهين .

(233) خرزات مفردها خرزة بفتحتين وهي التي تنظم في سلك ليزين بها .

(234) استعمل الشاعر الأوالي عوض الأوائل لضرورة الوزن كقول الشاعر :

تكاد أواليها تفري جلودها — ويكتحل التالي بمور وحاصب

والمور في البيت معناه الغبار المتردد ، وأصل أوائل أواول راجع القضية بتفصيل عند الالوسي (محمود شكري) ، الضرائر ص 186 ، 187 .

(235) العذير : النصير .

(236) شاه يشوه الوجه : قبح .

وفي الكواكب من أعلامهم هدف وشأن قارة وضع السنصل في الهدف[237]

ويختم الرائعة بقوله داعيا له بالشفاء ، لأجل أن يمنح هذه الأمة من علمه وفكره ماينير لها الطريق ويعرّفها تاريخها المجيد :

أعاد فضلك ، عبد الله ، مانحه من لمة الضعف والاسواء والدنف[238]
ودمت تسقي يراعا كلما هتفت ورقاؤه كشفت عن روضة أنف[239]

والحقيقة أن هذه القصيدة الاخوانية تحمل الخاطرة الشعرية ندية بالود ،مُخْضَلَّةً بالحب ،ترفدها المعاناة الحية والتجربة الخصبة ، والانفعال الحي المنساب ، وغير هذا من العناصر الشعرية التي تؤلف لنا العمل الشعري الجاد ، وتجعله يجري في ميدانه الأصيل ، ويخطر في رحابه المخضوضرة المشعة بالاظلال الوريقة اللمّاحة إلى الصورة الفنية الأخاذة الآسرة .

سادسا - الهزليات والاجتماعيات

إنَّ الانسان في ساعة من ساعات حياته يشعر بجدية ما يحيط به ويسأم أحيانا جفاف هذه الجدية ورتابتها التي تغمر أعماقه فتشيع في رحابها تقززا فلايقر له قرار ، وتصفو له ساعة من عمره أثناء هذه اللحظات الجديية ، الأمر الذي يضطر معه إلى اللجوء إلى ما يخفف عنه القنوط ويشرح صدره ويبعث في نفسه الهدوء والطمأنينة .

وقد كان شاعرنا الوزير صاحب روح مرحة ، وكان صاحب ملح وفكاهة ، ولعل ذلك يرجع إلى أرومته المراكشية التي تتميز بخفة الروح ، ولدينا من هذا الصنف قصيدتان : الأولى يفتتحها بقوله متحدثا عن بعض أنواع الطعام مضفيا على ذلك ظلالاً من روحه الشفيفة الحلوة الرضية الرقيقة ، ومجيبا في الوقت نفسه صديقه البشير أفيلال وذلك بتاريخ 19 صفر الخير عام1367 موافق 2 يناير 1949 م :

يعلق أنفاسي (الدجاج المحمر) ويحلو لأضراس أخوه (المعمَّر)
وكم عصفت بي (للمشرمل) نهمة تظل بمرآها الأنامل تقطر
ويحدو يدي نشر (المقلى) بزبده ومن خلفه الجدي الطلي (المزعفر)
وكاسيات القضبان سرا إذا فشى تصدى لها من باطن الجوف محشر

(237) قارة : قوم من العرب اشتهروا بجودة الرمي فضرب بهم المثل في ذلك فقيل (أنصف القارة من راماها) .

(238) لمة : المرة من لم وهي الشدة أو مس من الجن .

(239) الورقاء : الحمامة .

وأما (الكباب) المستطاب فَحَيَّهَلْ بمن لم يزل في شيه يتمهَّرُ
وألوان طهي بالخوان تتابعت فمنها أخو عرى ، ومنها (المخضَّر)
و(شعرية) يحدو الدجاج دفينها فوالله ما أشهى طعاما يبخر
و(بصطيلة) تشفي العليل و(كسكس) له في حلوق الدائرين تبعثر(240)

ولا ينسى شاعرنا وهو في غمرة الحديث عن شتى المأكولات أن يمزج بين الفكاهة ، والنقد الاجتماعي ، وذلك حين يقول باسطًا الحديث عن الفكاهة والقهوة وأباريقها ، ثم عن امتلاء السوق بكل شهي بأرخص الأثمان ، ولكن هذه الأثمان لاتلبث أن ترتفع فتسوم الناس المشقة والهوان – وكأنه يصور حالة هذا الوقت الذي نحياها فلا يجد الموظف الصغير بعد أيام من قبضه المرتب ما يتغلب به على تصاعد الأسعار بهذا الشكل ، فما بالك بالفقير الذي لايجد ما يتقوت به أو الجائع المعذب الذي يظل وقته يتضور جوعًا ولا من يسدي إليه المعروف أو ينقذه مما هو فيه من عذاب وحيرة :

وفاكهة يحلو لماها وقهوة أباريقها فوق المجامر تزأر
تجود على الكأس الكبير بما حوت وأما على الكأس الكبير فتكبر(241)
زمان امتلاء السوق من كل مشتهى بأرخص سعر يشتري ويوفر
فأعقبه وقت يسوم رجاله غلاء يشق الدهر عسفا فيقهر
ولا شيء في الأسواق يبدو شراؤه لمن جد في أعقابه يتعثر
ولا فلس في جيب الموظف إن مضت من الشهر أيام تسر فتقصر
فما حيلة المسكين والشهر لم تزل أواسطه تمشي الهوينا وتخطر
رجعنا إلى سوق البقول فأخضر يرد ذماء الجائعين وأحمر
فما خامرت نفس القنوع غضاضة بما وجدت كلا ولا مايكدر

ويذكرني هذا بقول حافظ إبراهيم في غلاء الأسعار وهجومه على المصلحين لأجل أن يتداركوا الأمر :

أيها المصلحون ضاق بنا العيـ ـش ولم تحسنوا عليه القياما
أصلحوا أنفسا أضرَّ بها الفقـ ـر وأحيا بموتها الآثاما
وأغيثوا من الغلاء نفوسا قد تمنت مع الغلاء الحماما(242)

(240) يمكن مراجعة جل هذه الأطعمة في كتاب فن الطبخ المغربي التطواني الأصيل لفاطمة الرهوني – مطبعة ديسبريس تطوان – 1978 .

(241) الكأس مؤنثة ، وقد ذكرها الشاعر ، وكان له مندوحة عن ارتكاب هذه الضرورة .

(242) انظر ديوانه ج 1 ص 216 ، 317 ضبطه وصححه أحمد أمين وآخران .

وعندي أن أبيات ابن موسى في غلاء أسعار أجود بكثير من أبيات حافظ في الموضوع نفسه من حيث الهندسة الشعرية وطريقة التناول التي قدمت لنا القضية في صورة شعرية جميلة تحفز الاحساس إلى تقبلها والانفعال بها انفعالا ينتزع منا السخط على الاستبداد والاستغلال الذي يعمل على إيجاد ظروف عصبية لتسليط العذاب على المظلومين من الفقراء ، وإذا كان الشعر يجري على هذا المنوال من التأثير فإنه يعد ، بحق ، خالدا تتماوج في أعماقه على مر الأيام حقائق النفس الانسانية .

والحق أن هذا لون جديد وجيد في شعر ابن موسى ، لأنه يسجل ظاهرة اجتماعية مهمة تتصل بالطبقة الشعبية المحرومة المعذبة ، وهذا يعني أنه عالج مضمونا من مضامين المسألة الاجتماعية التي تؤلف عصب الحياة ، الأمرالذي جعل الاسلام يخصها بعناية كبيرة وكبيرة جدا عبر تصوره الفذ للحياة والكون والانسان مما لا نجد له نظيرا في أي نظام بشري في القديم والحديث ، ولن نجده كذلك في أي نظام آخر يمكن أن يستحدث مستقبلا وإلى يوم القيامة ، ومع ذلك فإن ابن موسى لم يهتم بهذا الجانب الخصب إلا في الأبيات المعدودة من القصيدة الهزلية ، وكان عليه وهو الرجل المسلم المطلع على حقائق دينة في هذا المجال أن يفسح للنقد الاجتماعي مكانا أرحب مما خصصه له في هذا القصيد ، ويبدو أن ابن موسى ما التفت إلى ما ندعو إليه عن قصد وتدبر ، ذلك أن نقده الاجتماعي ذاك فلتة من الفلتات ليس إلا في لحظة من لحظات استيقاظ الهمة الاسلامية وفي غيبة سيطرة الروح الأرستقراطية باعتباره وزيرًا يعيش بعيدا عن حياة رجل الشعب الذي يذوق من ارتفاع الأثمان طول العام الأمرين ويعاني من لأواء العيش ما يعاني .

أما القصيدة الثانية فيدعو فيها صديقه البشير أفيلال إلى تناول طعام يسمى (البلبل) مضيفًا إلى ذلك روحا من الفكاهة والمرح يقول :

يا سيدا جمع شمل الكمله	فحاز من وصف الكمال أجمله
ومن غدا كعبة جمع النقله	ينفي القذا عن عين كل مسأله
فذاد آية الظلام المزمله	وراد آية الضياء المقبله
وطالما أوضح كل مشكله	وحل بالبرهان كل معضله
فاستنبط اللب وصفى منهله	ونبذ القشر لمن تقبله
إن لدى أخيك لونا أنزله	من الطعام فوق كل منزله
جن به جنونه فعدله	وكان قبل يومه قد أغفله

ثم يبدأ في التعريف بهذا الطعام طالبًا من صديقه الحضور بدون تأخر عن الموعد :

من خالص الشعير نحّى خَشَلَه ... عن الصفي ودعاه البلبُلَهْ
ضم إليه قرعه وفلفله ... ولم يغادر (لفته) وبصله
وغير ذا من البقول المجمله ... ويعظم الشرح على من (بصله)
فما ترى فيمن رجا أن تصله ... بعد الزوال دون أن تؤجله
من يومنا ماذا ولن أبدّله ... بغيره فالحزم أن تؤجله

ثم ينبه الشاعر صديقه على أن طعام (البلبل) هو الذي سيجده عنده ليس غير أمّا الأنواع الأخرى من الطعام كالدجاج و(البصطيله) و(الشواء) من (الطواجين) المختلفة فإنه سوف لايلقى شيئا من ذلك ، فعليه أن يحمد الله على ذلك ويقنع بالحاضر :

والشرط الاقتصار بعد البسمله ... على الذي بينت قبل فاقبله
واعلم بأن الخبز لامحل له ... واللحم مأكول الضوار المرسله
فلا تخل أن لدينا سلسله ... من (الطواجين) تجر عرقله
ولا دجاجا سابقته (بصطيله) ... ولا (شواء) من دواعي المكسله
وكل ما في الأمر بعد الحمد له ... وشكر من أولى الندى فأجزله
ماء وظل ونشوق الأنمله ... والضحك الدائر حول الحوصله
فاقنع بما حضر يا من فضّلَه ... وبالرضى بما ينال جمَّلَه

ويبدو أن شاعرنا في ممارسته هذا الفن الشعري قد استفاد من قصيدة أبي عبد الله بن الأزرق(243) في المجون وبعض الأطعمة يقول في أولها :

عم باتصال الزمن ... ولاتبالي بِمَنِ
وهو يواسي بالرضى ... من سمج أو حَسَنِ

إلى أن يقول :

واللحمُ مع شحمٍ ومعْ ... طوابق الكبش الثَّني
والبيض في المقلاة بالز ... يت اللذيذ الدهَنِ
وجلدة الفروج مَشْ ... وِياً كثير السمن(244)

(243) محمد بن علي بن الأزرق (. .. 896 هـ = ... 1491 م) عالم أندلسي من غرناطة تولى بها القضاء وانتقل إلى تلمسان بعد استيلاء النصاري عليها ثم إلى المشرق ، من إنتاجه (شفاء الغليل في شرح مختصر خليل) انظر المقري (أحمد) نفح الطيب ج 2 ص 699 وما بعدها تحقيق إحسان عباس .

(244) انظر القصيدة في النفح ج 3 ص 298 وما بعدها .

وبتدبّرنا القصيدة الأزرقية كلها – وهي طويلة – يتبيّن أن ظلالاً من روحها قد حومت على شاعرنا وهو يكتب شعره الهزلي في الأطعمة ، لكن صياغة ابن موسى وتوليده للمعاني أجود مما نجده عند ابن الأزرق .

سابعا – التوسلات والاستغفارات

سوّى الله تعالى النفس البشرية في صورة معجزة فريدة فألهمها فجورها وتقواها فترى الانسان غافلا عن الهداية ، منشغلا بالملذات تغمره بريقها ، ويخدعه وهج الفجور ، وتغريه خِلاَبَة الدعارة ، فيندفع غير عابىء يقضي اللبانات في شراهة ، ثم تأتي لحظة الاستيقاظ فينتصب في غوره الايمان متألقا متبرعما ، ويروح ، لذلك ، يتمسح بأعتاب التوبة ويلج باب الله مستشرفا آفاق الغفران الوضيئة .

وقد أتحفنا غير واحد من شعراء العربية بشعر يذوب ندامة وحسرة وأسى على ما اقترفوا من خطايا كما يحكي عن أبي نواس في أخريات حياته حين أحس بالندم يفرى أعماقه على ما اقترفه من آثام عبر فصول عمره المليئة بالمجون فقال :

يارب إن عظمت ذنوبي كثرة ... فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لايرجوك إلا محسن ... فبمن يلوذ ، ويستجير المجرم ؟
أدعوك رب كما أمرت تضرعا ... فإذا رددت يدي فمن ذا يرحم ؟
مالي إليك وسيلة إلا الرجا ... وجميل عفوك ... ثم إني مسلم[245]

وابن موسى ككل إنسان عصى الله تعالى في لحظة من لحظات الضعف البشري فأرهف إحساسه الندم ، وتبرعمت في أحنائه التوبة وأزهرت في مشاعره الروح الشفيفة المعطار ، فتحركت الشاعرية تجود وتجود ، وانطلق يقول ويقول لاهث الأنفاس مجروح الآهات في قصيدة طويلة :

الله يغفر ذنبا سود الصحفا ... وضاعف الاثم والأكدار والأسفا
الله يعفو فلا يبقي على أثر ... للسيئات ولا يجزي على ما سلفا
الله يسترعيا شوهتْ يده ... وجه المحاسن واستوصت به تلفا
الله يعمر بالحسنى إساءة من ... ولّى إلى بابه بالذنب معترفا

ويسترسل شاعرنا في الحديث عن الذنوب والخطايا متوسلا متضرعا ذاكرا قدرة الله تعالى المطلقة ، ونعمه الشاملة وآلاءه الغامرة وإحسانه الشامل العام :

(245) انظر الأبيات بديوانه وضبط وشرح أحمد عبد المجيد الغزالي ص 618

الله يعـــم الكائنـــات سنـــا | إمداده فيبيد اللبس والصدفـا
الله كاشف غـم ثـار ثائـــره | وفارج الهم عن قلب به وجفا
الله حق يجيب السائلين متـى | أموا بآمالهم باب الدعا كلفـا
الله يصلح أحـوالا لنـا عبـثت | بها الزخارف وارتادت بها جرفا
الله مبدىء هذا الخلق من عدم | وهو المعيد إذا رسم الوجود عفا

القصيدة من أولها إلى آخرها آهات نفس هدها الذنب وأضناها الاثم ، وليس أدل على ذلك من أن الشاعر يبدأ كل بيت بلفظ الجلالة إشارة منه إلى أنه الملجأ الوحيد الذي يفيء إلى رحابه الجميع ، كما أن تكرارا لفظ الجلالة يكشف عن قلب ظاميء ملتاع لا يرتوى إلا من ضياء الجلالة .

ويمتعنا ابن موسى مرة أخرى بقصيدة طويلة في التضرع والتوسل تزيح لنا الستار عن عمق جلده الندم وقلب آدَهُ الضعف فاستيقظ في لحظة الوعي الايماني ، وتفتح الضمير لنداء الله ، يقول متضرعا متوسلا إلى الله تعالى يجود بالنفحات الأبكار والمعاناة الشعورية والتجربة اللافحة :

دعـوتك سائـلا منـك الاجابـه | بمن أصفيـتهم صفـو الاجابـه[246]
وأوقـــات بها تدنـــو الاجابـــه | وأمكنـــة تلـــوح بها الاجابـــه
وآيـــات جمعت بها الاجابـــه | لمن يدعـــو فيظهـــر بالاجابـــه
وأسرار سرت منها الاجابـــه | لمن سألـوا بها منـك الاجابـه
وأسماء قـــرنت بها الاجابـــه | فللداعـــي بها مـــنك الاجابـــه
أنِلْنِي ما رجوت مـن الاجابـه | وفرِّحنـــي بإقبـــال الاجابـــه

يردد الشاعر في قصيدته كلمة (الاجابه) في آخر الشطرين من كل بيت ، وهذا يشي باستغراق النفس في لحظة شعورية متأزمة ملتهبة ، تشرئب إلى فتح صبيب تصنعه التوبة الندية المضواع ، ولنستمع إلى هذه النبرات الجريحة السائلة المليئة بالنفحات الشاعرة المعبرة عن الالتياع والبوح المزود بالصدق ، المحمل بالتوق اللاهب :

(246) قد يقصد الشاعر بقوله (بمن أصفيتهم صفو الاجابة) التوسل بالموتى من الأولياء فهم في نظره وفي نظر الجاهلين بالتوحيد أصفاهم الله صفو الاجابة ويمكن لذلك اتخاذهم واسطة في السؤال ، بالرغم أن عملهم قد انقطع بموتهم ، وهذا يتنافى مع خصائص التوحيد ، ذلك أن الاسلام يرفض الواسطة بين العبد وربه ولو كانت الواسطة هي أنبياء الله ، فما ورد من أحاديث كحديث (توسلي بجاهي فإن جاهي عند الله عظيم) لا أصل له ، مع العلم أن جاه رسول الله ﷺ عند الله ، بدون أدنى شك ، أعظم جاه ، ولكن هذا لا يبيح التوسل بجاهه ، لذلك يجب ألا نخلط بين هذا وذاك حفاظا على مقام العبودية ، وهذا مبحث طويل .

فأهِّلنـــي بـــفضلك بالاجابـــه — وهيئنـــي بفـــيضك بالاجابـــه
وأوقـاتي ادْعُهـا وقتَ الاجابـة — ولي في الأرض ، مكِّنْ بالاجابه
واصحبنـــي بآيـــات الاجابـــه — وأوْصلنـــي بغايـــات الاجابـــه
وخلصنـــي بـــأسرار الاجابـــه — وخصصنـــي بـــأسماء الاجابـــه
إلاهـي قـد دعـوتك وبالاجابـه — وعدتَ فَمُنَّ وارْحَمْ وبالاجابـه
وملكنـــي المآرب بالاجابـــة — وقدِّسْنـــي وسلِّـــم بالاجابـــه

وينهي نبراته بهذه اللفتات العذبة والخواطر المعبرة عن النفس التواقة إلى الاجابة العامرة بالخير الوافدة من الملأ الأعلى :

وجُدْ وارحـم وأسرع بالاجابـه — أيا من تُـرتجي منـه الاجابـه
وضاعـف لي الكرامـة بالاجابـه — وقـرِّب لي المسافـة بالاجابـه
وقل لي ذا ... عطاء بالاجابه — به فامْنُن أو أمسك بالاجابـه

ولابن موسى قصيدة رائعة ضمنها أسماء الله الحسنى وفيها يختم كل بيت باسم الله (الكافي) ويعرض فيها أشتاتًا من اللُّبَانَات التي يود تحقيقها ، وأشتاتا من المقاصد التي يتطلع إلى الفوز بها ، وقد وشحها برؤى شعرية جميلة تنبيء بإحساس مرهف ونفس متطلعة إلى ارتياد الملكوت الالهي ، وعمق مشتاق يعلن عن استسلام إلى الله استسلاما مطلقا يقول في أولها :

كفاية نفسي في الشدائد يا كافي — وراية أنسي في المقاصد يا كافي
وراحة روحي إن تعرض طائف — يضيق به صدرى نداؤك يا كافي
وأهـدى سبيـل للنجـاة أؤُمُّـه — إذا ما ادْلَهَمَّ الخطبُ واشْتَدَّ يا كافي

إلى أن يقول متوسلا في عبودية حلوة محببة زاخرة بالتودد والاستسلام ، سخية بالعطاء الحي تتفاوح طيوبه في مغاني الاشواق وربوات القدس الطيبة :

فما لي لا أهفو لبابك طالبـا — بأسمائك الحسنى جميلك يا كافي(247)
وقد قلت في التنزيل أدعوني استجب — فطيبت نفسي بالاجابة يا كافي(248)
فباسمك يـاالله سهـل رغائبـي — وحقق يقيني في امتنانك يا كافي

(247) الدعاء بأسماء الله الحسنى الأصل فيه قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ولذلك أقبل العلماء والناس على الاعتناء بها رغبة في فضلها .

(248) يشير إلى قوله تعالى ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ سورة غافر الآية 60 وهذا يوضح عدم جواز التوسل بالمخلوقات ، إذ لو كان جائزا لنص عليه الوحيان : الكتاب والسنة ، لأن المسألة كهذه تمس العقيدة في الصميم .

دعوتك يا رحمن حين أمضني من السوء مشروع الأسنة يا كافي
فقابل دعائي يا رحيم برحمة تكف بها الأسواء عني يا كافي

إلى أن يقول في آخر القصيدة على النهج نفسه في التوسل والاستغفار والتذلل :

فيا منقذ الغرقى اذا عز منقذ ويا منجي الهلكى من الضر يا كافي
ويا سامع النجوى وكافل نجحها ويا كاشف البلوى عن العبد يا كافي
ويا من يجيب السائلين إذا دعوا وتكشف ما استعصى من السوء يا كافي
إليك غياث المستغيثين تنتهي قواصد الاستجداء فضلك يا كافي
مددت بها أيدي الرجا متضرعا ذليلا عليلا واجف القلب يا كافي

بالجملة : فإن التوسلات والاستغفارات والتضرعات في شعر شاعرنا ابن موسى تتميز كلها بأجواء من الابداع يرفدها الاحساس العميق بالذنب والرغبة الملحة في الافضاء بكل ما لدى الشاعر من وخزات الضمير ، وتوبيخات النفس اللوامة ، تعبر عن تطلع أعماق أضناها الادلاجُ في ليل الارتكاس ، وتود أن تتخلص لترتويَ من المعين الصافي والتفيؤ عند الأظاليل الحواني حيث طراءة النسيم المنعش ، وحيث الروح والريحان وجنة النعيم .

حسب الشاعر أنه أسهم في موكب شعر التوسلات والتوبة والاستغفار ، فأطلع في رحاب الابداع طلائع الكلم الصادق التائب يملأ الأحاسيس شعاعًا ، ويغمر المشاعر يقينًا ، يندّى الخواطر أشواقًا ، ويمد الرؤى عبْر الأفياءِ الممتدة تعطي الكثير ، وتفيض بالنبرات الحية المعبرة الموحية بالبوح المحرور الصادق ، المتطلع إلى التحرر من أسر الغواية لِتُحَرِّر غيرها ويصبح الجميع يتمتع بالهداية المضيئة والغفران المشع والتجوال الحلو الرضي في آفاق الرضوان الهادي إلى الصبح الأخضر الدائم .

الفصل الرابع

الخصائص الفنية في شعره

كلمة في حقيقة الخصائص الفنية

هذا هو الفصل الرابع والأخير من الدراسة عن حياة ابن موسى وشعره ، نشارف فيه النهاية بعد رحلة انطلقنا في مداها نطوف حاثين الركب في صحبة شاعرنا في جميع أطوار حياته ، ونتملى جواء مواهبه تمد لنا الظلال ، وتطلع لنا الخاطرة السخية والفكرة المعطاء تشق الدرب نحو الينبوع العذب الثريّ .

هذا الفصل سندير فيه الحديث عن الخصائص الفنية في شعر ابن موسى ، تلك الخصائص التي تحدد لنا الاطار الفني لوسائل التعبير في اضطلاعها بالكشف عن معطيات ريشة شاعرنا ، ومناخ تجربته الشعرية في احتوائها شتى المعالم النفسية ، والملامح الوجدانية الممتزجة بالرؤى الجمالية ، وتألقات الحدس الشعري المحمَّلَة بسرحات الخواطر الرَّضِيَّة المُخْضَرَّة .

وقد حصرت هذه الخصائص في عنصرين أساسيين يشكلان – عندي – العمود الفقري لكل عمل شعري يستشرف تجاوز الحدود ، والتمرد على المحلية والاطلالة على آفاق الانسانية في شتى واجهاتها ، ويتطلع إلى إعلان حضوره في كل نادٍ وكل مجتمع ليخوض معركة التغيير والبناء .

وهذان العنصران – ويتضمنان في الوقت نفسه عناصر فنية أخرى لا غناء عنها أبدا – هما : الموسيقا[249] والتصوير ، فالموسيقا نقصد بها الوزن والبديع ، والتصوير ، ونقصد به الصورة الشعرية التي لاتخرج عن إطار التشبيه والاستعارة والكناية وما شئت من هذه الوسائل الفنية التي توسل بها الشاعر العربي قديما وحديثا .

(249) أفضل كتابة كلمة (الموسيقا) بالألف خلافا لما هو مشهور على الأقلام ، ذلك أن الألف إذا جاءت متطرفة في أسماء أعجمية كتبت على صورة الألف لا على صورة الياء وذلك مثل زليخا وفرنسا ، وأستراليا وهكذا ولفظ (الموسيقا) لا يخرج عن هذا الحكم ، لأنه يوناني الأصل . أما عيسى وموسى وكسرى ومتّى وبخارى فلا يشمله هذا الحكم

أ – الموسيقا

أقصد بالموسيقا تلك الايقاعات النغمية التي تتألف من مقاطع صوتية في نظام خاص تنساب هادئة أحيانا ، وتندفع صاخبة تارة ، وتجري بين هذا وذاك غير هادئة وغير صاخبة أحيانا أخرى ، وهذا نسميه وزنا ، وهو يبرز في بحور الشعر العربي ، وتتألف هذه الايقاعات النغمية أيضا بالنسبة للشعر الكلاسيكي من تجانس الألفاظ وتطابقها في تركيب جميل ذي جرس متميز محبب وهو ما نسميه بالبديع الذي يظهر في المحسنات اللفظية كالجناس والسجع والموازنة وغير ذلك .

ولا شك أن هذه الايقاعات الموسيقية تخلع على العمل الشعري جمالا ، أيّ جمال ، لأنها تحمل في أعماقهانظاما صوتيا نغميا يعبر ،عبر ألوان من النقرات الموسيقية ، عن أبعاد التجربة الشعرية ويتسلل إلى السمع بدون استئذان مبْحِرًا إلى النفس يثير في رحابها الانفعال ، لذا كان الايقاع الموسيقي وظيفة جمالية مهمة في التشكيل الشعري ، مما حفز النقاد في أدبنا القديم والحديث إلى دراسة الشعر بوصفه بوتقة عجيبة تنتظم فيها شتى التشكيلات الصوتية والألوان النغمية ، ومن هنا ينتفي زعم من يزعم أن الشعر يمكن أن يستغني عن العنصر الموسيقي إذا توافرت له الوسائل الفنية الأخرى ، والحق أن من يقول بهذا الرأي إنما يخبط خبط عشواء في ليلة عسواء كما يقول التعبير القديم؛ لأنه يرفض خصيصة جوهرية تميز العمل الشعري عن باقي الأعمال الأدبية الأخرى ، مع التنبيه على أننا نرفض المقولة التي قالها الناقد قدامة ابن جعفر(250) وابن رشيق القيرواني(251) وغيرهما عن الشعر بأنه «قول موزون مقفى يدل على معنى»(252) أو بأنه «يقوم بعد النية من أربعة أشياء وهي : اللفظ والوزن والمعنى والقافية فهذا حد الشعر ، لأن من الكلام موزونًا مقفى وليس بشعر لعدم القصد والنية كأشياء اتزنت من القرآن ومن كلام النبي عليه السلام ، وغير ذلك مما لم يطلق عليه أنه شعر»(253) وآية ذلك أن هذه المقولة

(250) قدامة بن جعفر البغدادي (... – 337 هـ = ... 947 م) أحد العلماء البارزين في النقد والمنطق والفلسفة ، أسلم على يد الخليفة المكتفي بالله العباسي له تآليف منها (نقد الشعر) و(نقد النثر) ، توفي ببغداد انظر ابن تغري بردي (يوسف) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ج 3 ص 297 ، وانظر معجم الأدباء ج 17 ص 12 .

(251) هو الحسن بن رشيق القيرواني (390 – 463 هـ = 1000 – 1071 م) عالم وناقد وأديب ولد في (المسيلة) بتونس ، كان أبوه من موالي الأزد تعلم الصياغة ثم ما لبث أن أغرم بالأدب والشعر من كتبه (العمدة في صناعة الشعر ونقده) و(الشذوذ في اللغة) وديوان شعر انظر وفيات الأعيان ج 1 ص 366.

(252) انظر قدامة ، نقد الشعر ص 11 تحقيق كمال مصطفى.

(253) انظر ابن رشيق العمدة ج 1 ص 119 ، 120 حققه محمد محيي الدين عبد الحميد.

قاصرة لا تفي بالغرض الذي يستشرف له الشعر من خلال تشكيلاته النغمية وقيمه التعبيرية الموحية .

أمّا ما يروج اليوم باسم الشعر خالياً من النغم فلا يعد شعراً وإن كان يتوافر على بعض عناصر الشعر ، يعد نثراً فنياً ، ويجب ألاّ نخلط بين فن وفن فلكلّ خصائصه ومقوّماتُه .

1 – الوزن

استطاع شاعرنا أن يناسب بين الوزن والمحتوى الذي يعالجه ، فاختار بحري الطويل والبسيط لأماديحه ، وليس من شك عندي أن هذين البحرين يتميزان بالمقاطع الموسيقية الكثيرة ، لذلك وجد الشاعر فيهما أداة صالحة غنية تستوعب بسهولة ويسر كل المعاني التي يود عرضها في سياق المدح على غرار ما فعله الشاعر العربي القديم ، ولا سيما في الطويل الذي لا يضارعه بحر في نسبة شيوعه ، إذ جاء منه ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم كما ذهب إلى ذلك الدكتور ابراهيم أنيس(254) .

ومع هذا فإننا لايمكن أن نقطع برأي حاسم في الربط بين المضامين والأوزان ، لكون النصوص الشعرية القديمة لاتشعرنا من قريب أو بعيد بمحاولة اختيار الشاعر وزنا معينا يتساوق في إيقاعاته ومحتوى ما يود طرحه من أطروحات شعرية فقد مدح الشاعر العربي القديم ، وفخر وتغزل في كل الأوزان ، ودواوين الأدب العربي روت أشعار المراثي على وزن الكامل والطويل والبسيط والسريع والخفيف ، لذلك يصعب جدا ربط الوزن بالمضمون ، وإن كانت هناك محاولات حاول فيها أصحابها من القدماء والمحدثين معالجة الموضوع ودراسته دراسة جادة تدل على مجهود مبذول طيب(255)

وانطلاقا من هذه القضية فإن ابن موسى ليس بدعًا بين شعرائنا فقد تأثرهم ومضى على نهجهم الذي سلكوه ، فجاء شعره في أوزان معروفة ، والذي يلفت النظر أنه لم ينظم في البحور القصيرة – حسب ما لدينا من

(254) انظر كتابه موسيقا الشعر ص 59 – ط 3.

(255) انظر القرطاجني (حازم) ، منهاج البلغاء ص 265 وما بعدها والعسكري (أبو هلال الحسن) كتاب الصناعتين ص 139 تحقيق علي البجاوي ومحمد أبي الفضل ابراهيم ، وانظر على سبيل المثال الدكتور ابراهيم أنيس ، موسيقا الشعر ص 175 وما بعدها والدكتور المجذوب (عبد الله الطيب) ، المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها ج 1 ص 74 وما بعدها والدكتور عياد (شكري) ، موسيقا الشعر العربي ص 133 وما بعدها والأستاذ الشايب (أحمد) أصول النقد الأدبي ص 318 وما بعدها ط 5.

النصوص - كالمجتث[256] والمضارع[257] والهزج[258] والمقتضب[259] إلا ما كان من المجزوءات ، كمجزوء الخفيف الذي استعمله في موشح ترجم به قصيدة الشاعر الاسباني (رفاييل ديوس خيوخيتاRAFAEL DUYOS GIOGETA في مدح الخليفة السلطاني بمناسبة دخوله طنجة وقد مر الحديث عنها يقول مستعملاً الخفيف ومجزوءه[260] :

تحت شمس الربيع ذات الضياء	سرت في عرشك الرفيع اللواء
فاستعارتـه مـن بديـع السنـاء	مـا جـلـت للمدينـة الحسنـاء
حـيث شدت يـد الزهـور	عمـة الـورد والأسل
وتـراءت بين الـقصور	طـرف الأرى والـعسل
فـرمت بهجـة الخدور	حسن مـرآك بالمقـل

ويقول مستعملا مجزوء الكامل[261] في قوله عن أسماء الله الحسنى .

لله حمد شامـل	بجميـع أصنـاف المحامـد
أولى فـألهم خاطـري	نظـم الكفايـة مـن فرائـد
أسماؤه الحسنـى بـه	مائـة تكامـل غير واحـد

ويقول مستعملا كذلك مجزوء الرمل[262] في مدحه الخليفة السلطاني وقد كتب ذلك في بطاقات ألقتها الطائرة على جماهير تطوان بمناسبة زواجه كما سلف القول في الفصل الأول من هذه الدراسة :

عـاش مولانـا الخليفـه	في مقامـات شريفـه
يلتقـي غـر الأمـاني	بـإشارات لطيفـه

وقد سألت نفسي مستغربا ، وأنا أرتاد رياض شاعرنا باحثا عن سبب انصرافه عن استعمال البحور القصيرة - باستثناء المجزوءات طبعا - وبعد لحظة من التأمل

(256) وزنه . مستفع ــ لن فاعلاتن × 2 .

(257) وزنه مفاعيلن فاع لاتن × 2 .

(258) وزنه مفاعيلن مفاعيلن × 2 .

(259) وزنه مفعولات مُفْتَعلن × 2 .

(260) وزن الخفيف فاعلاتن مستنفع - لن فاعلاتن × 2، ومجزوءه هو : فاعلاتن مستفعلن من × 2 .

(261) الكامل تفاعيله هي متفاعلن متفا علن متفاعلن × 2 ومعنى المجزوء في علم العروض هو حذفت متفاعلن من آخر الصدر وآخر العجز بمعنى أن البيت إذا كان مؤلفا من ستة أجزاء صار ذا أربعة فالكامل المجزوء يصبح هكذا متفاعلن متفاعلن × 2 .

(262) الرمل تفاعيله فاعلاتن فاعلاتن فاعلن × 2 ومجزوءه هو فاعلاتن فاعلاتن × 2 .

والتدبر انجلى الاستغراب حين اهتديت – بعون الله تعالى – إلى ما أعلل به سر عزوف شاعرنا عن استعمال البحور القصيرة وهو أن شعره ، بالجملة والتفصيل ، لايخرج في مضامينه عن الأغراض التقليدية الجادة من مدح ورثاء وغزل التي سبق أن تناولناها بالبحث والتحليل والتي لا يمكن أن تستوعبها إلا البحور ذات المقاطع الكثيرة ، على حين البحور القصيرة ذات المقاطع القليلة لا تلبي أشواق ابن موسى إلى التعبير عما في أعماقه من زخم الخلجات ، ولا تفي بالغرض الذي يتطلع إليه حين يود تدبيج قصيدة مدحية أو حين يهم بتحبير قصيدة رثائية ، أوحين يعزم القرض في غرض من الأغراض الشعرية الجادة الأخرى ، وهذا ليس بدعا عند شاعرنا ابن موسى فإن البحور القصيرة نفسها لم تكن مألوفة وشائعة في العصور الأولى للشعر العربي كالعصر الجاهلي وصدر الاسلام ، وما أخذت في الانتشار والذيوع إلا بعد أن شغف الناس أيام ازدهار الحضارة العباسية بالتلحين والتغني بالأشعار ، واستناموا إلى الترف والنعيم وأمسى للغناء رواج وأصبح للقيان صولات وجولات في قصور الحكام والأغنياء ، ومما يعضد ما نذهب إليه ويوضح صواب رأينا تصريح الشاعر نفسه بإيثار الوزن الذي يتضمن وحدات موسيقية ذات قدرة على استيعاب المعاني الكثيرة التي تمليها مواقف المدح ، وذلك في قوله من القصيدة التي يمدح فيها السلطان محمد الخامس رحمه الله غير ناسٍ التنصيص على تفاعيل البحور زيادة في التوكيد والتوضيح وقد مرت الاشارة إلى ذلك فيما سبق من حديث :

أمولاي ما حَدُ اليراع ببالغ بنعتك شأوًا من فعولن مفاعلا

ذلك هو تفسيري لظاهرة انتفاء الأوزان القصيرة في شعر شاعرنا ابن موسى ، ولست أشك في أنه مقنع كل الاقناع وخاصة بعد الادلاء بالحجة من كلام الشاعر نفسه ، لكن هل رأى الشاعر في ذلك صواب ؟ وهل أنا الذي قدمت للقراء هذا التفسير مقتنع برأي الشاعر في البحور الطويلة والقصيرة ، إن الجواب عندي يتلخص في شقين :

أ – إن تفسيري لظاهرة انتفاء البحور القصيرة في شعر ابن موسى كشف ، في الحق ، عن رأي الشاعر في الأوزان ، وأنه رأي ليس كله صوابا ، ذلك أن البحور الطويلة ، دون شك تحتوي مقاطع كثيرة ذات رنات جادة ، وهي بذلك قادرة على احتواء ما يتزاحم به الخاطر من أفكار ، وقادرة في كل الأحوال على القيام بالمهمة خير قيام ، لكن ليس معنى هذا أن الأوزان القصيرة ليس لها قدرة على القيام هي الأخرى بما يمكن أن تقوم به زميلتها الطويلة ، وهذه هي نقطة الخلاف بيني

وبين شاعرنا ، ويبدو لي أن الشاعر أحب الأوزان الطويلة حبًا كبيرًا بحكم محفوظاته القديمة التي لايخرج جلها عن البحور الطويلة ، وبحكم شيوعها في الدواوين الشعرية ، مما جعلها تهيمن على إحساسه وتتملكه فتتخذ عنده قدسية لدرجة أنها أملت على ذوقه أنغامها إملاء لم يعد له معه فكاك منها ، الشيء الذي جعله يرغب عنها إلى غيرها من الأوزان الأخرى ، فانصرف عن الهزج والمجتث والمقتضب إلى الطويل والبسيط والوافر والكامل خضوعا لهيبتها عليه .

ب – لست من شيعة الشاعر في هذا الرأي وأعد ذلك تحيزًا لأوزان على حساب أوزان ، وليس من ريب في أنّ البحور الشعرية كلها قادرة على القيام بمهمتها على تفاوت ، بالطبع ، بين بحر وآخر في وداعة النغمة أو صخبها أو هدوئها أو قعقعتها ، وما شئت من هذه الاختلافات التي تتميز بها الوحدات الموسيقية للبحور الشعرية عندنا ، ولو أن الشاعر تمرس بالبحور القصيرة وعايشها على نحو ما عايش أختها الطويلة لاستطاع أن يأتي بالجيد كما عودنا في عمله الشعري ، حتى ولو كان البحر في موسيقاه لا يصلح إلا للتغني والطرب كالهزج مثلا فإن شاعرنا بماله من قدرة شعرية وعارضة فنية يستطيع – وتلك هي براعة الشاعر ، وحذقه – أن يجعله يتساوق والمضمون الذي يود معالجته ، وأسوق لذلك مثلاً من رواية (العباسة) للشاعر عزيز أباظة[263] يقول من الهزج على لسان الرشيد[264] والموقف ليس موقف طرب وإنما هو موقف الشدة ، لكن الشاعر بما له من تمكن استطاع أن يخضع الوزن بطريقة فنية – لاقسرية طبعا – لموقف جاد صارم :

عجبنـــــا لم نكـــن حربـــا	على مصرٍ ومـــــــــن فيها
بذلنـــــا الأمـــن واليمـــــر	ففاضـــــا في نـــــــواحيها
فلــــــم تظلـــــم أدانيها	ولم تطـــــغ أعـــــاليها
ضمنـــــا القـــوت والثـــوب	لطـــــاويها وعـــــاريها
ولم تجب سوى الـــــفضل	بذلنـــــاه لعــــــافيها

(263) شاعر معاصر (1316–1393هـ = 1898–1973م) من قرية (الربعماية مركز منا القمح في مصر) حصل على شهادة الحقوق غير أنه انصرف لقول الشعر ، أول دواوينه (أنات حائرة) له مسرحيات شعرية ترسم فيها طريقة شوقي وشعره يتميز بالأصالة والقوة ، انظر قبشا (أحمد) ، تاريخ الشعر العربي ص 443 .

(264) هو هارون الرشيد بن محمد (149 – 193 هـ = 766 – 809 م) أشهر الخلفاء العباسيين ولد بالري ونشأ في قصر الخلافة ببغداد وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه الهادي سنة 170 هـ وفي أيامه ازدهرت الدولة وكان الرشيد عالما وله شعر ومحاورات مع العلماء انظر ابن كثير (اسماعيل) البداية والنهاية ج 10 ص 160 وما بعدها ـــ ط 1 .

فهـــدي الفتنـــة الحمقـــــ ـــــاء لـم تـفهـم دواعيهـا[265]

وأسوق مثالاً آخر من بحر ذي رنات مطربة وهو (المجتث) ، وذلك في قول حافظ إبراهيم من قصيدته التي قالها في حفني ناصف[266] عند انتقاله من القضاء إلى التفتيش بنظارة المعارف .

يـا يـوم تكـريم (حفنـي) أرهـفت للقـول ذهنـي
فيـا قـريض أجبنـي ويـا بيـان أعنـي
علي أفي بـعض دينـي إن كان ذلك يغنـي[267]

ولهذا العبد الضعيف – صاحب هذه الدراسة – ممارسة طويلة لموسيقا الشعر العربي عمقتها الدراسة العلمية وأخصبتها مهنة التدريس ، وأثرتها المصاحبة الطويلة ، وأغنتها – وهذا أهم – المعانة الشعرية والتمرس بالشعر قراءة وإنتاجاً وحفظا مدة ليست بالقصيرة ، لذلك لاأبالغ إذا قلت : إن الشاعر يجب عليه أن يتمرس بكل بحور الشعر العربي ويتمثلها في نفسه وإحساسه حتى تنطبع في أعماقه وتنساب في كيانه رضية حلوة ، وبهذا يمكن أن يصوغ ما يشاء من معان شعرا بعفوية غير شاعر معها خلال المرحلة الأولى للمخاض الشعري بنوع البحر الذي حضن كلماته ، وأما إذا أضاف الشاعر إلى جمال الذوق الموسيقي الخبرة العلمية في هذا الفن فإنه سيكون قد جمع الحسنيين ، وهو ما ينقص الجل من شعرائنا ، مع الأسف الشديد ، ومع هذا أوثر عند الاختيار الذوق الموسيقي على الخبرة العلمية لكون الخبرة ليس في وسعها ، بالجزم ، أن تقدم لنا شعرا في صورته الموحية المضيئة الفاتنة الآسرة .

---

(265) انظر مسرحيته الشعرية (العباسة) ص 42 ، 43 .

(266) حفنى ناصف (1273 – 1338 هـ = 1860 – 1919 م) قاض وأديب وشاعر ولد ببركة الحج من أعمال القيلوبية بمصر وتعلم في الأزهر تولى القضاء ومناصب في التعليم ، وعين أخيرا مفتشا أول للغة العربية بوزارة المعارف المصرية ، كانت له مشاركة طيبة في الثورة العرابية ، له شعر جيد وله كتب منها (تاريخ الأدب أو حياة اللغة العربية) توفي في القاهرة ، انظر غنيم (محمود) ، حفنى ناصف بطولة في مختلف الميادين ـــ سلسلة أعلام العرب .

(267) انظر ديوانه ج 1 ص 179 ، 180 .

ولي تجربة شعرية مع الأوزان القصيرة ، من بين ذلك قصيدة قلتها في الذكرى الثالثة والعشرين لاستشهاد العالم الشهيد عبد القادر عودة[268] وصحبه[269] وهي من الهزج ، البحر الطروب الراقص ، غير أنني استطعت أن أوفق بينه وبين الموقف الشعري اللاهب الحزين بواسطة اللفظ الموحي والنغم النفسي ، مما يعرفه كل من عايش الشعر وعاناه :

صحــــــا في غيهب الجور	يــــزفُّ النـــور للقفــــر
تأبَّـــى قائـــلاً : لاَ لاَ	فدينـــي شرعـــة الدهــــر
وربي ضوأ المسعـــــــى	إلى مغنـــى مـــن العطـــر

إلى أن أقول :

مضى الأحــــرار والأشواق	تحدوهـــم إلى النصــــر
وبشَّتْ جنـــة النعمـــى	للقيـــا النبـــل والطهــــر[270]

من هنا يتبين لنا أن الأوزان القصيرة ، ولاسيما الطروب منها كالهزج تملك القدرة على احتواء المعاني الجادة إذا أضفى عليها الشاعر لونًا نغميا زاهيا يولده من خلال القيم التعبيرية والشعورية .

وإتماماً للفائدة ، ونحن في غمرة الدراسة الموسيقية لشعر ابن موسى ، قمت بإحصاء لنسبة شيوع الأوزان في شعر شاعرنا فكانت نتائج النسب المئوية من المجموع العام لشعره وهو 1434 بيتا كما يلي :

الطويل 26% - البسيط 21% - الوافر 11% - الكامل 10% - الرجز 10% - الرمل 1% - الخفيف 15% - السريع 2% - المتقارب 1% -

2 - القافية :

ثم ماذا عن القافية من حديث ؟ إن القافية في شعرنا تشكل وحدة موسيقية

(268) هو العالم الداعية الشهيد عبد القادر عورة (. . .1374هـ = 1954م) درس الحقوق فعمل واشتهر بالنزاهة والعدالة وأكب على دراسة الشريعة الاسلامية فعرف أسرارها ومقاصدها ، التحق بجماعة الاخوان المسلمين وزاول نشاطه الاسلامي فأصبح من زعمائها ، تولى القضاء ثم استقال منه رافضا الحكم بقوانين الأرض ، كان جريئا في الحق ، أدخل السجن ثم استقبل المشنقة راضيا ، من كتبه النفيسة (التشريع الجنائي الاسلامي مقارنا بالقانون الوضعي) و(الاسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه) انظر صحيفة النور ص 6 العدد 4 السنة 4 عام 1397-1977 .

(269) استشهدت مع الشهيد عبد القادر عودة جماعة من بينها الشيخ محمد فرغلي.

(270) انظر ديواني علي (درب الله) ص 67 ، 68 - ط 1.

مع بقية وحدات البيت ، وعلى رويها تبني القصيدة وتنسب إليها وله حروف تقع موقعا حسنا وتشيع جرسا حلوا في البيت كالهمزة والراء والدال واللام بعكس الثاء والخاء والذال والشين والظاء والعين فإنها تجرح الآذان لما تحتويه في نفسها من جفاف في الرنة .

ولا أعلم أن ابن موسى استعمل في شعره – حسب ما عندي من نصوص – هذه الأنواع من الحروف ، مما يدل على أنه كان يتجنب الروي الذي لايرضى عنه الذوق الشعري والحاسة الموسيقية ، مع أن بعض الشعراء القدامى قد استعملوه كأبي تمام مثلا في ثائيته التي يقول في مطلعها :

قف بالطلول الدارسات علاثا أضحت حبال قطينهم رثاثا[271]

والبحتري في ثائيته أيضا في هجاء (الجرجراني)[272] يقول في مطلعها .

طال في هذه السوادات لبثي واشتكائي فيها غرامي وبثي[273]

ومن الشعراء المحدثين من استعمل بعض هذه الحروف روياً كالشاعر العراقي معروف الرصافي[274] في قصيدته التي أرسلها وهو في الأستانة إلى محمد باقر حين أصدر جريدة البلاغ في بيروت يقول في مستهلها :

أباقر لم تدع للقوم عذرا بما أصدرت من حجج البلاغ
فقد صغت النصائح خالصات فجاءت وهي فائقة المصاغ

وكالشاعر العراقي عبد الحسين الحويزي[275] في قصيدته (هيفاء) يقول في أولها :

---

(271) انظر ديوانه ص 51 – مراجعة د : عزة نصر الله .

(272) انظر الحديث عن الجرجراني هذا ديوان البحتري ج 1 ص 395 تحقيق حسن كامل الصيرفي .

(273) انظر ديوانه المذكور ج نفسه ، وص نفسها.

(274) شاعر العراق في عصره (1294 – 1364 هـ = 1877 – 1945 م) ولد ببغداد ونشأ بالرصافة من أساتذته محمود شكري الألوسي ، عين معلما بالمدرسة الملكية ، وعين أستاذ للأدب العربي في دار المعلمين بالقدس وعاد إلى بغداد وتقلب هناك في عدة وظائف ، عرف شعره بالجزالة والقوة له ديوان مطبوع يضم شتى الأغراض ، وله إنتاج نثري انظر فاخوري (حنا) تاريخ الأدب العربي ص 1015 – ط 9.

(275) شاعر عراقي (1287 – 1377 هـ = 1870 – 1957 م) ولد بالنجف وكان أبوه قد هاجر من (الحويزة) إلى العراق تلمذ على ابراهيم الطباطبائي أشهر شعراء عصره وأخذ العلوم عن الشيخ هادي الطهراني ، ولازم شيوخا آخرين درس عليهم العلوم الاسلامية والعربية ، له ديوان مطبوع في شتى الأغراض ، انظر مقدمة الديوان ص 7 وما بعدها.

تبدت لنا هيف الرصافة و(الكرخ) تميس بريعان الشبيبة والشرخ
تخايل بالأبراد كبرا وتنثني معاطفها بالدل والتيه والبذخ[276]

إن أمثال هذه الحروف – كما لمسنا في هذه الشواهد التي قدمناها ، قلما تقع موقعا حسنا في العمل الشعري لكونها تكاد تخلو من الانسياب والرقة والجرس الحلو ، الأمر الذي جعل شاعرنا يعزف عن استعمال الروي ذي الوقع السيء على الحاسة الشعرية المتوفزة لتلقي ما يثري توهجاتها ويخصب استعداداتها .

ولقد كان للقافية[277] دور ملحوظ في التشكيل الموسيقي عند ابن موسى ، وآية ذلك أنها عملت على إبراز إحساسه الفني وجواءَهُ النفسية عبر أضواء الرؤى المنبثقة عن التحام التجربة بالرؤية الشعرية والأداة الفنية ، وعلى سبيل المثال قصيدته الرثائية في الفقيه الزواقي – وسلف التلميح إليها – اختار لها حرف اللام رويا واللام من الحروف الذلقية[278] ، يعني أن مخرجها طرف اللسان وصفتها بين الشدة والرخوة أدت المهمة خير أداء خصوصا بعد أن أمدها الشاعر بمد قبلها يسمى عندالعروضيين (ردفاً)[279] وبألف يسمى عند العروضيين (وصلاً)[280] مما جعل القافية في الحقيقة تعبر عن خلجات الحزن تعبيرا صادقا يحمل في بوتقته هديرا لايهدأ من الأنات ، ذلك أنها استطاعت أن تستوعب شحنة الأسى بما ركبت فيها من استعدادات قوية فقدمتها لنا حية لاهبة كاوية قال :

قفا بمعاهد أمست ثكالى كواسف من صروف الدهر بالا
ذواهل كلما خشعت لشجو أباح الشجو للدمع انهمالا

---

(276) انظر ديوانه ص 99 جمع وتعليق حميد مجيد هدُّو .

(277) اختلف في تعريف القافية وأصح الأقوال هو ما ذهب إليه الخليل بأنها من آخر البيت إلى أول ساكن يليه مع المتحرك الذي قبل الساكن وبعبارة أوضح هي الساكنان في آخر البيت مع ما بينهما من الأحرف المتحركة مع الحرف المتحرك الذي سبق الساكن الأول ، وقد رمزت إلى هذا التعريف بهذا الرمز مع ترك الفراغ لما يمكن أن يوجد من متحرك هكذا (ـ 0 0) وذلك في كتابي المخطوط (المعجم العروضي) ، وللوقوف على التعريف السابق انظر مثلا الخطيب التبريزي (يحيى بن علي) الوافي في العروض والقوافي تحقيق عمر يحي وفخر الدين قباوة ص 220 وما بعدها .

(278) يجمعها قولك (فر من لب) انظر مثلا القيسي (مكي بن أبي طالب) ، الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة تحقيق الدكتور أحمد حسن فرحات ص 115.

(279) هو ألف أو واو أو ياء (واي) سواكن قبل حرف الروي ، انظر الخطيب التبريزي المصدر السابق ص 226 .

(280) هو الألف أو والواو أو الياء أو الهاء (ا و ى ه) سواكن تجيء بعد حرف الروى فإذا كان الروي مثلا مضموما كان بعده الواو انظر الخطيب التبريزي المصدر السابق ص 224 .

ألا ترى معي أن (بالا) و(انهمالا) في البيتين تموج في أعماقهما شحنات الحزن وإن المد فيهما (الردف والوصل) قد تولي إظهار هذه العاطفة بما له من قدرة على كشف المكنون من العواطف وإطلاع الخفي من المشاعر .

وعلى سبيل المثال أيضا قصيدته تحت عنوان (أغنية الجمال) ، وقد كانت أول أمرها قطعة نثرية لجبران خليل جبران سمعها الشاعر من إذاعة طنجة فدغدغت شعوره ثم خطها شعرا فجاءت رائعة أجمل من قطعة[281] جبران نفسها وقد اصطفى لها[282] روى السين وهو من الحروف المهموسة[283] التي تجرى مع النفس عند النطق به فتحدث جرسا خاصا في الأذن سيما والقافية مطلقة يعني محركة والتحريك بالكسر يتولد عنه وصل وهو الياء فيزداد بذلك جرس السين همسا حلوا بهذا المد يحمل في طياته عبر القصيدة كلها طاقة من الايحاءات النفسية المتولدة عن تكاثف الظلال الجمالية في التعبير الشعري قال :

أنا منذ كانت الحياة دليل الحـ	ـب في غزوه وخمرة نـفس
أنـا للقـلب راحـة وعــذاب	مستلذ يطيب وخـزى كلـمس

ألا ترى معي أيضا أن كلمتي (نفس) و(لمس) في البيتين تهمسان في رقة آسرة ، تمتد متألقة بامتداد حرف الوصل الياء المتولدة عن الكسر .

و لم يفت شاعرنا ابن موسى استعمال الروى الموصول بهاء الوصل وهي في الواقع تجعل القافية تزداد تألقا نغميا وأقدر على تقبل انسياب التجربة الشعرية ، ولا أخفي أن هذه الهاء ولا سيما الساكنة تعجبني وتأخذ بلبي ، إذ أجد فيها مغنى للبوح وواحة للراحة ، ولست في هذا انساق مع الخيال في تألقاته ، كما يظن البعض ، وإنما أبوح بما عايشته ، ذلك أنني استعملت هذا الحرف غير ما مرة في شعري بعفوية ودون ما تعمل أو قصد تلبية لرغبة أكيدة ، ولا أرتاب في أن ابن موسى نفسه قد راقه في بعض المواقف فالتزمه ست مرات في شعره ليس إلا من ذلك

(281) القطعة موجودة في المجموعة الكاملة لمؤلفات جبران ص 340 قدم لها وأشرف على تنسيقها ميخائيل نعيمة – دار صادر .

(282) قدم الشاعر لقصيدته بما يلي . «في مساء يوم الأربعاء ربيع الأنور 1373 هـ موافق 11 نوفمبر 1953 أذاعت محطة الاذاعة العربية بطنجة في برنامج (رياضة الأصابع) القطعة الآتية ، ولا عجابي بمنحاها الشعري رأيت أن أنظمها في قطعة شعرية مع شيء من التغيير والبسط اقتضاها الوزن ، والمناسبة والصناعة غير أنني تعمدت تغيير الفقرة الثالثة بالأصل ، لأن طبعي لم يستسغ كون الجمال مأكولا والقلب آكلا ، فأبدلتها بما يظهر من المقابلة ونص القطعة المذاعة أنا دليل الحب آنا خمرة النفس أنا مأكل القلب أنا وردة افتح قلبي عند فتوة النهار الخ» راجع القطعة في المجموعة المذكورة .

(283) يجمعها قولك (سكت فحثه شخص) انظر القيسي المصدر السابق ص 92 .

قوله في مدح السلطان محمد الخامس رحمه الله وقد مر الحديث عنها :

أبى المجد ألا تقـــاد جنائبـــه وتمرح في سوح المعالي نجائبـه

وقوله في مدح السلطان عبد العزيز رحمه الله على لسان بعض العلويين :

سلا مربعا تسقى الربوع مناهله فتربي على صوب العهاد سوائله

وقوله في مولدية :

حل ثغر الربيـع عنـد افتـراره شنب عـم وجهـه بازدهـــاره

وقد عرفت في الشعر العربي ظاهرة(لزوم ما يلزم) وهي التزام الشاعر حرفا أو أكثر قبل الروى وهو ليس بلازم لها وقد كان لها دور في إخصاب موسيقا القافية غير أنها تأتي متكلفة بينة الصنعة يلتزمها الشاعر في القصيدة الطويلة مما يجعلها يستنفذ قدرته ويقلص الظلال الجمالية فينقلب الطبع صنعة ، وقد استعمله غير واحد من شعرائنا منهم الفرزدق[284] في قوله يمدح الحجاج[285] ملتزما اللام قبل روي التاء :

لو أن طيرا كلفت مثل سيره إلى واسط من إيلياء لكـلـت[286]

غير أن (لزوم ما لا يلزم) ما اتخذ صورة الصرامة الواضحة والصنعة البينة إلا على يد أبي العلاء المعري[287] حتى سمى قصائده التي التزم فيها ما لا يلزم (اللزوميات) ، من ذلك قوله ملتزما الهمزة المضمومة مع الفاء :

إن الشبيبة نـار إنْ أردت بها أمرا فبادره إن الدهر مطفئهـا

(284) هو همام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي الشهير بالفرزدق (... – 110 هـ = ... – 728م) شاعر أموي من أهل البصرة من النبلاء وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل ، كان لا ينشد بين يدي الخلفاء إلا قاعدا ، له ديوان ضخم مطبوع انظر الجاحظ (عمرو بن بحر) البيان والتبيين ج 1 ص 208 ، 209 وص 321 تحقيق عبد السلام هارون وانظر وفيات الأعيان ج 5 ص 135 وما بعدها .

(285) الحجاج بن يوسف الثقفي (40 – 95 هـ = 660 – 714 م) قائد من قواد الأمويين المشهورين وسفاك طاغية ولد ونشأ في الطائف قام بعدة حروب لصالح الأمويين إلى أن أصبح أميرا ذا حظوة على حساب القيم والمثل ، انظر وفيات الأعيان ج 1 ص 341 وما بعدها .

(286) انظر ديوانه ج 1 ص 116 – دار صادر .

(287) هو أحمد بن عبد الله التنوخي المعري (363 – 449 هـ = 973 – 1057 م) شاعر فيلسوف عالم ولد ومات في معرة النعمان فقد بصره في الرابعة من عمره بسبب مرض الجذري ، له دواوين شعرية منها (اللزوميات) وله كتب من بينها (رسالة الغفران) انظر وفيات الأعيان ج 1 ص 94 وما بعدها .

أصاب جمرى قر فانْتَبَهْتُ لـه والنار تدفىء ضيقي حين أدفئها[288]

وحين نستقصي شعر ابن موسى باحثين عن ظاهرة (لزوم ما لا يلزم) نجد أن شاعرنا لم يحفلها إلاّ في القليل النادر ، وذلك في قطعة لا تتعدى سبعة أبيات التزم فيها حرف الراء قبل روى الباء والتزم بعد الباء هاء الوصل مما زاد القطعة جمالا موسيقيا وقوة في تلقي شحنة التجربة الشعرية ، وتقديمها للملتقي مُعَبِّرة عن التلاحم بين الذات والموضوع وهذه القطعة يستجيز بها شيخه أحمد البلغيثي سنة1326 بفاس كما سلف الحديث في الفصل الأول عن حياة الشاعر ومرحلة طلبه العلم . يقول فيها :

أبدراً علا أفق المعالي ففاخرت ببهجته شرق البسيط مغاربه
ومن فض ختم المشكلات وزانه كما شاء مستخفي القريض وساربه

وفي بعض أدوار قصيدته (مزدوجة الجناح الأخضر) كقوله ملتزما الهمزة قبل روى اللام :

بين الرياض الغُنّ والخمائلْ حيث الشذا مع النسيم مائلْ
والهضب تبدى رقة الشمائلْ والطير بين هاتف وجائلْ
حائرة في صنعة الخلاقِ

وكقوله ملتزما حرف الراء قبل روى الضاد :

ينفون عنه كل تخريف عرضْ كذا انتحال المبطلين بالغرضْ
وكل تأويل به الجهل عرضْ ما يفترى من في قلوبهم مرضْ
من شبه الغالين والفساقِ

وإن ندرة وجود (لزوم ما لا يلزم) في شعر ابن موسى – حسب ما لدي من نصوص – يؤكد أن حاسته الفنية لم يكن يروقها الاغراق في استعمال ذلك ، كيما يبعد عمله الشعري عن التكلف الممل والصنعة الجافة التي تجني – بالقطع – على رقة الشعر وانسيابه وتجعله المَعْنِي بقول الشاعر :

إذا كنت لا تدري سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر

القافية قسمان :

القافية في الشعر العربي قسمان : مطلقة ومقيدة ، أما المطلقة فهي التي يكون

(288) انظر اللزوميات ج 1 ص 49 – دار صادر .

فيها الروى متحركا يتولّد عنه (وصل) أو تلحقه هاء الوصل ، أما المقيدة فهي التي يكون فيها الروى ساكنا ، فهل اهتم شاعرنا بكلا القسمين أم اقتصر على قسم واحد ؟ لقد اهتم شاعرنا بكلا القسمين إلا أن القسم الأول - يعني القافية المطلقة - احتل من اهتمامه مساحة شاسعة الأطراف على حين القسم الثاني - يعني القافية المقيدة - احتل من اهتمامه مساحة ضيقة جدا ، ومن القافية المقيدة قوله من مجزوء الكامل :

لله حمد شامـــــل بجميـــع أصنـــاف المحامِـــدْ
أوْلَـــى فألْهَـــم خاطـــري نظـــم الكفايـــة مـــن فرائـــدْ

ولعل ندرة القافية المقيدة في شعر ابن موسى يرجع إلى أن هذا النوع من القافية قليل التداول في الشعر العربي ، إذ أنه لا يكاد يتعدى 10%[289] منه ، بالاضافة إلى أن القافية المطلقة - في نظري - من الناحية الصوتية تساعد الشاعر على مد الصوت خاصة في الأغراض الجادة وقد يكون هذا هو السبب الذي جعل القافية المقيدة تزدهر أكثر في العصر العباسي حين انتشر الغناء فوجد في هذا الصنف من القوافي بغيته الطيّعة ، فليس ببعيد أن يكون ابن موسى آثر ، لهذا كله ، القافية المطلقة في كثير من المواقف الشعرية .

وإذا كان للشعر العربي قافيتان مطلقة ومقيدة فإن لها أنواعا خمسة من القوافي[290] من حيث الحركات هي :

1 - المتكاوس وهو ما اجتمعت فيه أربع حركات متوالية بين ساكنين في اخر البيت ومثاله قول العجاج[291]

قد جبر الدين الاله فجبر[292]

فالقافية حسب التعريف الذي أشرنا إليه سالفا في الهامش في قول العجاج هي

(289) انظر ابراهيم أنيس موسيقا الشعر ص 260 .

(290) انظر الحديث عن هذه الأنواع عند الخطيب التبريزي المصدر السابق ص 818 وما بعدها وعند الشنتريني (محمد) المعيار في أوزان الأشعار ص 99 وما بعدها ط 2 تحقيق الدكتور رضوان الداية .

(291) هو عبد الله بن رؤبة السعدي (. .. نحو 90 هـ = 708 م) شاعر راجز مجيد عاش إلى أيام الوليد ابن عبد الملك وهو والد رؤبة الشاعر الراجز أيضا له ديوان شعر انظر الشعر والشعراء ج 2 ص 493 والموشح ص 636 وما بعدها.

(292) مطلع أرجوزة مدح بها عمر بن عبيد الله بن معمر (22 - 82 هـ = 642 - 701 م) من القواد الشجعان على عهد عبد الملك بن مروان انظر الزبيري (مصعب) نسب قريش ص 189 طبعة مصر - 1953 م.

(لاه فجبر) من (لاه) من كلمة (الاله) إلى الراء الساكنة من كلمة (فجبر) وما بين ألف (لاه) والراء أربع حركات ورمز ذلك زيادة في الايضاح هكذا (ـــ o ـــ ـــ ـــ ـــ o) .

2 ـــ المتراكب وهو ثلاث حركات بين ساكنين في آخر البيت ومثاله قول دريد ابن الصمة[293] .

يـــا ليتنـــي فيها جـــذع أخب فيها واضع[294]

فالقافية في البيت هي (ها وأضع) ما بين الالف الساكنة والعين الساكنة ثلاث حركات ورمز ذلك زيادة في الايضاح هكذا (ـــ 0 ـــ ـــ ـــ 0)

3 – المتدارك وهو ما اجتمعت في آخره حركتان بين ساكنين مثاله قول دريد ابن الصمة في صدر البيت السابق .

ياليتني فيها جذع

فالقافية في البيت هي (ها جذع) ما بين الألف الساكنة والعين الساكنة حركتان ، ورمز ذلك زيادة في الايضاح هكذا (ـــ 0 ـــ ـــ 0)

4 – المتواتر وهو حرف متحرك بين ساكنين في آخره مثاله قول الخنساء[295]

يذكرني طلوع الشمس صخـرا وأذكره لكـل غـروب شمس[296]

فالقافية في البيت هي (شمس) ما بين الميم الساكنة والياء الناشئة عند إشباع كسرة السين حرف واحد متحرك وهو السين ورمز ذلك زيادة في الايضاح هكذا (ـــ 0 ـــ 0) .

---

(293) دريد بن الصمة الجشمي البكري (... 8 هـ – 630 م) شاعر من المعمرين في الجاهلية اشتهر بالشجاعة ، كان سيد بني جشم وفارسهم وغزا عدة غزوات ، أدرك الاسلام ولم يسلم ، انظر الأغاني ج 10 ص 3.

(294) بيت دريد في المصدر السابق نفسه .

(295) هي تماضر بنت عمرو من بني سليم (ـــ 24 هـ = ... 645 م) من أشهر شواعر العرب أدركت الاسلام فأسلمت ووفدت على رسول الله ﷺ مع قومها ، حرضت بنيها على الجهاد في حرب القادسية حتى استشهدوا ، فقالت : الحمد لله الذي شرفني بقتلهم ، لها ديوان شعر أجوده في رثاء أخويها ، انظر الشعر والشعراء ج 1 ص 260 وما بعدها وانظر السيوطي شرح شواهد المغني ص 89.

(296) ورد البيت في كتاب الخنساء منتخبات من شعرها ص 120 للدكتورة بنت الشاطىء – سلسلة نوابغ الفكر العربي.

5 – المترادف هو ما اجتمع في آخره ساكنان معا ويكون في القوافي المقيدة مثاله قول حسان بن ثابت الانصاري

ما هاج حسان رسوم المقام ومظعن الحي ومبنى الخيام[297]

فالقافية في البيت هي (يام) فالساكنان معا هما الألف والميم الساكنة ورمز ذلك زيادة في الايضاح هكذا (ــ 0 0) ويلحظ ، بعد هذا من له إحساس موسيقي أن هذه الأنواع من القوافي تتجارب في ثناياها ذبذبات صوتية تشكل نيرات إيقاعية جملة تأتلق جمالاً ، وحين نَتَدَبَّرُ شعر ابن موسى نجده قد احتوى هذه الأنواع كلها مما جعل شعره يؤلف في قوافيه تشكيلات موسيقية تضفي على البيت إشعاعا من الرواء ، وألقا من الوضاءة ، فمن المتكاوس قوله في مزدوجة (الجناح الأخضر) : لا يجهل الانصاف منكُم خُلُـقُ ولا تسمكم بـالسواء طُـرُقُ

فالقافية في البيت هي (واء طرقو) رمزها (ــ 0 ــ ــ ــ ــ 0) ، ومن المتراكب قوله في مطلع مولديته :

واها لعهد بأكناف الحمى سلفا لم أستطب أسفا من بعده أسفا

فالقافية في البيت هي (هي أسفا) رمزها (ــ 0 ــ ــ ــ 0) ، ومن المتدارك قوله من قطعة جميلة تعليقا على قصيدة الشاعر ماء العينين ولد سيدي محمد بن العتيق :

على وجهها من شارة الحسن شامة تدافـع عينا بالتـي هـي أجمل

فالقافية في البيت هي (أجملو) رمزها (ــ 0 ــ ــ 0) ، ومن المتواتر قوله من مولدية جميلة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام :

جـاء بالمعجـزات والشرك داج تنتحيـه مـن صبحهـا بانفـلاق

فالقافية في البيت هي (لا قي) رمزها (ــ 0 ــ 0) ، ومن المترادف قوله يمدح آل البيت :

خـلِّ التولُّـعَ بالبـدورْ وقـدودِ غـزلان الخدورْ

فالقافية في البيت هي (دور) رمزها (ــ 0 0) .

ونبه بالاضافة إلى ما سلف على أن المتكاوس نادر في شعره ، وما ذلك إلاّ

(297) انظر ديوانه ص 226 دار صادر.

توالي أربع حركات في القوافي قليل ، وأن المترادف كذلك نادر في شعره وما ذلك إلا لكون المترادف خاص بالقوافي المقيدة ، وقد تحدثنا سالفا عن القوافي المقيدة بما فيه الكفاية فلا نحتاج إلى بسط الكلام عن ذلك بالبحث والتحليل .

هل في شعر ابن موسى عثرات موسيقية ؟

ونسأل بعد أن قطعنا جل مراحل البحث في دراسة الموسيقا الشعرية عند ابن موسى ، هل صادفنا من خلال هذه الدراسة الموسيقية لشعره نشازا في الأنغام أو عيبا من عيوب القافية[298] يستهجنها الذوق الموسيقي ، والتي نعثر عليها عند غيره من الشعراء قبله منذ عمرو بن كلثوم[299] والنابغة الذبياني ؟[300] إلى عصرنا الحالي

إن شعر ابن موسى[301] يكاد يخلو من العثرات الموسيقية إلا ما كان من أبيات تعد على رؤوس الأصابع غشيها نشاز ، ولا أظن ذلك قد وقع إلا بسبب تصحيف طباعي أو نقل ناقل أو سبق قلم من الشاعر في لحظة من لحظات السهو البشري ، من ذلك قوله في التضرعات :

ويا مالك الملك العظيم ومجرى النوال العميم في الخلائق يـا كافي

(298) هذه العيوب منها ما يتعلق بالروي وهي الاكفاء والاجازة والاقواء والاصراف والايطاء والتضمين ، ومنها ما يتعلق بما قبل الروى وهي سناد الردف وسناد التأسيس وسناد الاشباع وسناد الحذو وسناد التوجيه ، وللتفصيل راجع التنوخي عبد الباقي كتاب القوافي ص 48 وما بعدها ، وراجع الوافي ص 239 وما بعدها ، وراجع كذلك الدمنهوري (محمد) الحاشية الكبرى على متن الكافي في علمي العروض والقوافي ص 106 وما بعدها – ط 1.

(299) عمرو بن كلثوم (... – نحو 40 ق هـ =...– 584 م) شاعر جاهلي مشهور من بني تغلب من الفرسان ساد قومه وهو فتى ، عمر طويلا وهو صاحب المعلقة المشهورة التي مطلعها :

ألا هبـي بصحنك فاصبحينـا ولا تبقـي خمور الأندرينـا

ومما عيب عليه قوله :

كـأن غضونهن متـون غـدر تصفقهـا الريـاح إذا جرينـا

فجمع الشاعر هنا بين الفتحة في قوافي المعلقة والضمة والكسرة وهو ما يسمى ب (سناد الحذو) وهو اختلاف حركة ما قبل الردف ، انظر الأغاني ج 11 ص 52 وانظر الشعر والشعراء ج 1 ص 157 وما بعدها ، وانظر الوافي ص 245 ، 246.

(300) مما عيب عليه قوله :

أمسن آل ميـة رائـح أو مغتـدى عجـلان ذا زاد وغير مـزودِ

ثم قال :

زعـم البـوارح أن رحلتنـا غـدا وبـذلك خبرنـا الغـراب الأسودُ

فقد جمع الشاعر بين رويين في بيتين واحد مكسور والآخر مرفوع في كلمتي (مزود المكسورة والأسود المرفوعة) وهذا ما يسمى بالاقواء انظر الوافي ص 239 .

(301) ديوانه معد للطبع منذ سنوات .

فالخلل واضح في صدر البيت في كلمة (ومجرى) والبيان المفصل لهذا هو أن الشاعر استعمل عروض البيت محذوفة في الطويل ، وهذا لا يكون في هذا البحر إلا في ضربه ، والحذف هو إسقاط سبب خفيف ورمزه (ـــ 0) ، ولن يستقيم البيت إلا إذا تم تصحيحه هكذا :

يا مالك الملك العظيم ومقصد النوال العميم في الخلائق يـا كافي

وإن الحديث عن النشاز الموسيقي وعيب القافية يفضي بنا إلى الحديث عن موضوع آخر هو الضرورات الشعرية(302) ، وهو وإن لم يكن من صميم موسيقا الشعر فإنه على كل حال وسيلة يتوسل بها الشاعر للحفاظ على النغم الشعري من أن يتسرب إليه خلل يشدخ الاذن الموسيقية ، ويعني ذلك أن الضرورات الشعرية رخص تتعلق بقواعد اللغة التي تبيح للشاعر ، دون اشتطاط ، أن يرتكب مخالفة لغوية أو نحوية كي لا تختل الأوتار النغمية للقصيدة .

ولا شك أن الشاعر العربي منذ العصر الجاهلي قد ركب الضرائر الشعرية مما جعل الشعراء عبر العصور الأدبية لا يرون غضاضة في ارتكابها ، وقد ذكر ابن جني(303) أنه سأل أستاذه أبا علي(304) عن الضرورة الشعرية والقياس عليها كما جاز ذلك للعرب فقال: «كما جاز أن نقيس منثورنا على منثورهم فكذلك يجوز لنا أن نقيس شعرنا على شعرهم فما أجازته الضرورة لهم أجازته لنا وما حظرته عليهم حظرته علينا»(305) .

وهذا ما جعل علماءنا يفردون تواليف في الضرائر الشعرية نظرا لمكانتها ، ولعل

(302) انظر الحديث عن الضرورات الشعرية عند القزاز (محمد) ضرائر الشعر تحقيق وشرح ودراسة محمد زغلول سلام ومصطفى هدارة وعند الألوسي ، الضرائر وما يجوز للشاعر دون الناثر .

(303) هو عثمان بن جنى الموصلي (أبو الفتح) (... ـــ 392... ـــ 1002 م) إمام من أئمة اللغة والأدب ولد بالموصل ومات ببغداد من كتبه (الخصائص) و(من نسب إلى أمه من الشعراء) ، انظر وفيات الأعيان ج 2 ص 410 وما بعدها .

(304) هو الحسن بن أحمد الفارسي الأصل إمام من أئمة اللغة ولد في (فسا) من أعمال فارس دخل بغداد وجال في كثير من البلدان ، من كتبه (التذكرة) في علم العربية انظر وفيات الأعيان ، ج 1 ص 361 وما بعدها .

(305) انظر كتابه الخصائص باب (هل يجوز لنا في الشعر الضرورة ما جاز للعرب أولا) ج1 ص 323 وما بعدها .

أول من ألف فيها المبرد[306]، في كتاب سماه (ضرورة الشعر) وبعده السيرافي[307] وابن فارس[308] وغيرهم بجانب ما تتحدث عنه كتب النحو كـ (كتاب) سيبويه[309]

ومن هذه الضرائر ما يثير القلق في التركيبة الشعرية ، ومنها ما يتناغم معها ، وذلك ما حفز علماء هذا الفن إلى أن يقسموا الضرورة إلى مقبولة ومستقبحة ، وحين نتدبر شعر ابن موسى باحثين عما ارتكبه من الضرائر فإننا لا نجده قد خرج عما ارتكبه سلفه من شعراء العربية ، ولكن ما يلفت النظر أن شاعرنا ما ارتكب ضرورة مستقبحة ، مما يؤكد أصالة الشاعرية لديه ، وتمكن الأداة في الانطلاق في التعبير دون الاحتياج إلى ضرورة معينة في غالب الأحيان ، ومن الضرائر التي استعملها شاعرنا صرف ما لا ينصرف – وهو المقبول والمشهور عند الشعراء – مثل كلمة (بهاليل) التي زيد فيها حرف ساكن بسبب هذه الرخصة وإلاّ ظلت التفعيلة مطوية والطي[310] – وإن كان مقبولاً عند العروضيين – فإنه في بحر البسيط لا تستريح له الاذن ، إذ يحدث شدخا في الوتر النغمي يقول شاعرنا في مولدية :

مكفولـــة ببهاليـــل غطارفـــة   شم العرانين من أبنائه الشرفـا

(306) محمد بن يزيد الأزدي المعروف بالمبرد (210 ــ 286 هـ = 826 ــ 899 م) إمام في اللغة والأدب ولد بالبصرة ومات ببغداد من كتبه (الكامل) و(المذكر والمؤنث) انظر السيوطي بغية الوعاة ج 1 ص 269 وما بعدها .

(307) الحسن بن عبد الله السيرافي نسبة إلى سيراف بفارس (284 ــ 368 هـ = 897 ــ 979 م) عالم من علماء النحو والأدب سكن بغداد وتولى بها نيابة القضاء ومات بها ، كان معتزليا من كتبه (الاقناع) في النحو (صنعة الشعر) انظر أبا حيان التوحيدي (على) الامتاع والمؤانسة ج 1 ص 108 وما بعدها تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وفيه محاورة السيرافي مع ابن الفرات وانظر بغية الوعاة ج 1 ص 507 وما بعدها .

(308) أحمد بن فارس القزويني (329 ــ 395 هـ = 941 ــ 1004 م) إمام في اللغة والأدب أخذ عنه البديع الهمذاني والصاحب بن عباد توفي بالري من كتبه (فقه اللغة) و(ذم الخطأ في الشعر) انظر الثعالبي يتيمة الدهر ج 3 ص 400 وانظر وفيات الأعيان ج 1 ص 100 وما بعدها .

(309) هو عمرو بن عثمان بن قنبر المعروف بسيبويه (148 ــ 180 هـ = 765 ــ 796 م) إمام نحاة البصرة ولد بشيراز تلمذ على الخليل بن أحمد ورحل إلى بغداد فناظر الكسائي ، وتوفي بالأهواز وهو شاب انظر الحلبي (عبد الواحد) مراتب النحويين ص 65 تحقيق محمد أبي الفضل ابراهيم ــ وانظر السيرافي (الحسن) أخبار النحويين البصريين ص 37 ، 38 تحقيق طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي ــ ط 1 .

(310) الطي هو حذف الرابع الساكن في (مستفعلن) فتصير (مستعلن) انظر الدمنهوري الحاشية الكبرى ص 30 .

3 – البديع

البديع عند البلاغيين هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام[311] وهو ضربان : معنوي يهتم بتحسين المعنى ، ولفظي يهتم بتحسين اللفظ ، واللفظي هذا هو الذي يدعى بالمحسنات اللفظية كالجناس[312] والموازنة[313] وغيرها مما يشكل في العمل الشعري جرسا خاصا ويتعاون مع الايقاع الوزني على تأليف موسيقا شعرية معينة تحفز عمل الشاعر إلى فرض حضوره والظفر بالقبول والحظوة .

وقد حفل شعر ابن موسى بهذه المحسنات فجنس ووازن واستطاع أن يبرز تجربته الشعرية ، وأن يمد ظلال المعاناة بدون تكلف وإسراف على نحو ما نجده عند أبي تمام مثلا ، وحين نأخذ قوله من قصيدته في أسماء الله الحسنى :

فيها الهداية والغنى فيها الفوائد والموائد
فيها السعادة والسيادة والزيادة والمقاصد
فيها المطالب والمطايب والطرائق والتلائد

نلحظ في الابيات جرسا جميلا بجانب ايقاعات الوزن ، بين (الفوائد والموائد) وبين (السيادة والزيادة) وبين (المطالب والمطايب) وهو ما يسمى بالجناس الناقص .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في الفقيه الزواقي :

سجية راسخ في العلم جلى فما يدري المحال لها مجالا

وقوله :

تعود منك نصحا مستنيرا يصادف من مشاعره احتفالا
وحضا لا يزال حليف حظ على الخيرات كال به وقالا

نلحظ جرسا حلوا يسرى في الأبيات بين (المحال ومجالا) و(حض وحظ) وهو ما يسمى بالجناس الناقص أيضا وحين نأخذ قوله من قصيدته المولدية :

---

(311) انظر الأنصاري (زكريا) فتح منزل المباني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني ص 92 ط 1 .

(312) الجناس هو تشابه اللفظين في التلفظ منه التام والناقص راجع بتفصيل المصدر السابق ص 107 وما بعدها وراجع كذلك المنياوي (مخلوف) الحاشية على شرح الدمنهوري لمتن الأخضري المسمى بالجوهر المكنون في المعاني والبيان والبديع ص 160 ط 1372 .

(313) الموازنة هي تساوي الفاصلتين في الوزن دون القافية ، انظر الدمنهوري حلية اللب المصون على الجوهر المكنون ص 99 ط 2 .

يعلو له في حديث الملتقى سند   فإن ألم به ذكر الجفا وجفا

وقوله من قصيدته نفسها :

حتى تخلص مرفوع الذرى ليد   ترعى الهدى والندى والعز والشرفا

نلحظ جرسا محبًا في البيتين (الجفا وجفا) وهو مايسمى بالجناس التام وبين (الهدى والندى) وهو ما يسمى بالجناس الناقص .

إن عاد منهم بأمن منك معتصم   أطرى صنيعك مأمون ومعتصم

نلحظ جرسا لطيفا يتماوج في البيت من وجود كلمتي (معتصم ومعتصم) فمعتصم الأولى اسم فاعل من اعتصم والثانية اسم الخليفة العباسي وهذا ما يسمى بالجناس التام أيضاً على نحو قوله تعالى «ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة»(314) فالساعة الأولى يوم القيامة والثانية الحقبة الزمنية .

وحين نأخذ قوله من قصيدته في مدح السلطان محمد الخامس رحمه الله :

وأشرفهم في الباقيات مواقفا   وأنفذهم في الصالحات أناملا

وقوله من القصيدة نفسها :

يظل بها رسم الفرائض قائما   ويسمو بها ربع النوافل آهلا
تقيم على صوت الأذان مواسما   تؤدي فروضا تستحث النوافلا

نلحظ موازنات لطيفة بين (مواقف وأنامل) و(قائم وآهل) و(مواسم ونوافل) وكلها تنتهي عند الفاصلتين المتساويتين مما يجعل البيت يتماوج نبراتٍ حية تحمل في ذبذباتها الكثير من الشحنات الشعورية الصادقة . وحين نأخذ قوله من القصيدة نفسها السالفة أيضا :

يوافيك فيها نافر العطف باسما   ويقفوك منها مائل الطرف باذلا

نلحظ هذه المرة مماثلة (315) لاموازنة إذ اتفق لفظ الشطرين في الوزن لافي كلمتين كما رأينا في الموازنة ، ولاشك أن هذا أضفى على البيت حركة جرسية بينة رائعة (فيها – نافر – العطف – باسما – منها – مائل – باذلا) .

---

(314) الروم : 55 .

(315) إن كان في إحدى الفقرتين من الألفاظ أو أكثره مثل ما يقابله من الأخرى في الوزن خص باسم المماثلة انظر الدمنهوري حلية اللب المصون ص 99 وإلى هذا أشار الأخضري في منظومته .

وهي المماثلة حيث يتفق   في الوزن لفظ فقرتيها فاستفق

وهذا مانجده كذلك في قصيدته التي يمدح بها الخليفة السلطاني بمناسبة حفلة زواجه :

فكل برج رغامن برقه شفـق   وكل نهج جلا من قوسه قزحا
وكل صوت شدا من لحنه هزجا   وكل طبع جرت أشعاره ملحا

فالمماثلة هنا واضحة جدا ينبعث من ثناياها جرس عذب تتلاحم دغدغاتها من ايقاعات بحر البسيط فتكون بذلك موسيقا شعرية آخذة آسرة تنقلنا على أجنحتها الحالمة إلى آفاق وسيعة رحيبة تتماوج اطرافها بالنغم المحمَّل بصدق الرؤية الشعرية مع أن الموضوع موضوع مدح وقلما تظفر التجربة الشعرية بالتوفيق في مثل هذه المجالات كما سبق أن قلنا فيما مضى عن المدح .

وهكذا يضطلع البديع بدور مهم في تشكيل الموسيقا الشعرية عند شاعرنا ابن موسى ، وابراز التجربة والمعاناة في صورة محببة تروي وتعطي وتفتح أجواء الابداع للآخرين يرتادونها كما يشاءون ويمرحون في عَرَصَاتِها الوضيئة كما يحلو لهم .

ب - التصوير :

حينما أجعل التصوير رافدًا من روافد الخصائص الفنية عند شاعرنا ابن موسى أقصد بذلك الطريقة الفنية في التعبير الشعري لديه أو الصورة الشعرية التي يعتمدها في تجربته الشعرية .

وما من ريب عندي أن الصورة الشعرية لاتخرج عن كونها تشبيها واستعارة وكناية ، وما شئت من هذه الوسائل الجمالية التي عرفها الشاعر العربي منذ أن تنتقت لهاته بالحرف المجنح ، وبطبيعة الحال أننا سوف لاننتظر من شاعرنا تصويرا جديدا على طريقة الرومانسيين أو السرياليين أو الرمزيين وغير ذلك من المذاهب الأدبية التي حذا حذوها الشعر العربي الحديث ، إنه غير منتظر هذا لأن شاعرنا - كما سبق الحديث - شاعر كلاسيكي وليس من المنطق في شيء أن نطلب منه مالايملكه وفاقد الشيء لايعطيه كما يقولون .

إننا ، إذاً ، مع شاعر كلاسيكي؛ ولكنه طاقة تمتلك مهارة في التصوير في غالب ما تتناوله من تجارب شعرية ، فحينما نعمد إلى قصيدته في التضرع والاستغفار نجدها تحفل بالصور الشعرية الجميلة ترفدها نداوة الاحساس وشفافية الشعور كقوله متحدثا عن ارتكابه الذنب ، وما سوده هذا الذنب من صحف ، وما ضاعفه من إثم ، فشكل جوا من الاكدار ، وغلسا من الحزن ذاق منه الامرين ، لذلك فهو

يتضرع إلى مولاه في ذلة ويلتمس منه في صغار غفرانه ورضوانه ، إذ جريمة الذنب شوهت وجه المحاسن لديه وعتمت آفاقه ودنياه :

الله يغفر ذنبا سود الصحفا   وضاعف الاثم والاكدار والأسفا
الله يعفو فلا يبقي على أثر   للسيئات ولايجزي بما سلفا
الله يستر عيبا شوهت يده   وجه المحاسن واستوصت بها تلفا

غير خاف أن ابن موسى صور لنا حالته النفسية تصويرا موفقا ، وذلك من خلال صورة الذنب وانتفاشه حين سود الصحف وأثار جوا كئيبا من الأكدار ، إن شاعرنا في الحق يعتمد في التقاط الظاهرة وتفسيرها من ثنايا نفسه التي تعاني صقيعا خاصا من الشعور بجريمة الذنب فهو لايقرر ، ولاينسخ وإنما يرسل الصورة الشعرية عبر ماتمليه عليه الرؤى المستخفية في الأعماق .

وعندما نعمد إلى قصيدته التي يخاطب فيها صديقة الشاعر عبد الله القباج نجدها تتضمن صورا جميلة جدا كقوله متحدثا عن براعة صاحبه في نظم الشعر ، وإبداعه في صوغ الكلمة الشعرية ، ذلك لأنه يصنع من عيون الشعر أحورها وأجملها وأنضرها ، ولايجتزي بذلك فقط ، بل يجود علينا بالدر الثمين من الحرف المجنح وينشر من صنوف العطر ماينعش ، ويتصرف في الشعر كما يشأ فلا يعبأ بما قد يصعب على زملائه من الشعراء عند لحظة المخاض الشعري الصعبة :

يا فاتحا من عيون الشعر أحورها   وناثرا من ثمين الدر منسكبا
وباعثا من صنوف الطيب فاغمها   وفالقا من بحور الشعر ماصعبا

وليس يخفى أن ابن موسى قد صاغ لنا صورة شعرية طريفة ، وذلك حين استطاع أن يصور بعدسته الشعرية براعة صاحبه الشاعر فتخيل أن مقدرته راحت تلتقط ظاهرة الاحورار وتضيفها إلى الشعر ، والاحورار جمال في العين نادر لاتتوافر عليه كل العيون ، وهو يشبّه شعر القباج – إذا شئنا أنْ نخضع هذه الصورة لمقاييس بلاغتنا العربية – بفتاة جميلة ، ولكنه لم يصرح بالمشبه به فاكتفى بأن أشار إلى لازم من لوازمه وهو العيون وصفتها الاحورار(316) ، وهذا ما يسمى عند علماء البيان الاستعارة المكنية كما أنه صور الشعر درا ثمينا لاينقطع انسكابه ، وصوره

(316) الاحورار اشتداد بياض العين واشتداد سوادها وهو من الجمال الممدوح ، وقد عرَّف الخطيب القزويني لاستعارة المكنية بقوله «قد يُضْمَر التشبيه في النفس فلا يصرح بشيء من أركانه سوى المشبه ويُدَلُّ عليه بأن يُثْبَتَ للمشبه أمر مختص بالمشبه به فيسمى التشبيه استعارة بالكناية أو مكنياً عنها» انظر التلخيص في علوم البلاغة ص 326 ضبط وشرح البرقوقي وعبد الرحمن وإلى ذلك أشار الأخضري في الجوهر المكنون فقال :

لأن لجودته طيبا يرسل فوحه الجميل وروحه المنعش .

وعندما نعمد أيضا إلى قصيدته الغزلية التي قالها في صحافية أمريكية – وقد سلف الحديث عنها – نجده يصف الفتاة وصفا دقيقا أخاذا لايخرج فيه عن الغزل العفيف ، ويصور جمالها تصويرا يحتوي مهارة في تقصي الجمال في تركيبته النفسية والروحية ، وفي مظاهره المادية المحببة غير المستهجنة :

عجبا من خواطر الانسان في معاني فواتر الأجفان
يزدهيه شكل الملاح ويسبيه من الحسن ما يرى بالعيان
في المحيَّا من اللَّواحظ والوجنة والأنف واللمى والـلسان
ودلال ولمحة الوعد والرقة والصد تارة والتداني

ولا ريب أن شاعرنا قد أتحفنا بصور شعرية جميلة قدمت واقع الجمال في شكله البديع المحبب ، وفي تألقاته الفاتنة ولمحاته الأخاذة ، فصورة الدلال ولمحة الوعد والرقة والصد والتداني تؤلف حقيقة الجمال العفيف ومدى هيمنته على النفوس دون أن يكون هناك إثارة للجنس على نحو مانقع عليه عند الشعراء الاباحيين الذين كسروا طوق الاخلاق ، وراحوا يتيهون في وديان الفحش والفجور على نحو يبعث على الغثيان ، ويمرد على الأخلاق التي رسمها الشرع للانسان ليرتفع بها عن الحيوان .

على هذا النمط في التصوير الشعري سارت ريشة شاعرنا ابن موسى تلتقط من الواقع ماتلتقط فتحيله من خلال الرؤى ومن خلال شفافية الخيال إلى صورة شعرية تبحر في أعماقها ظلال التجربة وأشكال من أطياف الوجدان ، وليس يعني هذا أن كل شعر ابن موسى من هذا الوادي ، لالقد مربنا أن جمال الصورة الشعرية لديه ليست ظاهرة تسود كل أعماله بقضها وقضيضها ، وإنما هي ظاهرة تهيمن على الجل منه ولسنا نعدم في أحايين صورا شعرية تخلو من الطلاوة ومن خصائص الجمال المطلوبة .

هكذا نكون قد جلونا في هذا الفصل الخصائص الفنية عند شاعرنا ابن موسى ، تلك الخصائص التي حددناها في الموسيقا والتصوير وما يحتويه هذان العنصران من المقومات الفنية ، وبذلك تم تعيين البنية الموسيقية في شعر ابن موسى متجلية في الوزن والقافية والبديع ، كما تم تعيين الاطار الحق لعملية التصوير عند شاعرنا ،

وحيث تشبيه بنفس أُضْمِرَا وما سوى مشبه لم يذكرا
ودَلّ لازم لما شبه به فذلك التشبيه عند المنتبه
يعرف باستعارة الكناية وذكر لازم بتخييلية

وكيف كان يسلط عدسته الشاعرة على الأشياء من حوله فيلونها بمهارة الصورة الفنية ليدل على الشاعرية الصادقة . التي تبقى مع الأيام منبعا ثريا ومنارة سخية ، تستقي من سخائها شاعرياتٌ أُخر ، تحب هي أيضاً أن تمتطي الذرى مُبْرزةً صحوةَ النبوغ وتوهجَ الموهبة ، كما امتطتها شاعرية ابن موسى مُدْلِيَةً بشهادة التمرس الفنيّ القادر ، والتبريز البيانّي القدوة في معاناة حيَّة .

عود على بدء

عبر أربعة فصول رافقنا شاعرنا الوزير محمد بن عبد القادر بن موسى في حياته منذ نعومة أظفاره إلى يوم مماته ، ولاشك عندي أنني بفضل هذه الدراسة – والحمد لله – قد انتشلت رجلا – نفح لغته عطر فكره ، وأعطى وطنه فيض شعوره ، ووهب الثقافة العربية والاسلامية إمكاناته العلمية وذخائره الأدبية – من نَفَقٍ أطبق عليه الظلام فيه أمدا فأخرجته إلى رحاب النور حيث يعيش غيره من الشعراء ويتنفسون في مناخ يكفل لهم حياة التقدير والتجلة .

ولا شك عندي أيضا أنني استطعت أن أتوصل إلى كثير من الحقائق في سيرة هذا الشاعر الفطحل كان قد عَفَّى عليها الزمن ، كما استطعت أن استخلص من خلال شعره ونثره صورة واضحة لثقافته في تعدد واجهاتها .

وأود ألا يفوتني الايماء إلى أنني حاولت – جهد المستطاع – أن أحذر – وأنا في غمار البحث – مما قد ورد منبثا في بعض نصوص الشاعر من مخالفات للتصور الاسلامي للكون والانسان والحياة ليست صادرة عن تعمد وانما هي صادرة عن جهل ببعض حقائق الاسلام في التوحيد أو عن تقليد أعمى انساق في دربه ، وقد يكون البعض منها صادرا عن حافز عصيب خاص أقول : أود ألا يفوتني الايماء إلى ذلك ، تبرئة لذمتي مع الله تعالى ، واحتياطا من ان يقع الجيل الصاعد في مثل هذه المزالق .

وبذلك أكون قد أسهمت بنصيبي في خدمة الأدب المغربي وَالكشف عن

معطيات شاعر يعد خاتمة الشعراء الكلاسيكيين الممتازين ، ويعد في الوقت نفسه مغمورا لدى الكثير من الناس ، والآن وقد أزف أوان إعطاء هذا الشاعر حقه من الاهتمام والتقدير ، وأرجو أن تكون هذه الدراسة قد أنصفته وأولته مايستحق – بحسب ماأعطى من جهد مبذول في مضمار الشعر – وسوف نفي لهذا الرجل الوفاء الحق حين نصدر ديوانه – ان شاء الله تعالى – ذلك الديوان الذي أنجزته منذ مدة وهو ينتظر فقط رؤية نور الحياة .

وأطلب من الله تعالى أن يكلل هذا العمل بالتوفيق ، وييسر له سبل النجاح ويوطىء له الأكناف ، فما هو إلا عمل يخدم – بالتأكيد – لغة القرآن الكريم ، ويكشف عن مقاصدها ويرشد إلى أسرار جمالها ، ويشير إلى أنماط تعابيرها ، ويدل عل أصناف أساليبها من خلال انتاج شعري لشاعر كلاسيكي فرد ، جال في ربوع الابداع فأتى بالخواطر المجنحة ، واللفتات الابكار ، تطلع العطاء السخي لتشد الخطى نحو آفاق التألق حيث ازهرار الابداع واخضرار التفنن وانسياب البيان وتدفق الصدق ، وهو حسبنا ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

الفهارس

- فهرس المصادر والمراجع العربية
- فهرس المراجع الأجنبية
- فهرس الأعلام
- فهرس الأمكنة
- فهرس الموضوعات

فهرس المصادر والمراجع

أباظة (عزيز)
العباسة الناشر مؤسسة الخانجي القاهرة 1961

ابن ابراهيم (العباس)
الأعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الاعلام ج 1 – المطبعة الملكية – الرباط 1965

ابراهيم (أنيس)
موسيقى الشعر – ط 3 – مكتبة الأنجلو المصرية 1965

ابراهيم (حافظ)
ديوان حافظ تحقيق أحمد أمين وآخرين الناشر أمين دمج – بيروت 1969

ابن الأحمر (إسماعيل)
نثير فوائد الجمان في نظم فحول الزمان ، دراسة وتحقيق محمد رضوان الداية – دار الثقافة بيروت لبنان 1967

الاسفرائيني (عبد القاهر)
الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد – الناشر مكتبة صبيح (بدون تاريخ)

الأصبهاني (أبو نعيم أحمد)
حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – ط 2 – 1387 – 1967

الأصبهاني (علي)
الأغاني ج 1 – دار الثقافة والارشاد القومي ج 11 طبعة دار الكتب

الألباني (محمد ناصر الدين)
سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة ج 1 المكتب الاسلامي ط 3 - 1399 وج 2 ط 1.
الآلوسي (محمود شكري)
الضرائر وما يسوغ للشاعر دون الناثر - دار صعب بيروت (بدون تاريخ)
الأنصاري (زكريا)
فتح منزل المباني بشرح أقصى الأماني في البيان والبديع والمعاني - ط 1 - 1332 ظ - 1914
ابن بسام (علي)
الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - القسم الأول - المجلد الأول - مطبعة لجنة التأليف والنشر - القاهرة 1358 - 1939
البغوي (الحسين بن مسعود)
مصابيح السنة - دار القلم بيروت 1294 هـ
البحتري (أبو عبادة الوليد)
ديوان البحتري ، تحقيق حسن الصيرفي - دار المعارف - مصر 1963
أبو تمام (حبيب)
ديوان أبي تمام ، مراجعة د. عزة نصر الله - دار الفكر للجميع
ابن تَغْرِي بَرْدي (يوسف)
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة - طبع دار الكتب المصرية .
التنوخي (عبد الباقي)
كتاب القوافي - تحقيق عمر الأسعد ومحيي الدين رمضان - ط 1 - دار الارشاد بيروت 1389 - 1970
الثعالبي (عبد الملك)
يتيمة الدهر، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط 2 - 1375 - 1956
الحويزي (عبد الحسين)
ديوان الحويزي جمعه ، وعلق عليه حميد مجيد هدُّو - منشورات دار مكتبة الحياة بيروت 1964 .

الخطيب التبريزي (يحي بن علي)
الوافي في العروض والقوافي - تحقيق عمر يحيى وفخر الدين قباوة - ط 1 - 1390 - 1970
الخطيب التبريزي (محمد بن عبد الله)
مشكاة المصابيح - تحقيق محمد ناصر الدين الألباني - ط 1 منشورات المكتب الاسلامي 1380 - 1961
ابن خلكان (أحمد)
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - ط 1 - 1367 - 1947
ابن الخياط (أحمد)
حاشية ابن الخياط على حاشية الفاسي - الطبعة الحجرية.
داود (محمد)
تاريخ تطوان - القسم الأول - المجلد الأول - ط 2 مطبعة كريماديس تطوان 1379 - 1959
ابن دحية (عمر)
المطرب في أشعار أهل الأندلس والمغرب ، تحقيق إبراهيم الإبياري وآخرين - دار العلم للجميع
الدسوقي (عمر)
في الأدب الحديث - ط 8 - مطبعة الرسالة - مصر 1970
الدمنهوري (محمد)
الارشاد الشافي على متن الكافي - ط 1 مصر 1353 - 1934
الرازي (عبد الرحمن)
الجرح والتعديل القسم 2 من المجلد 3 ط 1 عام 1372 - 1953
الريسوني (محمد المنتصر)
- الشعر النسوي في الأندلس - منشورات مكتبة دار الحياة بيروت لبنان 1978
- على درب الله - ديوان شعر - ط 1 - مطبعة ديسبريس تطوان المغرب 1398
- لا حلق للذكر البدعي في الاسلام - ط 1 - مطبعة النور تطوان المغرب 1403 - 1983

• المعجم العروضي نسخة مرقونة
الزوزني (الحسين)
شرح المعلقات السبع – ط 3 – بيروت 1973
زيدان (جرجي)
تاريخ آداب اللغة العربية منشورات مكتبة الحياة ط 1967
ابن زيدان (عبد الرحمن)
• الدرر الفاخرة بمآثر ملوك العلويين بفاس الزاهرة – المطبعة الأقتصادية – الرباط 1356 – 1937
• العز والصولة في نظم ومعالم الدولة – المطبعة الملكية – الرباط 1382 – 1962
ابن سلام (محمد)
طبقات الشعراء – طبع ليدن – 1913 و ط دار الفكر للجميع
السوسي (محمد المختار)
المعسول (ج 2، 4) مطبعة فضالة المغرب 1380 – 1960
سليم (محمود رزق)
صفي الدين الحلي (سلسلة نوابغ الفكر العربي) – دار المعارف
السيوطي (عبد الرحمن)
• بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم – ط 1 – 1384 – 1964.
• شرح شواهد المغني – ط مصر 1322
سويف (مصطفى)
الأسس النفسية للابداع الفني في الشعر خاصة – دار المعارف – مصر 1959
شارل (بلات)
الجاحظ – ترجمة إبراهيم الكيلاني – ط 1961
ابن شاكر الكتبي (محمد)
فوات الوفيات – دار صادر

الشنتريني (محمد)
المعيار في أوزان الأشعار ، تحقيق الدكتور رضوان الداية – ط 2 المكتب الاسلامي بيروت 1391 - 1971
الصحراوي (عبد القادر)
شيخ الاسلام – دار النشر المغربية الدار البيضاء 1965
الصولي (أبو بكر)
أخبار أبي تمام – ط مصر 1356 - 1937
ضيف (شوقي)
الأدب العربي المعاصر في مصر ط 6 – دار المعارف – مصر
الطباخ (محمد راغب)
إعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء – طبعة حلب 1342
ابن عبد الوهاب (الحسن)
حواش على بهجة التسولي ج 1 – ط 1372 - 1953
العسكري (أبو هلال الحسن)
كتاب الصناعتين ، تحقيق على البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم – ط 1 – - 1371 - 1952
ابن عبد البر (يوسف)
الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، تحقيق علي البجاوي – مطبعة نهضة مصر
الفاسي (عبد الحفيظ)
معجم الشيوخ المسمى رياض الجنة أو المدهش المطرب ج 1 – طبعة فاس – المدينة الجديدة – 1350
الفاسي (علال)
النقد الذاتي – ط الدار البيضاء 1974
الفاخوري (حنا)
تاريخ الأدب العربي – ط 9 بيروت – لبنان
الفرزدق (همام بن غالب)
ديوان الفرزدق – در صادر بيروت 1386 - 1966

الفيروز ابادي (محمد بن يعقوب)
القاموس المحيط – المكتبة التجارية – مصر .
القاضي (عبد الجبار)
فرق وطبقات المعتزلة ، تحقيق د : علي سامي النشار وعصام الدين محمد علي
ط 1972
قبش (أحمد)
تاريخ الشعر العربي الحديث – ط 1971
ابن قتيبة (عبد الله)
• الشعر والشعراء – ط 2 دار الثقافة بيروت – لبنان 1969
• عيون الأخبار مصور عن الطبعة الأولى 1383 – 1963
القزاز (محمد)
ضرائر الشعر أو كتاب ما يجوز للشاعر في الضرورة ، تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام والدكتور مصطفى هدارة الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية – 1973
القيسي (مكي بن أبي طالب)
الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة ، تحقيق الدكتور محمد حسن فرحات – دمشق 1393 – 1973
الكتاني (عبد الحي)
فهرس الفهارس – ط 1 - 1346
ابن كثير (اسماعيل)
• البداية والنهاية – ط 1966
• تفسير القرآن العظيم ج 4 – دار الفكر (بدون تاريخ)
كنون (عبد الله)
• النبوغ المغربي في الأدب العربي – ط 2 – دار الكتاب اللبناني بيروت 1961
• أحاديث في الأدب المغربي الحديث – معهد الدراسات العاليـة – القاهرة 1964

ابن مالك (محمد)
تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد، تحقيق محمد كامل بركات دار الكتاب العربي للطباعة والنشر 1388 - 1978
المرزباني (محمد)
الموشح ، تحقيق علي محمد البجاوي – دار النهضة – مصر 1965
ابن المعتز (عبد الله)
طبقات الشعراء – ط 1939
ناجي (منير) الدكتور
ابن هاني الأندلسي ، درس ونقد – دار الناشرين الجامعيين – ط 1 – 1962
الناصري (أحمد)
الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى، تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري – دار الكتاب 1956
هدارة (مصطفى)
المأمون (سلسلة إعلام العرب)
ابن هشام (عبد الملك)
السيرة النبوية ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ط 2 - 1375 - 1955
الوهراني (محمد بن محرز)
منامات الوهراني ومقاماته ورسائله، تحقيق ابراهيم شعلان ومحمد نغش – مراجعة الدكتور عبد العزيز الاهواني دار الكاتب العربي القاهرة 1387 – 1968

المجلات والجرائد

أ - المجلات

الاتحاد العدد 17 - السنة 2 - صفر 1347 - غشت 1928 والعدد 48 السنة 5 - ذو الحجة 1349 - ماي 1931. تطوان

- النصر العدد 2 - السنة 1 - صفر - ربيع الأول 1377 - شتمبر أكتوبر 1957 / والعدد 1 السنة 2 ربيع الآخر 1379 - نوفمبر 1959 تطوان

- دعوة الحق العدد 4 السنة 9 - 1385 - 1966 - الرباط

ب - الجرائد

- الجريدة الرسمية - العدد 9 - 8 ذي القعدة 1345 - 10 ماي 1927 والعدد 1 السنة 25 - 9 صفر 1356 - 20 أبريل 1937 تطوان
- الوحدة المغربية العدد 19 - السنة 1 - 29 المحرم 1356 - 11 أبريل 1937، والعدد 55 - السنة 2 - 29 جمادى الآخرة 1357 - 26 غشت 1938 والعدد 174 - السنة 5 - صفر 1360 - مارس 1941. تطوان
- جريدة الحسني من العدد 40 - 48 - 1382 - 1962 (دراسة عن اليوسي للمؤلف في حلقات) الرباط
- النور الاسلامية العدد 17 - السنة 2 - رمضان 1395 - شتنمبر 1975 تطوان

فهرس المراجع الأجنبية

— Anuario, año 1924, p. 447

— Historia de la accion cultural de España en Marruecos - 1912 - 1956, por Valderrama Fernando Martinez, p. 704 Editora Marroqui Tetuan, 1956

فهرس الأعلام (*)

(*) **طريقتنا في هذا الفهرس كالآتي**

1 – (حـ) رمز للحاشية ، وبين يديها الرقم المسلسل للحواشي .

2 – تقديم ما اشتهر به العلم من اسم وكنية ولقب

3 – إسقاط (ابن) أو (أب) أو (أل) من ذاكرة ترتيب الحروف الهجائية .

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

فهرس الأمكنة

(أ)

(ب)

(ت)

فهرس المحتوى

أعمال أخرى للمؤلف
المطبوع
في مجال الدراسات الاسلامية والأدبية

1 – الشعر النسوي في الأندلس (دار مكتبة الحياة بيروت ط 1 – 1978)
2 – مواجهات إسلامية (مطبعة ديسبريس تطوان ط 1 – 1399 – 1979)
3 – لا حلق للذكر البدعي في الاسلام (مطبعة النور تطوان ط 1 – 1403 هـ 1983 .
4 – وانهارت الطرقية (مطبعة النور تطوان ط 1 – 1404 هـ 1984 م
5 – الاعلام الاسلامي : منطلقات وأهداف (سلسلة النور الشهرية – مطبعة النور تطوان – ط 1 – 1405 – 1985
6 – سيد قطب ومنهجه في التفسير ج 1 (في سيرته وإنتاجه) – مطبعة النور تطوان – ط 1 – 1407 – 1987) .
7 – ... وكل بدعة ضلالة ج 1 في بدع العقائد (مطبعة النور تطوان ط 1 – 1408 – 1988) .
8 – التجيبي المحدث السبتي بين الرواية والدّراية (المكتبة السبتية منشورات مطبعة النور تطوان جمعية البعث الاسلامي – ط 1 1411 – 1990)
9 – ... وكل بدعة ضلالة ج 2 في بدع العبادات (مطبعة النور تطوان

ط 1 - 1412 - 1991)

في مجال الابداع الشعريّ

1 - ديوان على درب الله (مطبعة ديسبريس تطوان ط 1 - 1398 - 1977) .
2 - أعراس الشهادة في موسم الشنق (مسرحية شعرية مطبعة النور ط 1 - 1403 - 1983) .
3 - ديوان عندما يزف ابن تيمية صبح الولادة (مطبعة النور ط 1 - تطوان - 1407 - 1987) .
4 - ديوان إلى الجنّة عبر أدغال العذاب (مطبعة النور ط 1 - 1408 - 1988 .

في مجال الابداع النثري

الحب في الله (قصص تاريخية - مطبعة ديسبريس تطوان ط 1 - 1400 - 1980) .

المعدّ للطبع

للمؤلف دراسات إسلامية (حديث وأصول فقه وفكر سلفيّ) وبحوث أدبية ولغوية مختلفة تؤلف أكثر من ثلاثين عملاً منها :

1 - مباحث أصولية وحديثية في مواجهة الفكر البدعي .
2 - آفاق الانتماء والالتزام في أدب نجيب الكيلاني .
3 - منهج الدعوة عند الامامين : حسن البنا وسيد قطب .
4 - ديوان الشاعر الوزير محمد ابن موسى : جمع وترتيب وضبط وتعليق
5 - دلالة الخطاب الشرعي في تحريم مصافحة الرجل المرأة
6 - وجوب توفير اللحية في الخطاب الشرعي .
7 - حكم الشرع في الصلاة بالمقابر .
8 - قاموس عثرات الأقلام والألسنة .

تحت الطبع

1 - سيد قطب ومنهجه في التفسير ج 2 (في منهجه في التفسير)
2 - آفاق الدعوة السلفية في الشعر المغربي الحديث
3 - أفغانستان أعراس الدم في معارك الفتح (شعر)
4 - فلسطين كبرياء الدم في ليل السامري (شعر)

المؤلف

• ولد بمدينة تطوان (المغرب) عام 1360 - 1941

• التحق بالمكتب القرآني ودرس على والده علوم اللغة العربية والاسلامية على النظام القديم في حفظ المتون ودراستها ، كما درس علم العروض على الفقيه الموثق العروضي السيد عبد الرحمن الأزمي .

• درس الابتدائي والثانوي بتطوان والجامعيّ بالرباط

• له أستاذية في الأدب واللغة من المدرسة العليا للاساتذة ، وإجازات في علوم اللغة والشرع على النظام القديم .

• زاول التدريس بالتعليم الثانويّ أستاذاً للغة العربية وآدابها وعلوم الدين سنوات طويلة ، ثم عمل مرشداً تربوياً وعضواً بلجنة التأليف المدرسيّ بوزارة التعليم ، وهو اليوم أستاذ متفرغ للبحث العلميّ .

• أصدر مجلة (النصر) عام 1377 هـ (1957 م) ويرأس الآن تحرير جريدة النور الاسلامية .

• أسهم في عدة لقاءات ومؤتمرات إسلامية وأدبيّة ، وندوات علميّة جامعيّة في الداخل والخارج

• له بحوث منشورة في مجلات أكاديمية ومجلات محكّمة مثل مجلة كلية آداب وجدة وتطوان ، ومجلة (المشكاة) ، وله مقالات وقصائد أيضاً منشورة في مجلات وصحف مغربية ومشرقية عديدة .

• صدر له لحدّ الآن خمسة عشر عملاً بين إبداع شعريّ وقصصيّ ودراسة إسلامية وأدبية ، بجانب ماله من مخطوط يفوق أربعين عملاً ، ويجد القارىء كل ذلك مُفَصَّلاً في الصفحة السابقة الخاصة بأعمال المؤلف .

• هُيّئت عن شعره دراسات جامعية في المغرب من قبل طلبة كلية آداب وجدة وكلية آداب تطوان ، وتُهيّأ دراسات عنه بالشرق من قبل بعض ... من كلية اللغة العربية بالأزهر ، بالاضافة إلى ما كتب عنه من دراسات ... والصحف المغربية والمشرقية .

• عضو مكتب جمعية البعث الاسلامي ، وعضو لرابطة ... وعضو (اتحاد كتاب المغرب) ، وعضو (رابطة الأدب الاسلامي ...

